سامر إسلامبولي

الانتحار الفكري



LEVANT
دار نشر • دورات • دراسات • استشارات

سامر إسلامبولي

الانتحار الفكري

سامر إسلامبولي

الانتحار الفكري

الانتحار الفكري

سامر إسلامبولي

الطّبعة الأولى: 2019 م

البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com
السويد: 0046734233031

تصميم الغلاف والاخراج الداخلي:
كمال يوسف
ky.design.a2@gmail.com



مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

الإسكندرية – مصر

د3، بناء 44، ش سوتر، أمام كلية حقوق الإسكندرية، مصر

موبايل: 01114391600 هاتف: 4830903 / 03

بريد إلكتروني: levant.egsy@gmail.com

موقع إلكتروني: www.levantcenter.net

رقم الإيداع: 2076

الترقيم الدولى: 978-977-6651-27-2

سامر إسلامبولي

الانتحار الفكري



دار نشر • دورات • دراسات • استشارات

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ

﴿يَأَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوَاْ إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(الحجرات 13)



الفهرس

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَـمًّى ﴾ [إبراهيم:10].

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:24].

- يرسم الملحد دائرة وبعد أن يغلقها يدَّعي أنها دون بداية ولا نهاية وَوُجِدَت وحدها، ويصير يجادل وكأنه اكتشف شيئًا عجيبًا!
- الملحد له لسان يسأل، ولكن لا يملك أذنين للسمع.
- سؤال الملحد عن الخالق: مَن خلقه؟ مثل من يطلب برهان على أن ضلعي المثلث متوازيان!
- يرسم الملحد حول نفسه دائرة ثم يتساءل: كيف دخل فيها؟

بسم اللّٰه وبه نستعين

المقدمة

هذه مجموعة من النقاشات والمقالات، وأجوبة على بعض السائلين متعلقة بنقاش الموقف الإلحادي كتبتها بأزمان مختلفة ومتباعدة على النت أحببت أن أجمعها في كتاب واحد لتعم الفائدة للقراء، وليسهل الرجوع إليها لمن يهتم بتلك القضايا الحوارية، وهي لا تخلو من فائدة وطرفة وابتسامة هنا، أو هناك، مع تحفيز التفكير والعقل على الارتقاء والتدبر، غير المعلومات المبثوثة في ثنايا المقالات يدركها القارئ الحصيف النحرير وحده ويقف عندها متأملًا ومتدبرًا...

والمقالات أو النقاشات هذه تأخذ القارئ برحلة فكرية وعصف عقلي كبير عنده ممكن يُكَوِّن من خلالها بعد الانتهاء من الكتاب منهج حواري، ويضع يده على كثير من نقاط تدبر القرءان التي تمكنه من استخدامها في تدبر نقاط أخرى ونقاشها وحده على نمط نقاش النقاط هذه.

مصر – القاهرة – 1/ 1/ 2014

المؤلف

تعريف كلمة الإلحاد لسانًا

الإلحاد من لحد وهي كلمة تدل على فعل يندفع الإنسان إليه تجاه شيء، ولسانيًا تدل على حركة لازمة متثاقلة مؤرجحة بشدة منتهية بدفع شديد، وظهرت ثقافيًا بمعنى التحرك اللازم الثقيل المؤرجح بشدة بين أمرين متضادين أو متناقضين والاندفاع بقوة إلى أحدهما دون علم أو برهان.

نقول: لحد إلى، بمعنى اندفع بقوة إلى جهة ما دون علم أو دراسة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهم يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:103].

ونقول: لحد في، بمعنى دفع الشيء ذاته ورفضه دون علم أو برهان ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت40].

﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:180].

إِذَنْ؛ الإلحاد ليس فكرًا أو تدبرًا أو دراسة عن برهان ونظر، وإنما هو موقف اعتباطي تعنتي انفعالي، وبالتالي ليس له أسس أو قواعد يتم دراسته أو نقاش أصحابه على موجبها، فهو موقف أخلاقي، وليس موقفًا فكريًا علميًا.

واستخدام كلمة الإلحاد وانتشارها بين الناس على أنها فكر أو منهج حياة لا

يعني صواب الاستخدام، وينبغي إرجاع الاستخدام الصواب للكلمة حتى لا تضيع الحقيقة، ولا يصح عد ذلك من باب الاصطلاح وأنه لا مشاحة في الاصطلاح؛ لأن ذلك محصور في الكلمات التي لا إشكال فيها ويتم استخدامها بأحد معانيها دون الأخرى وشيوع ذلك المعنى، وليس تغيير معنى الكلمة لسانيًا واستخدامها خلاف مفهومها اللساني كله مثل أن نستخدم كلمة العدل بمعنى الظلم أو الحرية بمعنى الاستعباد.

ومن غير المقبول القول: إن ذلك معنى شائع وقديم وانتشر بين الناس، فهذا مرفوض وينبغي تصويب الاستخدام وعدم الانجراف وراء خطأ شائع يشوه الحقيقة.

مع العلم أن الإلحاد المعروف هو فعلًا إلحاد بالمفهوم اللساني من حيث اتخاذ موقف تعنتي انفعالي من الحقيقة والاندفاع نحو رفضها وإنكارها دون علم أو برهان، فهو ليس فكرًا أو علمًا أو منهجًا، وإنما هو إدراك للحقيقة وتركها وراء الظهر والاندفاع نحو تصورات وتهيؤات ذهنية افتراضية خلاف الواقع والحقيقة، ومن هذا الوجه قلنا: إن الإلحاد موقف أخلاقي وليس فكرًا أو علمًا أو منهجًا.

والإلحاد كمفهوم مستخدم هو جحود للحقيقة والصواب بعد العلم به.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14].

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:33].

ومع ذلك سوف نناقش تصورات وتهيؤات الملحدين.

يقول الملاحدة: إن إلحادهم مبني على عدة نقاط وهي:

1. نفي وجود برهان على وجود خالق أزلي.
2. إمكانية تعدد الخالقين في حال ثبت وجود خالق.

3. في حال ثبوت أحدية الخالق فهو لا يمارس الربوبية على خلقه.
4. النظرة إلى المجتمع والتعامل معه من غير منظار الدِّين والمقدسات.
5. مفهوم الأخلاق نسبي متحرك حسب ثقافة المجتمع وأدواته المعرفية والمادية.

وتناول القرءان الموقف **الإلحادي، والربوبي، واللاأدري**[1] **باسم الدهريين** من حيث النتيجة لاشتراكهم بها، وهي مقولة: (**نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر**).

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا **نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ** وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية:24].

وهؤلاء الدهريون يشتركون مع بعض في إنكار الغيبيات والدِّين واليوم الآخر والحساب، ومن الطبيعي أن يترتب على موقفهم هذا تميع في رؤيتهم لثبات الأخلاق والقيم والعمل الصالح فهي محل نقاش وأخذ ورد ومساومة وتصويت.

1 **الملحد** من يدَّعي نفي وجود برهان إثبات خالق للكون، **والربوبي** يدَّعي أن الخالق ثابت وجوده، ولكن خلق الكون وتركه وأهمله فهو يسير وفق سننه الذاتية، **واللاأدري** ضائع لا يعرف إن كان يوجد خالق للكون أم لا.

الإلحاد ليس فكرًا

الإلحاد ليس فكرًا أو منهجًا علميًا، وإنما هو سلوك وموقف مثل كلمة الكذب والكفر والجحود.... فهل يقبل أحدكم أن يصير مع الزمن استخدام كلمة الكفر والكذب... بمعنى الفكر والمنهج العلمي ؟ ونقول: منهج الكفر والكذب والجحود؟ ونؤسس لهم مدارس ومذاهب ونجعل لهم مفكرين وباحثين؟

وقِدَم استخدام كلمة أو شيوعها وانتشارها لا يجعلها صوابًا أو حقًّا قط، وينبغي أن نضع النقاط على الحروف لضبط الفكر والحقيقة.

والحقيقة أن كلمة الإلحاد هي وصف لموقف اتخذه الملحدون من الحقيقة بشكل أخلاقي وليس فكريًا، بخلاف الجماعة الذين أطلقوا على أنفسهم كلمة الربوبيين، فهي تدليس وتضليل؛ لأنهم أنكروا الربوبية ومع ذلك تسمُّوا بها.

• فكن أيها الملحد شجاعًا في موقفك وقل: أنا ملحد بالمعنى المعروف للكلمة، وأنت حر بموقفك، ولكن لا تخدع نفسك وتزين لها وتتصور أن الإلحاد فكر ومنهج علمي وتريد أن تعرضه وتناقشه مع الآخرين، الإلحاد موقف أخلاقي وليس علميًّا، وهو مثل موقف الكفر والكذب والجحود...لا يمكنك أن تناقشهم فكريًّا، ولا تقل: إن الإلحاد صار له مفهوم ثقافي متطور، فعمليًّا العرض الذي يُعرض على الناس هو ذاته الموقف الإلحادي ولم يتغير، فإن كان عندك فكر أنت تسميه إلحادًا فاعرضه باسم آخر يصف حقيقته، ولا تستخدم كلمة لها مفهوم سلبي سيِّئ فهذا يُسيء لك شخصيًّا ولفكرك.

و نقاط الإلحاد معروفة، وهي تساؤلات وليست فكرًا أو حقائق علمية، فمن حقك أن تسأل وتسأل ألف مرة: هل وجودك أنت كإنسان هو وجود حقيقي موضوعي وتتأمل بذلك وتتدبره، ولكن مرفوض تمامًا أن تخرج بنتيجة مفادها مخالف للحقيقة، وتقول: إن وجودي وهمي وأنا لست أنا، وتعد ذلك فكرًا ومنهجًا علميًّا وتناقش به وتؤسِّس له مدرسة فكرية.

هذه المقولات والأسئلة هي خواطر ذهنية لا واقع لها، والأجوبة عليها تكون من الواقع وليس من الذهن أو الموقف الذي تتخذه منها، فأي إشكال متعلق بوجود الشمس مشرقة في رابعة النهار هو مشكلة ذهنية خاصة بصاحبها، وأي موقف يتخذه منها إيمانًا أو كفرًا أو إلحادًا... لا يؤثر على حقيقة وجود الشمس، ولا يصح جعل هذه التصورات الذهنية فكرًا ومنهجًا علميًّا وعرضها للنقاش!

عزيزي

اسمع؛ عسى أن تعي ما أقول وأظن بك خيرًا وأنك تملك عقلًا وفهمًا.

• التصديق بوجود خالق واحد للوجود هو أمر فطري؛ لأنه حقيقة واقعية فطرية غير قابلة للبرهنة عليها؛ لأنها بداهة وليس لنفي وجود برهان عليها فالأمر كمثل وجود الشمس والجميع ينظر إليها ويتدفأ بأشعتها الحرارية فهل تقبل من أحدهم أن يقول: ما البرهان على وجود الشمس؟ وهل هي واحدة بالنسبة لكوكب الأرض أم يوجد شمس أخرى؟ من يقبل نقاش هذا العرض يكون وقع في فخ الضلال والضياع، هذا ما قصدته من كلامي أن الإلحاد ليس فكرًا أو منهجًا علميًّا حتى يُناقش أو يُدرس، هو موقف شخصي مخالف للحقيقة لا يُلتفت إليه قط.

لذلك لم يتعرض القرءان لنقاش إثبات وجود خالق لهذا الوجود؛ لأن ذلك تحصيل حاصل ولم يطلب من الناس التصديق بذلك، وليس هو المقصد من نزول الدِّين.

• وموضوع الإيمان أو الكفر بالله واليوم الآخر غير قابلين للبرهنة؛ لأنهما متعلقان بالأخلاق وليس بالفكر والبحث، هل يمكن أن تبرهن على أن الصدق والأمانة مفهوم أخلاقي نبيل ؟ وهل يسمع أحد منك ذلك أو يشك بالأصل بهما أو يطلب برهانًا عليهما؟ ليس لك إلا أن تقبل بهما كسلوك والتزام أو ترفضهما، بمعنى أن تؤمن أو تكفر فهما ليس للنقاش أو الدراسة، إما أن تكون صادقًا أمينًا أو كاذبًا خائنًا، وموقفك هو موقف أخلاقي وليس فكريًا.

ومسألة اترك عقلك والواقع والثوابت المنطقية ولنفترض أننا غير موجودين والشمس غير ظاهرة لنا وتعال نتناقش هل أنا وأنت نتناقش أم ليس لنا وجود وغيرنا يتناقش ؟ وما البرهان على ذلك...

هذا غير صواب يا صاحبي فلا تضيع حياتك سدى تريد أن تثبت الثابت أو تُنكر الثابت، فهو ثابت بصرف النظر عن رأيك، والمشكلة فيك وليس فيه وأنت الخسران وليس هو.

ومثل ذلك كمثل من ينكر وجود الشمس، فهذا مفهوم ذهني لا يؤثر على الشمس أو سيرها، ولكن يؤثر على صاحب المفهوم ويحرم نفسه من الاستفادة من أشعة الشمس وتوليد الطاقة وغير ذلك، ويمضي الزمن الطويل عليه وهو يثرثر بأن الشمس موجودة أو غير موجودة وإن كانت موجودة فهل هي واحدة أو اثنتان...

قم اعرض جسمك لأشعة الشمس وتدفأ بها واستغل طاقتها وابن بلادك ومجتمعك وانهض وارتق ودع عنك الوساوس والتهيؤات الذهنية.

ولك مني أرق التحيات مع أشعة الشمس الدافئة بصرف النظر عن موقفك من وجودها أو وحدانيتها في سمائنا، قم ؛ تدفأ بها واستمتع بأشعتها على البحر وأنت تسبح بين أمواجه وتغمر جسمك في مياهه المالحة وبصرف النظر عن موقفك منه نفيًا أو إثباتًا فهو بحر مالح.

نقاش سريع مع ملحد يظن نفسه مفكرًا

صديقي اترك التاريخ ومتاهاته وإشكالياته، فهو ليس برهانًا على صواب الأفكار أو خطئها.

القرءان كلمة مفردة لا جمع لها من جنسها؛ لأن الواقع أنه لا يوجد إلا قرءان واحد فقط، واللسان العربي مرتبط بالواقع وليس بالتصورات والخرافات والافتراضات، وبالتالي فجمع كلمة قرءان بالواقع العملي المستخدم هو كلمة مصاحف.

- والقرءان كتاب جمع ذروة التطور للسان العربي، وبذلك هو حجة على أي لهجة كانت سائدة، وما فعله عثمان من إلزام لجنة جمع الرسم القرءاني في مصحف هو حصرًا بالرسم وليس بالصوت، وألزم اللجنة بالرسم المستخدم في قريش، واشتهر فيما بعد بالرسم العثماني نسبة له، والقرءان هو ذكر صوتي في قلوب الذي آمنوا به وليس رسمًا!

ودراسة اللسان العربي المبين الذي نزل به القرءان تكون من خلال دراسة الذكر الصوتي له ولا علاقة له بما سبق، ومثل ذلك مثل أي علم عندما تريد أن تدرسه، فمن الخطأ أن ترجع لبداياته الأولية التي تجاوزها الزمن بكثير فلا يهم اللهجات العربية القديمة في دراسة القرءان، ولا تفيد شيئًا؛ لأنها ليست حجة ولا برهانًا على شيء، ومفاتيح دراسة القرءان موجودة في داخله، وهي غير ما يسمَّى القواعد العربية النحوية وما شابه ذلك ولو وجد بينهما تقاطع، فالنظام القرءاني نسيج وحده، وله منطق خاص به متعلق بمنطق الوجود الكوني، فما هو قاعدة أو قانون في الكون هو كذلك في القرءان.

أما ما قلته من أدلة الأركيلوجية فهي ليست قطعية، وهي ظنية ومحل أخذ ورد، بينما القرءان كتاب أمامك مفتوح على الكون وتملك أدوات معرفية متطورة جدًا عن ما كان سابقًا، وبإمكانك دراسته والحكم عليه أنت لا غيرك، ولكن بشرط أن تقرأه بعيونك أنت أيضًا وليس بعيون زيد وعبيد، وبقراءة موضوعية علمية بعد أن تملك مفاتيح دراسته، ولك الحكم عليه واتخاذ موقف خاص بك إيمانًا أو كفرًا دون تأثير من أحد.

لا يوجد في اللسان العربي مفهوم للكلمة قديم وآخر جديد، فمثلًا كلمة العدل والحرية..... لهما مفهوم محدد لم يتغير ولن يتغير، وأي استخدام لهما ينبغي أن يحكم بالمفهوم اللساني لهما حتى لا تضيع الحقيقة.

ومن غير المقبول أن يأتي زمان ويستخدم كلمة العدل أو الحرية بمعنى سلبي وسيئ ونقول: لا مانع من ذلك لأنه معنى شائع، هذا العمل هو مؤامرة ثقافية لتمييع الفكر ولتضييع الحقيقة وما ينبغي أن نقع فيها.

وما عرضته من نقاط وقلت: إنها الإطار العام للإلحاد معروفة، وهي تساؤلات وليست فكرًا أو حقائق علمية، فمن حقك أن تسأل وتسأل ألف مرة: هل وجودك أنت كإنسان هو وجود حقيقي موضوعي وتتأمل بذلك وتتدبره، ولكن مرفوض تمامًا أن تخرج بنتيجة مفادها مخالف للحقيقة وتقول: إن وجودي وهمي وأنا لست أنا، وتعد ذلك فكرًا ومنهجًا علميًّا وتناقش به وتؤسس له مدرسة فكرية...

هذه المقولات والأسئلة هي خواطر ذهنية لا واقع لها، والأجوبة عليها يكون من الواقع وليس من الذهن أو الموقف الذي تتخذه منها، فأي إشكال متعلق بوجود الشمس مشرقة في رابعة النهار هو مشكلة ذهنية خاصة بصاحبها، وأي موقف يتخذه منها إيمانًا أو كفرًا أو إلحادًا... لا يؤثر على حقيقة وجود الشمس، ولا يصح جعل هذه التصورات الذهنية فكرًا ومنهجًا علميًّا وعرضها للنقاش!.

هل فعلًا لا يؤمن الملحد بالقرءان كله

الوصايا العشر في العهد القديم، والصراط المستقيم في القرءان

هذه الوصايا العشر التي أنزلها الله على بني إسرائيل، وأعاد إنزالها في القرءان باسم الصراط المستقيم، وهذه الوصايا العشر هي الحد الأدنى لأي تشريع إنساني في أي مجتمع على مختلف الزمان والمكان، وهي الصراط المستقيم الذي لا يطلب أي إنسان برهانًا عليه؛ لأنه في حقيقته موجه للحفاظ على نفسه وعقله وحريته وحياته وماله وعرضه وأسرته والعناية باليتامى والصدق والوفاء بالعهود....

فمثلًا النهي عن القتل هو نهي للآخرين عن قتلك أيضًا، والنهي عن السرقة هو نهي الآخرين عن سرقتك، فهذه الوصايا العشر هي القاسم المشترك بين كل المجتمعات، وهي محل اتفاق دون خلاف عليها، ولا يرفضها أحد من الناس، وهي أس التشريع الاجتماعي لكل مجتمع.

وناقشت مرة ملحدًا

قال: أنا لا أؤمن بالقرءان كله.

قلت: ولا بأي شيء منه؟

قال: ولا بأي شيء منه.

قلت: ألا تؤمن بالأخلاق والقيم ؟

قال: طبعًا أنا أؤمن بالأخلاق والقيم.

قلت له: الوصايا العشر وزيادة عليها موجودة بالقرءان.

قال: لا؛ غير موجودة!

قلت: عجبًا وما أدراك أنت، المفروض أن تقول لي: هات النص الذي ذكرها لا أن ترفضها.

قال: ولو موجودة فهي منقولة من التوراة.

قلت: التوراة من الكتب الإلهية[2] وأنت ترفضها أصلًا، وليس هذا محل النقاش، وإنما محله موجودة أو غير موجودة، وأنا أثبَتُّ لك وجودها، أما أنها منقولة من التوراة، فهذا طبيعي؛ لأن التوراة والقرءان من مشكاة واحدة، ونزل القرءان ليكمل الكتب السابقة لا لينسخها، وأعاد ما فيها من أحكام إسلامية وقيم وأخلاق، وبالتالي أنت تؤمن بأس النظام الأخلاقي والقيمي في القرءان.

قال: ولكن أنا لم آخذها من القرءان.

قلت لا يهم من أين أخذتها فهي أخلاق وقيم إنسانية، **فكيف تحارب كتابًا أنت تؤمن بأسسه الأخلاقية والقيمية؟**

فبهت ولم يَحِرْ جوابًا، ولكنه استمر في عناده وغيِّه وانتقل إلى إشكال ثان وثالث وألف، كعادة الملاحدة.

الصراط المستقيم

- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ:

1. أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.
2. وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا.

2 بصرف النظر عن التحريف الذي أصاب التوراة كزيادة في النص وتحريف المعنى، فهذا لاينفي وجود الصواب فيها،ومنها الوصايا العشر التي شهد القرءان بصحتها حينما أعاد إنزالها مرة ثانية وجعلها من الصراط المستقيم المذكور في فاتحة الكتاب.

3. وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ.
4. وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.
5. وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151).
6. وَلا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلغَ أَشُدَّهُ.
7. وَأَوْفوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا.
8. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى.
9. وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152).
10. **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مسْتَقِيمًا** فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153).

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾

[الأنعام: 151– 154].

الوصايا العشر التي أمر الله بها الشعب في سفر الخروج الإصحاح ٢٠:

بصرف النظر عن الاختلاف بالصياغة والتعبير أو زيادة أو نقصان فالمضمون بالوصايا واحد، والقرءان ضبطها وحفظها.

1. لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.
2. لا تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي المَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلا تَعْبُدْهُنَّ.
3. لا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا.

4. اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.
5. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ.
6. لا تَقْتُلْ.
7. لا تَزْنِ.
8. لا تَسْرِقْ.
9. لا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.
10. لا تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لا تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلا عَبْدَهُ، وَلا أَمَتَهُ، وَلا ثَوْرَهُ، وَلا حِمَارَهُ، وَلا شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ.

النصوص التالية تفصيل وزيادة على الوصايا العشر:

- ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غفورا (25) وَآتِ ذَا القرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28) وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا (33) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنوا بِالْقِسْطَاسِ المُسْتَقِيم ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنْ الحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:23-39].

- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (36) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدا وَقِيَامًا (46) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (56) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (66) وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (76) وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (86) يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (96) إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (07) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (17) وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (27) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (37) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:63-74].

مفهوم السببية

عند دراسة فكرة أو حدث لا يصح الجري والبحث عمن أثبتها أو نفاها بقوله، أو مستوى علمه وما يحمل من شهادات، أو عددهم كثيرًا أو قليلًا، البحث ينبغي أن يعتمد على البرهان، والبرهان ينبغي أن يكون من جنس الفكرة محل الدراسة، بمعنى أن المسألة عندما تكون رياضية ينبغي أن يكون برهانها رياضيًّا، ولا يصح طلب برهان كيميائي عليها، والعكس صواب أيضًا، وهذا يعني خطأ مقولة أحد الملحدين: خروج مفهوم وجود الله عن علم الفيزياء يعني أن وجود الله أمر خارج العلم، فالعلم غير محصور بالفيزياء لأنه علم يتعلق بدراسة الشيء وظواهره والسنن التي تحكمه، ووجود الله ليس شيئًا حتى يتناوله علم الفيزياء ويصير مادة دراسية له، كما أن علم الفيزياء لايتناول كثير من الأمور التي لها علوم خاصة بها لدراستها، فهي مقولة سطحية هزلية لاقيمة لها البتة.

والبرهان حتى يصير برهانًا ينبغي أن يكون ثابتًا بذاته ويقينًا،وليس هو محل شك أو اختلاف؛ لأنه سوف يكون أساسًا للبناء عليه أو معيارًا للحكم على الشيء، والبراهين أنواع حسب تعلقها بالشيء محل الدراسة، ولا شك أن أقوى البراهين هو البرهان العقلي؛ لأنه ليس نسبيًّا ويتصف بالثبات الوجودي مثل علم الرياضيات، ويصلح استخدام هذا العلم على الكوكب الأرضي وأي كوكب آخر؛ بل وأي كون آخر على افتراض وجوده، فهو علم ثابت برهانه عقلي منطقي، بخلاف الفيزياء أو الكيمياء فهي علوم نسبية متغيرة بتغير المكان، كما أن الطريقة التجريبية المخبرية تعتمد على الطريقة العقلية وتابعة لها وليس العكس.

وبما أن الإنسان يولد دون علم ويعيش في الواقع، وتتشكل عقليته من خلال تفاعل قدرته التمييزية ودماغه وحواسه مع الواقع صار الواقع بالنسبة له مصدر للتفكير والمعلومات وموضع للدراسة والتفكير بوقت واحد منه وإليه.

ومن خلال التفاعل مع الواقع نشأت الفلسفة والمنطق وظهرت مبادئ العقل أو المنطق التي منها ثبات الهوية، بمعنى أن الشيء هو الشيء ذاته مع مرور الزمن، يعني الماء هو الماء، والهواء هو الهواء والتراب هو التراب، وهذا لاينفي الحركة و التغير الجزئي والبنيوي للشيء داخليًّا وهذا يحصل وفق سنن ثابتة وبالتالي لايغير هويته عمومًا، وظهر أيضًا مبدأ السببية الذي يعني أن كل حادث لابُدَّ له من مُحدث ضرورة، وكل موجود لا بُدَّ له من مُوجد، وكل فعل لا بُدَّ له من فاعل.

وهذه المبادئ العقلية أو المنطقية نتجت عن تفاعل الإنسان مع الواقع فلاحظ ثبات تلك المبادئ وتكرارها دون تخلف أو خرق لها، فأعطى لها حكم الثبات واعتمدها في تشكيل العقل كميزان محاكمة للأشياء والتعامل معها، ولا يوجد عقل إنساني لا يقوم عليها وبها، واعتمدها في حركته العلمية والمعيشية والاجتماعية ؛ بل لا يُقبل من أحد الشك بها أو نفيها؛ لأن ذلك لو حصل لعمَّت الفوضى والهلاك والجنون في حياة الإنسان وحركته الاجتماعية، لنرَ ذلك من خلال بعض الأمثلة:

- علاقة الأم بأولادها حتى ولو كانت تنفي مبدأ السببية، نجد أنها ترسِّخ مبدأ السببية في تربية أولادها والتعامل معهم، ولا تستطيع أن تبوح لهم برأيها بنفي السببية؛ لأنها لو فعلت ذلك لاستخدم الأولاد هذا المفهوم ضدها وأصابوها بالجنون من خلال نفيهم عن أنفسهم أنهم سبب حصول الأخطاء أو الأحداث المنزلية ونسبهم إياها للحصول الذاتي دون سبب!

- علاقة الشرطة وأجهزة الأمن مع الجرائم والأحداث، تصوروا أن رئيس الشرطة لا يؤمن بمبدأ مفهوم السببية، وحصل جرائم قتل وشغب في المجتمع كيف

يتصرف رئيس الشرطة حينئذ؟ لا شك سوف يضرب بقناعته عرض الحائط، ويطلب من العناصر التحرك والبحث عن الفاعلين واعتقالهم؛ لأن الجريمة يلزمها وجود مجرم فاعل، والقتيل يلزمه وجود قاتل، وبناء على هذا المفهوم السببي يتحرك الشرطة، ولو انتفى مفهوم السببية لعمَّت الفوضى وسادت الجريمة.

- علاقة الطالب بالنجاح في امتحانه، لا تجد طالبًا ينفي مفهوم السببية، بل يقوم ويدرس ليقدم امتحانه؛ لأنه لو نفى السببية لجاز أن يترك الدراسة ويظن أنه سوف ينجح، بينما نلاحظ أن لسان حال الطلاب جميعًا يقول: من جد وجد ومن درس نجح، ومن سار وصل.

- علاقة العلماء على مختلف اختصاصهم بمحل دراستهم يقوم ابتداء على مفهوم السببية، فمثلًا عالم الفيزياء الفلكي «ستيفن هوكنغ» (رغم أنه ملحد) عندما أثبت وجود الثقوب السوداء اعتمد على مفهوم السببية؛ لأن الثقوب السوداء لم يقع الحس عليها، وإنما وقع على أثرها من حيث احتجازها للضوء وجذب أي جسم يدخل في مجالها؛ مما جعلها تبدو كثقب أسود عملاق.

ومن هذا الوجه أطلق عليها اسم الثقب الأسود وهو تسمية مجازية، وهذه الآثار كانت سببًا لإثبات أنه يوجد في هذه البقعة المظلمة كتلة كبيرة تتمتع بثقل وضغط وجاذبية كبيرة جدًّا لدرجة جذب كل شيء يدخل مجالها حتى الضوء.

إذن؛ مفهوم السببية ثابت عند كل الناس عمليًّا، ومن ينفيه يُبقيه في ذهنه ويثرثر به ليس أكثر، وهو أول الناس يطبقه في حال حصل معه حدث معين، كما أنه يرفض أن يحتج بنفيه أي أحد وينسب حصول الحدث لذاته تلقائيًّا دون سبب أو فاعل!، ولو أراد تطبيق مايثرثر به من نفي مفهوم السببية لانتحر فكريًّا ولم يعد يصح شيء في ذهنه.

وثبوت مفهوم السببية العملي في الواقع دون تخلف جعله مفهومًا فطريًّا مُسَلَّمًا به لدى العقلاء لا يطلب أحد البرهان عليه، ولا يقبلون الاختلاف فيه، ولا يلتفتون لمن يرفضه ولا يأبهون لقوله.

قال الملحد: إن مفهوم السببية (لا بُدَّ لكل فعل من فاعل) لا يصلح لإثبات وجود خالق للكون؛ لأنه سوف ينسحب عليه مفهوم السببية، ويُقال: من أوجد الخالق؟ وهكذا نبقى في دوامة ومتاهة لا نهاية لها ولا جواب، ولا يصح نفي صلاحية وفاعلية مفهوم السببية وإثبات وجود الخالق خارج مفهوم السببية، فإما أن نُثبت قاعدة السببية بشكل دائم دون استثناء أو ننفيها كليًّا ونعطي للوجود صفة الوجود الذاتي التي نعطيها للخالق؟

قلت: فهمك خطأ حينما سحبت مفهوم السببية على الفاعل الأول، وذلك لأن مفهوم السببية يُطبق على الفعل والوجود الذي يحتاج في وجوده لغيره، مثلًا؛ لو دخلنا إلى غرفة تركناها فارغة لا يوجد فيها شيء وشاهدنا طاولة وكرسي وأدوات كهربائية وشخص جالس، نسأل عن الأثاث والأدوات من أحضرها لعلمنا أنها لا تحضر بذاتها ولابُدَّ لها من فاعل أحضرها، بينما لا نسأل الشخص من أحضرك؛ لأنه يملك القدرة على الحضور الذاتي.

وهذا يعني أن لا بُدَّ لكل سبب من مسبب، أو لابد لكل حادث من مُحدث، ينطبق على من يفقد القدرة على الحضور الذاتي، ولا ينطبق على من يملك القدرة بذاته على الحضور، و وجود الخالق هو من هذا القبيل، فهو واجب الوجود حاضر دائمًا بشكل لازم، واعلم أن كل مفهوم أو قانون له مجاله الذي ينطبق عليه ويتعلق به، ولايصح استخدام قانون معين على أمر مختلف خارج مجاله، بمعنى قانون الفيزياء لايصح تطبيقه في الكيمياء والعكس صوابًا، وهذا يعني أن قانون السببية يتعلق بالشيء الحادث وماينبغي تجاوزه إلى الوجود الأزلي! فهذا فعل غوغائي واعتباطي.

ولا يصح أن نسأل من خلق الخالق؟

فهذا السؤال مغالطة لفظية متناقضة مثل مقولة: من فعل الفاعل، ومثل مقولة: من وصل قبل أول واحد، والخالق لا يُخلق؛ لأنه فاعل أزلي وليس مخلوقًا أو حادثًا، ولا يصح استخدام كلمة موجود على الله؛ لأن دلالة كلمة موجود تعني امكانية وجوده أو غيابه، بينما الله يتصف بصفة الوجود الذاتي الدائم، فهو حي قيوم صمد، ولذلك استخدم الفلاسفة كلمة (واجب الوجود) للدلالة على الوجود الأزلي لله.

والوجود على أنواع:

- مستحيل الوجود، وهو ما يستحيل تعقُّل وجوده، مثل افتراض نفي الفاعل وبقاء الفعل!
- ممكن الوجود، وهو ما يُجيز العقل وجوده أو نفي وجوده وهلاكه، مثل الوجود الفعلي الحادث.
- واجب الوجود، وهو ما يُحيل العقل نفي وجوده لتعلق الوجود به كفاعل أزلي مغاير لفعله.

وانطلاقًا من عالم الشهادة الواقع المحسوس المدرك نصل إلى أن الوجود هذا هو حادث ومحدود له بداية مهما امتد في وجوده الزمني في القدم فهذا لاينفي عنه المحدودية والاحتياج ولا يملك القدرة على الوجود بذاته، ولا بُدَّ له من قوة مُغايرة في وجودها عنه تتصف بالحضور الذاتي الأزلي وهو حي قيوم كُلِّي القدرة والعلم والحكمة، ولايصح في هذا النقاش المنطقي إقحام تصورات الملل عن الخالق أو تجسيده أو تطبيقهم لتعاليم إرهابية أو إجرامية أو خرافية ينسبونها للدين أو للإله؛ لنفي مفهوم الخالق المدبر الأزلي الثابت واقعًا ومنطقًا.

ويوجد ثلاثة احتمالات

1. يوجد للخالق خالق قبله خلقه، تطبيقًا لمفهوم السببية بشكل سطحي.

هذا كلام متناقض؛ لأن الخالق لا يحتاج إلى خالق غيره ليخلقه وإلا انتفى عنه بداية اسم الخالق وصار مخلوقًا، ووقعنا في فرضية التسلسل التي هي نسبة وجود الحادث إلى حادث قبله إلى ما لا نهاية، بمعنى الفعل سبقه فعل، وهكذا سلسلة من الأفعال اللامتناهية ولا ترجع إلى فاعل أول، وهذا الافتراض باطل منطقيًّا وواقعًا؛ لأنه ينقض مفهوم السببية الثابت ضرورة، ولا يصح نسبة فعل إلى فعل بشكل لامتناهي، وافتراض ذلك يلزم منه الهلاك والفناء للجميع، بينما الواقع يشهد بوجودنا كأفعال، ويشهد بصواب قانون السببية، ولايصح نقض ماثبت أثناء النقاش والدراسة.

2. الخالق خلق نفسه.

وهذا تناقض فكري ولفظي لاجتماع العلة والمعلول في نقطة واحدة، وتعلق وجود كل منهما بالآخر، ووقعنا بفرضية الدور التي تعني تعلق وجود الأول بالثاني والعكس، وهي باطلة منطقيًّا وواقعًا لأنها تنقض قانون السببية، وهذا يوصل للفناء لكليهما لانتفاء وجود الفاعل، ويجعل كليهما فعلًا صدر من فعل أو الفعل المنفي أوجد ذاته، والواقع يشهد أن الفعل موجود وهو يدل على وجود الفاعل المغاير في وجوده للفعل ضرورة.

3. الخالق واجب الوجود وهو حيٌّ قيوم أزلي قائم بنفسه دل على ذلك المنطق والواقع المشاهد والمدرك من خلال ثبوت صحة قانون السببية، وبالتالي خرج الفاعل الأول من مفهوم قاعدة السببية، ولا تنطبق عليه لنفي عنه صفة الحادث أو الفعل.

الملحد: على افتراض أني وافقتك على صحة قاعدة مفهوم السببية وثبوتها، ولكن أقول لك: إن هذه القاعدة تعمل في وسط الكون وداخله ولا تعمل خارجه، وبالتالي لا يوجد مانع عقلي من قَبول فكرة وجود شيء خارج الكون يعتمد على الآخرين في تنفيذ مهامهم.

قلت: الموضوع ليس افتراضًا، بل هو حقيقة! ويُلزمك ولا تملك أن تنفيه أو ترفضه ابتداء كمفهوم ديني وهو حق.

واعلم أن دلالة كلمة الداخل والخارج تتعلق بالمكان، ولا يصح استخدام كلمة خارج الكون، فلا يوجد إلا وجودان:

الأول: واجب الوجود المتمثل بالخالق الأزلي الحيِّ القيوم الصمد وهو كينونة أحدية.

والآخر: هو الوجود الحادث بكل أبعاده.

ولا شك أن وجود الخالق الأزلي مغاير لوجود فعله الحادث ضرورة منطقية وواقعية وإلا انتفى عنه اسم الفاعل الحيِّ القيوم الأزلي وصار الوجود واحد، إما الوجود للفاعل وحده فقط، أو الوجود للفعل وحده فقط، و افتراض وجود الفعل وحده باطل ضرورة لأنه فعل محدود ومحتاج وقاصر كما هو مشاهد، ولايصح افتراض إمكانية تسلسل هذا الفعل دون نهاية في وجوده لبطلان هذه الفرضية ونفيها من قبل المنطق والواقع لابد للفعل من فاعل، وثبوت وجود الفعل ونفي عنه أنه الفاعل، ونفي وجوده اللانهائي برهان على وجود الفاعل المغاير في وجوده لوجود الفعل وهو يكون الخالق المدبر للوجود كله.

وما ينطبق على الفعل من أمور لا تنطبق على الفاعل، وإلا انتفى عنه اسم الفاعل الأزلي وصار مقهورًا وفعلًا لغيره، وهذا باطل كما ذكرت آنفًا، وهذا يعني أن مفهوم السببية يتعلق بالفعل والحادث، ولا يتعلق بالأزلي الحي القيوم، كما يتعلق السؤال بمن أحضر الطاولة والكرسي إلى الغرفة لحاجتهم إلى فاعل ومحرك، ولا يتعلق السؤال بالشخص الحاضر في الغرفة؛ لأنه يتصف بالحركة والفعل الذاتي.

لذا؛ قولك: (إن هذه القاعدة تعمل في وسط الكون وداخله ولا تعمل خارجه، وبالتالي لا يوجد مانع عقلي من قَبول فكرة وجود شيء خارج الكون دون فاعل

له ويعتمد على الآخرين في تنفيذ مهامهم) صوابٌ من حيث تعلق القاعدة السببية بالوجود الحادث، ولكن عندما عدت وذكرت إمكانية وجود شيء خارج الكون دون فاعل لتنفي صلاحية السببية، وتعطي للفعل الحادث صفة الدور أو التسلسل اللانهائي وقعت بالتناقض؛ لأنه لا يوجد شيء غير الوجود الحادث بأبعاده وبصرف النظر عن التفصيل، بمعنى لا يوجد شيء اسمه خارج الكون، ووصفك له بالشيء ونفي الفاعل عنه هو بالحقيقة إثبات أنه فعل حادث وينطبق عليه القوانين المنطقية الثابتة.

وبالتالي هو جزء من الوجود الحادث الكوني، وبالتالي لا يصح نفي عنه مفهوم السببية، فطالما هو فعل أو حادث لابد له ضرورة من فاعل أول قائم بنفسه مستغن عن فعله، وهذا يرجعنا إلى أن مفهوم السببية صواب، ويتعلق بالشيء الحادث وهو الوجود الكوني كله دون استثناء لأي شيء منه تحت أي مسمًّى، بينما لا يتعلق مفهوم السببية بالوجود الأزلي لانتفاء عنه صفة الحدوث والفعل، لذلك ينبغي أن لاتخلط بين الوجود الأزلي، والوجود الحادث وتعاملهما بمستوى واحد من التفكير وتطبق عليهما قانون السببية، فهذا عمل غوغائي اعتباطي لأن لكل منهما قواعد خاصة به، والإنسان لايفكر إلا بواقع وفق مقايسس محدودة، فكيف يريد أن يفكر أو يدرس الوجود الأزلي بمقاييس نسبية محدودة؟ وقانون السببية يتعلق بالوجود الحادث المحدود ولايتعلق بالوجود الأزلي.

الملحد: طالما قبلت أن الوجود الأزلي للفاعل ليس له بداية وهو علة الوجود، لماذا لاتقبل أن الوجود الكوني للفعل أزلي بذاته دون بداية وهو مستمر بفعل الولادة والنشوء عن بعضه دون نهاية؟

قلت: أنت تخلط خلطًا عجيبًا بين الأفكار وتضرب المنطق والواقع والتفكير، كيف استوى معك في الخطاب الفاعل مع الفعل؟

كلامك كمثل من يقول: لماذا قبلت وجود الشخص ومجيئه إلى الغرفة وحده دون

فاعل، ولِمَ تقبل وجود الكرسي أو الطاولة وحدها دون فاعل؟

هل هذا كلام عاقل ومنطقي؟

القَبول ونفي القَبول للفكرة أمر يتعلق بصوابها من خلال البرهان المنطقي الواقعي، الإنسان فاعل يملك الحركة والانتقال بنفسه، فمنطقيًّا لا أستغرب وجوده في الغرفة أو كيف أتى ولا أسأل عن الفاعل له لأنه فاعل بذاته، بينما الطاولة و الكرسي والأشياء لاتملك القدرة على التحرك الذاتي والانتقال، ولذلك هي محل تعلق قانون السببية والسؤال عن الفاعل لها، لايستويان حُكمًا.

الملحد: وكيف ظهر الوجود الكوني الشيئي الحادث، أليس من شيء قبله، وهذا يوصلنا ضرورة إلى أزلية الشيء في الوجود أو تسلسل الأفعال دون بداية؟

قلت: ثبت لدينا أن الشيء حادث ضرورة مهما امتد في وجوده الزمني وبأي صورة كان، وهذا ينفي عنه صفة الدور أو التسلسل في الوجود السابق، وإلا نقضنا قانون السببية، وبثبوت ذلك ظهر خطأ مقولة: (خُلق الكون من العدم) وذلك لأن العدم كلمة تدل على حال شيء فقد فاعليته وصلاحيته (مادة خام أو نفايات) ونقول: سيارة عدم، بمعنى أنها عاطلة وخربانة لا تصلح للاستخدام، ونقول: إنسان معدم، بمعنى فقير جدًّا، ونقول: إعدام المجرم شنقًا، بمعنى زهق حياته وإهلاكه وجعله عاطلًا عن الحياة وفاقدًا لها، فالعدم هو حال شيء وليس لا شيء، وبالتالي لا يصح نسبة الخلق له؛ لأن ذلك يصير أن الكون خُلق من نفايات أو مادة خام أو طاقة خامدة غير فاعلة، وبالتالي رجعنا إلى فرضية الدور أو التسلسل في الفعل إلى ما لا نهاية وهي فرضية باطلة منطقيًّا وواقعًا.

و ظهر لنا خطأ مقولة: (خُلق الكون من لا شيء) لأن القائل بذلك جعل اللاشيء شيئًا عندما نسب له الخلق، وبذلك وقع بفرضية الدور أو التسلسل الشيئي ضرورة، وهي مقولة باطلة قطعًا.

إذن؛ ما الصواب في الجواب عن كيف بدأ الخلق بصرف النظر عن التفصيل أو العنصر الأول في الخلق؟

ينبغي استحضار ما ثبت لدينا من أن الوجود الكوني هو وجود موضوعي شيئي حادث، وبطلان فرضية الدور أو التسلسل في الخلق السابق اللانهائي، وإثبات مفهوم السببية، وإثبات وجود الفاعل الأزلي الحي القيوم المغاير في وجوده لوجود فعله، نقول: إن الخلق الكوني وُجد بعد أن لم يكن موجودًا ابتداء بإرادة الخالق العليم الحي القيوم، بمعنى أن الخلق للكون تم بعد أن لم يكن شيئًا، وهذا الكلام هو وصف لوجود الشيء الأول كيف تم وجوده وليس نسبته إلى ما قبله؛ لأنه لا يوجد شيء قبله.

الملحد: لماذا لاتقبل أن الكون له صفة الوجود الذاتي الأزلي وهو تعبير عن التسلسل في الوجود كما قبلت الوجود الذاتي الأزلي للخالق؟

قلت: لقد عدت إلى قولك السابق! عجيب قياسك وفهمك! هل يمكن أن يكون الفعل ذاتي أزلي مثل وجود الفاعل الأزلي الذاتي، ونعد أن المقولتين متطابقتين ويلزم من يقول بأزلية الفاعل أن يقبل قول أزلية الكون (الفعل)؟ لايستويان حكمًا! المنطق والواقع لايقبل وجود فعل من فعل إلى مالانهاية من الأفعال التي تسبق بعضها (فعللة)، بينما يقبل انتهاء الفعل إلى فاعل أزلي يكون مصدر كل الأفعال.

الملحد: فرضية الدور باطلة منطقيًّا ولكن فرضية التسلسل خطأ على كوكبنا وحسب تصورنا للأمور، ولكن هي يمكن أن تكون صوابًا خارج الكون، ألا تر صحة اللانهاية وهي حالة متسلسلة دون نهاية لها وهذا أمر ثابت رياضيًّا؟

قلت: مفهوم اللانهاية له وجهان:

الأول: حالة رياضية محلها الذهن لاواقع لها، مثل العد من واحد إلى ما لانهاية دون توقف، بينما النقاش يتعلق بأمر واقعي، وكل شيء معدود ويقبل الإحصاء بصرف النظر عن قدرة الإنسان على ذلك أو عجزه.

الثاني: حالة تتعلق بحركة فيزيائية مثل حركة نواس أو رقَّاص الساعة الجدارية مثلًا، فهو يتحرك يمينًا ويسارًا دون توقف، ومن لايعرف قوة حركته وينظر له بسطحية يظن أنه يتحرك دون بداية ولانهاية، وهو دائمًا يصل إلى نقطة ويعود من حيث بدأ، فيحكم عليه أنه أزلي في وجوده وسرمدي في استمراره ولاوجود لفاعل له سابق عنه لأنه لابداية له أصلًا، وبالتالي هو فعل صدر عن فعل دون نهاية، وبذلك أثبت فرضية التسلسل، وهذه الرؤية هي نتيجة نظر سطحي ظاهري كمن رسم حول نفسه دائرة وعندما أغلقها قال: لابداية لها ولانهاية لأن كل نقطة في الدائرة تصلح أن تكون بداية ونهاية بوقت واحد، وصار يستغرب كيف دخل فيها! وهذا التساؤل هو مجرد تصور وليس تعقلًا ولا دراسة منطقية علمية عميقة للحدث، وينبغي الانطلاق من مفاهيم وقوانين منطقية علمية ابتداء من أن الحركة لابد لها من قوة تدفعها ومحرك لها، ولايُشترط رؤية المحرك لإثبات وجوده ولكن يستحيل تصور نفي وجوده، وبالتالي حركة رقاص الساعة لابد له من محرك بدأ تحريكه قطعًا، وهذا يعني أن الحركة التي نراها متسلسلة سواء بشكل عمودي أو أفقي أو دائري لاشك أن كلها لها بداية وقوة حركتها وهذه الحركة في طريقها للتلاشيء بعد انتهاء القوة أو الجهد الذي حرَّكها، ولابد لها من قوة جديدة لتحركها، ومثل ذلك أيضًا كمثل البدء في إنشاء دائرة من نقطة محددة ضرورة، ولكن بعد الانتهاء من إنشائها تصير الدائرة دون بداية ولانهاية لمن ينظر إليها أو لمن يعيش في داخلها، ويقول إن الدائرة لابداية لها ولانهاية نتيجة تصوره الظاهري، بينما العالم لايغيب عنه قوانين المنطق وقواعده، ويعلم ضرورة أن الدائرة لها بداية إنشاء ويوجد فاعل بدأها ولو ظهر صورتها النهائية أنها دون بداية ولانهاية ولكن هذا الشكل كله له بداية، حتى العد الرياضي له بداية في الواقع من حيث تعلقه بالشيء رغم أنه ذهني، والعدد السلبي هو مقابل العدد الموجب وإذا انتفى العدد الموجب انتفى العدد السالب، وهذا يؤكد أن حالة العد سواء أكانت موجبًا أو سالبًا فلها بداية ضرورة، واللانهاية لها هي حالة ذهنية غير واقعية، لأن العد ينتهي بانتهاء المعدود.

الملحد: وهل من العقلانية إثبات وجود شيء بعد أن لم يكن قبله شيء؟ ونحن نشاهد في الواقع العملي كل شيء يوجد من شيء قبله.

قلت: ينبغي أن تفرق بين فعل التصور، وفعل التعقل، فلا شك أن الإنسان لا يستطيع تصور إيجاد شيء بعد أن لم يكن شيئًا، ولكن يستطيع أن يتعقل ذلك بالتفكير والدراسة المنطقية، فقد مرَّ معنا إثبات ذلك منطقيًّا من خلال مفهوم السببية وبطلان فرضية الدور والتسلسل، وأن الوجود الشيئي كله حادث دون استثناء لأي جزء منه، وإثبات وجود الخالق الأزلي الحي القيوم المغاير في وجوده لوجود فعله ضرورة، وهذا هو التعقل المنطقي.

أما نفي التصور لذلك فهو شيء طبيعي ومنطقي؛ فمن يستطيع أن يتصور اللانهاية؟ وهذا الفعل يتعلق بالخالق الأزلي، والتصور له يلزمه مقاييس أزلية، وهي غير متوفرة لأحد من الخلق، وانفرد الخالق الأزلي بها وهي من مقومات ألوهيته، وإلا فلماذا هو إله أزلي؟

وعندما ابتدأ الخلق بعد أن لم يكن شيئًا صار الخلق يحصل من بعضه بصورة تفاعل وتوالد ثنائي وزوجي، وظهر صواب مفهوم أن الشيء يظهر من شيء قبله وليس من العدم أو من لا شيء، وينتهي صلاحية هذا المفهوم عند بدء الشيء الأول، كما أن مفهوم لا بُدَّ لكل فعل من فاعل ينتهي صلاحيته بانتفاء الفعل.

ولذلك أقول: إن التصديق بوجود الخالق الأزلي الأول الحي القيوم هو موقف عقلاني منطقي واقعي، ونفي ذلك هو موقف لا عقلاني ويصيب صاحبه بالحيرة والضياع والضلال، ولذلك نشاهد موقف الملحد دائمًا ينتهي باللا أدرية ويختبئ خلف مقولة: العلم لم ينته، ولا أدري ربما تكون هذه القواعد المنطقية خاصة بالكون الشيئي هذا، ولا تصلح ما وراء الكون، وقصد نفي صحة مفهوم السببية.

وأقول لك: اليقين لا يزول إلا بيقين مثله، وما ثبت يقينًا يستمر العمل به حتى

يثبت العكس، والظن لا ينفي اليقين، وصاحب الموقف العقلاني يتعامل مع ما ثبت لديه، ويطرد الوسواس والتصورات اللامنطقية، واعلم أن هذه المفاهيم هي كونية ثابتة وليست نسبية، ومهما امتد العلم وتطور لا يمكن نفيها أو نقضها لثبوتها.

الملحد: طالما تقبل بسرمدية الوجود واستمراره إلى مالانهاية من خلال نظرية الموت و الحياة والبعث والجنة و النار والتغير في الصور؛ ونفي تحوله إلى لاشيء، لماذا لاتقبل بأزلية الوجود، وبالتالي الوجود الكوني أزلي في وجوده وسرمدي في بقائه؟

قلت: مازلت تعيد الشبهة ذاتها بعدة صور وصيغ، يوجد فرق بين استمرار وجود الفعل في الزمن الحاضر والمستقبل بصورة سرمدية لانهائية، وبين وجود الفعل في الماض دون بداية بصورة أزلية سواء أكان الفعل عيني يتعلق بصور الشيء مثل الإنسان والسماء والأرض...الخ، أو نوعي مثل العناصر الأولية الذرية وما تحويه من جزيئات في داخلها من الكترونات وبروتونات وكواركات، أو فوتونات الضوء... الخ، المنطق ينفي اللانهاية في استمرار توالد الأفعال في الماض كونها حادثة ومحتاجة وقاصرة ولابد لها من بداية منطقيًا وواقعًا ويسبقها حال اللاشيء وإلا نقضنا قانون السببية ابتداء، بينما لا ينفي المنطق استمرار وجود الفعل باتجاه الأمام والمستقبل بشكل لانهائي في وجوده (سرمدي) لأن الفاعل أزلي، ويستمد الفعل وجوده من الفاعل نفسه، و هذا أمر يخضع للإمكانية وإرادة الفاعل وقدرته ولاينقض أي قانون منطقي.

الملحد: هب أني وافقتك بما ذكرت من نقاط، يوجد نقطة مهمة جدًا في الموضوع لم تتطرق لها وهي؛ بناء على كلامك أن الفعل هو شيء حادث ضرورة وله بداية مهما تقادم في الزمن وطال، وهو لاشك زمن قصير وقليل جدًا بالنسبة إلى مفهوم اللانهاية، وأنت تقول إن الفاعل الأزلي سابق في وجوده عن فعله ضرورة وكان ولاشيء معه، ويلزم من قولك هذا أن الفاعل الأزلي كان في وجوده قبل فعله ليس فاعلًا ولايفعل شيئًا وهو في حالة سكون وسُبات؛ وفجأة في نقطة معينة على شريط الزمن قرر هذا

الإله أن يخلق، وبدأ الخلق، فالسؤال: ماذا حصل للإله حتى ظهر قرار الخلق، و ماهو حال الإله خلال وجوده الأزلي قبل الخلق، ماذا كان يفعل؟

قلت: أنا أدرك من البداية أن هذه الشبهة في ذهنك وهي الدافع لكل الشبهات التي تعرضها!

اعلم بداية أن الإنسان لايفكر إلا بواقع يكون محلًا لدراسته وفهمه وتحليله، وهو مصدر علمه وموضع للتفكير بوقت واحد، واعلم أن التعقل شيء، والتصور شيء آخر، فليس كل ما يتعقله الإنسان يمكن أن يتصوره، وأكثر الناس إيمانًا بالتعقل دون تصور هم العلماء، ويتعاملون مع الأشياء بثقة لتعقل وجودها واكتشاف قانون حركتها، وهذا من عالم الغيب الذي يتعامل به العلماء ويعيشونه، فنحن نعيش بعالم غيبي نتعقله ولانتصوره إلا بشكل نسبي ومتغير وفق قدراتنا الحسية واحتياجنا، وليس من الضرورة أن يكون حقيقة الشيء كما نتصوره.

ماذا يعني هذا الكلام ؟

يعني؛ أن الإنسان يفكر ويفهم الواقع الشيئي بمقاييس نسبية ومحدودة ومتغيرة حسب تطور أدواته المعرفية، ولايمكن له أن يفهم أو يفكر بأمر غير الواقع الشيئي وفوق أدواته المعرفية وقدراته الحسية ومقاييسه النسبية.

مثلًا؛ نحن عندنا مقاييس نقيس بها الأوزان (كغ)، ومقياس للأطوال نقيس بها المسافات(كم)، وهكذا بقية المقاييس فيما يتعلق بالحرارة والبرودة وماشابه ذلك، ومهما تصاغر الشيء أو تعاظم فهو لايخرج عن كونه شيء ويخضع للتفكير والتعقل حسب مقاييسنا وقدراتنا الفهمية، ولايمكن أن نتصوره رغم أنه شيء إلا حتى يقع الحس عليه مباشرة أو من خلال الأدوات التي نستخدمها في تكبير وتعظيم حواسنا، وهذا يعني أن الإنسان يفكر بالشيء بشكل نسبي، ودائرة التعقل عنده أكبر من دائرة التصور، وليس كل أمر نتعقله يمكن أن نتصوره، والتصور بعد التعقل مرتبط بالحس

بالشيء ضرورة، وإن انتفى الحس انتفى التصور ويرجع التعامل إلى دائرة التعقل.

إثبات وجود الفاعل الأزلي الأول حصل بعملية التعقل وقام البرهان على ذلك، وبما أن الفاعل الأول أزلي في وجوده فهو غير الشيء ضرورة ولايخضع لمقاييس التفكير عند الإنسان وكل مايتعلق بذاته هو خارج دائرة التصور والفهم، وهذا الأمر هو موقف منطقي عقلاني واقعي، وهذا يلزمنا أن كل مايتعلق بذات الله وشأنه قبل الخلق أمر خارج دائرة التصور ولانملك مقاييس للتفكير به أو دراسته لمحاولة العلم بشأن الله و وجوده، ولذلك أي سؤال يتعلق بشأن الله قبل بدئه للخلق ماذا كان يفعل وهل هو في حالة سُبات وسكون، ولماذا بدأ الخلق بنقطة معينة من الزمن دون غيرها لاقبل ولابعد، فهذه أسئلة نابعة من تفكيرنا الشيئي ونسبيته نسقطها على الوجود الأزلي، فكلمة الحركة والسكون والسُبات والفعل وعدم الفعل، إضافة إلى إسقاط صفات الإنسان النسبية المحدودة على الخالق الأزلي مثل صفة الملل والضجر والفراغ والعبث والتسلية والاحتياج والدافع...الخ، وكل هذه الأمور هي من دائرة التصور والنسبية الشيئية وليست من دائرة التعقل التي أوصلتنا بالبرهان المنطقي لثبوت وجود الخالق المدبر الأزلي الحي القيوم الصمدي الذي ليس كمثله شيء، وكونه يتصف بتلك الصفات الأزلية من قدرة وجلال وعظمة وحكمة وعلم فهو قطعًا مستغن عن فعله وخلقه وبدأ خلق الخلق ليس عن عبث ولاحاجة ولاملل... وإنما لحكمة أرادها هو ويعلمها، وأخبر الناس بما يهمهم في أمر خلقهم، وصدر منه الفعل إرادة واختيارًا وليس إلزامًا ولاحاجة، وإطلاق اسم الفاعل أو الخالق عليه أتى بعد الخلق وليس قبله، وهذا لايعني أنه لايتصف بمقومات الفاعل الأزلي أو الخالق فهذه أسماء فاعل أتت من الأفعال له وليس من أسماء الذات مثل الحي القيوم والحكيم والعليم والقادر، ومضمون صفات هذه الأسماء المتعلقة بالفعل موجودة بمقومات أسماء الله الذاتية، بمعنى أن اسم الخالق ظهر نتيجة ترادف وتضامن مجموعة من أسماء الله مع بعضها مثل العليم والحكيم والخبير والقدير، فلايهم ظهور اسم الخالق فيما بعد ولايدل على احتياجه أو عجزه بل هو يتصف بمقومات اسم الخالق لزومًا،

ولذلك كان إثبات وجود الخالق المدبر الأزلي موقف عقلاني منطقي، ونفي التصور له أو العجز عن التصور لكل مايتعلق بذات الله وشأنه أيضًا موقف عقلاني ومنطقي، وهذا يعني أن الإنسان الذي يستخدم عجزه عن تصور الخالق ووجوده، ولاشيء معه وابتداؤه الخلق بعد أن لم يكن شيئًا، ونقض قانون السببية، وافتراض جواز إمكانية وجود الشيء دون نهاية لبدئه؛ هو انتحار فكري ونقض للعقل والمنطق.

و القول بنظرية الانفجار الكوني أو التطور للخلق أو نفي ذلك، فالأمر سيان لا ينفي صواب ما ذكرت آنفًا من قواعد وقوانين ومبادئ منطقية عقلية واقعية، فهذه بالنتيجة أفعال وأشياء لا بُدَّ لها من فاعل أول ضرورة، وهذا يعني أنه يمكن أن يكون الإنسان مؤمنًا بالله ويقول بالخلق المباشر حسب فهمه وتصوره، ويمكن أن يكون الإنسان مؤمنًا بالله ويقول بالتطور والانفجار الكوني، ولا تُدرس هذه المسائل من وجهة نظر دينية وإنما تُدرس من خلال العلم.

أما سوى ذلك من الشبهات التي يعرضها الملحد كانتشار الشر والفساد والظلم وسفك الدماء والأمراض والكوارث الطبيعية... إلخ، فهذا لا علاقة له بدراسة إثبات بدء الخلق وأزلية الخالق، ولا يصح منطقيًّا استخدام نفي علمنا بكيفية حصول شيء أو الحكمة منه أو المقصد، بنفي أمر آخر ثبت لدينا بالبراهين، فالإنسان المنطقي والعقلاني لا يخلط بين الأمور، ويُثبت ما ثبت ويدرس ما لم يعلم سببه أو علته، وسواء وصل إلى العلم به أو لم يصل لا ينقض ما ثبت؛ لأن لكل موضوع طريقته في البحث والدراسة والبراهين، ومن باب أولى أن لا يستخدم التاريخ والتراث والأكثرية للحكم على الأمر بالحق أو الباطل، وينبغي أن تكون الدراسة موضوعية وحيادية.

عميت عين لا تراك...وفي كل شيء لك آية

تدل على أنك الواحد الأحد

مفهوم النفي

يعيش الإنسان في عالم ذو أربعة أبعاد، ويفكر فيه وبه، ولايمكن للإنسان أن يتصور أي أمر خارج هذا العالم الرباعي الأبعاد بخلاف التعقل فهو ضمن إمكانية الإنسان وهو حكم يتعلق بالوجود وليس بالتصور، ولذلك نقول: الواقع هو أساس التفكير وموضعه بوقت واحد، والتفكير هو ظاهرة اجتماعية وليست فردية، مما يعني أن المجتمع هو الذي أوجد التفكير عند أفراده، وهو الذي يصيغ شخصيتهم ويوجهها، والتفكير لايمكن أن يظهر أو يعمل إلا بنظام لساني يكون حاملًا له، وهذا يعني أنه لاتفكير دون لسان يحمله أو يعمل به، ليصير اللسان ظاهرة اجتماعية أيضًا، فالمجتمع هو الحاضن لكل من التفكير واللسان، والواقع هو الحقل الميداني الذي يحكم الجميع.

وبما أن الواقع هو الأصل والأساس صار لاتفكير إلا بواقع، وانعكس الواقع بقوانينه على التفكير واللسان وحَكَمَهُما، وظهر قوانين المنطق ومبادئه وظهر نظام النحو في اللسان منسجمين مع بعض موافقين للواقع، فالقانون الواقعي صار قانونًا منطقيًا وتم صياغة الكلام على موجب هذا القانون ومحكوم به، فمثلًا، الواقع يقوم على قانون (لابد لكل فعل من فاعل)، وهذا القانون ثابت لايتخلف أبدًا، فصار قانونًا منطقيًّا أو مبدأً ثابتًا، و ضبط صيغة الكلام من حيث أن كل جملة فعلية لابد لها من فاعل ضرورة سواء ظاهرًا في الجملة أو ضميرًا أو مُقدَّرًا، وصار الفاعل هو محور الجملة الفعلية وأساسها، مثل: قرأَ زيدٌ الكتابَ، ولو زال الفاعل (زيد) لزالت الجملة وتلاشت، فوجود الفاعل واجب لقيام الجملة وصحتها، وحتى لو غاب ذكر (زيد) من الجملة (قُرِأ الكتابُ) فالفاعل موجود حُكمًا في الواقع ويُقَدَّر ذهنيًا، ويستحيل

على العقل افتراض نفي وجود الفاعل كليًّا، وعندما افترض الملحد نفي وجود خالق أول صمدي أزلي انتحر فكريًّا لأنه نقض مبدأ واقعي منطقي لساني يقوم عليه الكون كله، والملحد ذاته يعتمد عليه في أمور معيشته ودراسته وعمله، ولايوجد أي عالم أو فيلسوف مهما كان موقفه من الدين نفيًا أو إثباتًا ينفي قانون السببية في الواقع، وخاصة بدراسته العلمية أي كان اختصاصه! لأن نفي قانون السببية ينفي دراسة العالم ولم يعد لها قيمة ولايستطيع أن يستمر بها.

والملحد الذي يثبت قانون السببية في الواقع ومن ثم يدَّعي: باحتمالية استمراره إلى ما قبل أن يصير الواقع شيئًا ولايجد مانعًا من ذلك؛ يكون تجاوز بكلامه الوجود الشيئي وصار يتكلم عن اللاشيء لأن قبل أن يوجد الواقع لم يكن شيئًا يتعلق به الفعل، والأفعال كلها ضمن دائرة الواقع ولابد للفعل من نقطة بداية ضرورة وهو مقتضى دلالة كلمة الفعل، ولبطلان فرضية الدور والتسلسل، وبالتالي ينتهي صلاحية قانون السببية عند أول فعل حدث بعد أن لم يكن شيئًا، وكان الوجود للفاعل الأزلي الذي لاينطبق عليه قانون السببية ضرورة لتغايره في الوجود، ومن يسحب قانون السببية على الفاعل الأزلي يكون قد قام بالانتحار الفكري، وصار مثله كمثل من يعيش في عالم ثنائي الأبعاد ويحاول أن يطبق رؤيته وقوانينه على عالم رباعي الأبعاد، وقصدت تطبيق قانون السببية على مفهوم الأزلية الذي هو اللانهاية، ويستحيل على ذو التفكير الرباعي الأبعاد أن يتصور اللانهاية، والحري به كمفكر أن يكتفي بقدرته ومايستطيعه على التعقل فقط المرتبط بالشيء ويقف عن محاولة التصور للوجود قبل أن يصير شيئًا لفشل كل محاولاته، وعجزه عن تصور اللانهاية هو إدراك لقصوره وضعفه ومحدوديته، فيصير نفي إدراكه واستحالته هو من مقومات الإيمان بالخالق المدبر الواحد القهار؛ لأنه وصل إلى تلك المرحلة عن طريق الواقع والمنطق، وصار إثبات وجود الخالق المدبر موقف منطقي واقعي، ونفيه موقف لامنطقي ولاعقلاني.

لندرس أسلوب النفي في الكلام مثل: زيد ليس في البيت، نلاحظ من تحليل

عناصر الجملة أن مفرداتها تتعلق بالواقع، فزيد موجود، وكذلك البيت موجود، ووجودهما موضوعي خارج الذهن، وهذا يعني أن النفي يتعلق بشيء موجود خارج الذهن يتناوله بنفي عنه حكم معين أو وصف.

ونلاحظ أن النفي يكون لشيء ثابت مسبقًا أو يمكن حصوله، فزيد كان في البيت أو يمكن أن يكون في البيت، فأتت جملة النفي تنفي وجوده في البيت، وبهذا المثل نصل إلى أن النفي يتعلق بالشيء الموجود مسبقًا أو يمكن وجوده، مما يدل على أن الثبوت هو الأصل في الواقع، وأسلوب النفي عارض ويتعلق بقصور علمي عند الإنسان لأنه لو كان يعلم كل شيء على حقيقته لما احتاج إلى أسلوب النفي وسمى الأمور بمسمياتها وأخبر عنها كما هي في الواقع، مثلًا لانحتاج لنفي عن زيد أنه جبانًا أو نفي عن السماء لون الأخضر ونقول مباشرة زيد شجاع والسماء زرقاء، وكل من يسمعه يوافق على ذلك لموافقة كلامنا لمقتضى الحال في الواقع، ولكن الواقع أن الإنسان قاصر في علمه ومحدود القدرات ولذلك ظهر أسلوب النفي ليغطي عجزه وقلة معلوماته ويدفعه إلى البحث والدراسة، ورغم ذلك العجز وقلة المعلومات فإن النفي مرتبط بالشيء الثابت، وهو مرحلة لاحقة له.

فالإثبات والنفي يتعلقان بالشيء، ولايصح تعلقهما بلا شيء، بمعنى لايصح إثبات اللاشيء أو نفيه، لأن اللاشيء لاشيء وليس هو بمحل تعلق شيء به لاعلمًا ولاجهلًا ولا إثباتًا ولانفيًا.

ماذا يعني هذا الكلام ؟

يعني هذا الكلام أن الإنسان لايمكن له نفي اللاشيء، وعندما ينفي يكون نفيه يتعلق بشيء معين سواء أكان له وجود موضوعي خارج الذهن، مثل: ليس للحصان أجنحة، أو له وجود ذهني مركب من الأشياء، مثل: الغول وحش لايتكلم، نلاحظ أن عناصر الجملتين هي أشياء موجودة في الواقع وهو نفى عنها تركيبتها بصورة

معينة يعني النفي تعلق بالحكم على الشيء ولاعلاقة له بالتصور له، فالحصان كائن موجود واقعي، وكذلك الأجنحة موجودة للطيور، والغول وحش يتصوره الإنسان بصورة قبيحة ومخيفة له يصنعها من واقعه وفعل الكلام موجود، وهذا يدل على أن النفي لايتجاوز الموجود ومرتبط بالشيء ضرورة سواء أكان الشيء موضوعيًا أو ذهنياً متخيلاً، ولايستطيع الإنسان أن ينفي اللاشيء كما أنه لايستطيع أن يثبت اللاشيء، والحكم في ذلك كله هو للواقع فهو يصنف هذه الجملة صواب في حكمها أو خطأ.

لنر جملة: لا إله إلا الله

جملة خبرية منفية، والنفي لايكون إلا من خلال ثبوت عناصر الجملة في الواقع، وإلا صار الكلام عبثًا لاقيمة له ولاداعي لنفيه لأنه لاشيء.

عناصر الجملة الثابتة في الواقع وفي منطق الناس هي مقام الألوهية وهو يقوم على مقام الخالق المدبر، الثابت من جراء قانون لابد لكل فعل من فاعل، وبطلان فرضية الدور والتسلسل، وافتراض تعدد الآلهة في ذهن الناس كتصور ضال موجود، وحصر هذا المقام بإله واحد الذي هو الله المعلوم عند الناس أنه خالق السموات والأرض.

وهذا يعني مجرد أن تنف الألوهية (لا إله) يدل على ثبوت مقام الألوهية عند النافي ولكن ينف ذلك المقام عن جهة ما أو جهات، ولايصح نفي المقام ذاته من الواقع لأن النفي يلزمه تعلق بشيء يكون محل النفي، ونصف الكلام لاجواب له، ولابد من كلام يعقبها لإثبات الألوهية في جهة أخرى هي الحقيقية وحصرها بذلك فأتت كلمة (إلا الله) لتكمل الجملة وتغلقها ويتم المعنى.

وهذا يدل على أن الملحد الذي ينف وجود الإله هو شخص سار خطوة واحدة ووقف في نصف الطريق وصمت عن الكلام، ولم يتم المعنى عنده ولاعند السامع، وهو يحتاج لإكمال كلامه وسيره في الطريق والوصول إلى جملة (إلا الله) لينسجم عنده الكلام مع المنطق ومع الواقع، ولكن اختار الملحد أن ينتحر فكريًا.

حوارات قصيرة مع لا ديني

جرى نقاش ذات مرة مع ملحد حول عدم صلاحية التشريع القرءاني للزمن المعاصر.

قلت: هات لي حكمًا واحدًا من القرءان واجب تطبيقه سواء فعلًا أو تركًا غير صالح للزمن المعاصر أو العلم تجاوزه وأثبت بطلانه؟

قال: مُلك اليمين!

قلت: يا صاحبي ألم تنتبه لقولي: حكم واجب ملزم تطبيقه، حكم ملك اليمين وبصرف النظر عن صورته ليس ملزمًا ولا واجب التطبيق، فهو ضمن مجال المباح ومتروك ممارسته لحرية الإنسان وظروفه.

قال: تعدد الزواج من النساء!

قلت: أستغرب منك، هل تفهم (عربي)؟ أم لا تريد أن تفهم؟ أم أنت جاهل ؟

حكم تعدد النساء في النكاح وبصرف النظر عن مفهومه ليس حكمًا واجبًا ولا ملزمًا، هو ضمن مجال المباح ومتروك للإنسان الحرية وهو يقدر ظرفه ويخضع لنظام المجتمع.

قال: طيب، ما تقول في حصة الذكر مثل حظ الأنثيين؟

قلت: هذا الأمر يمكن أن تتجاوزه بالوصية قبل الوفاة فهي الأصل.

قال: طيب، الأمر بقتل الناس إن لم يدخلوا في دينكم.

قلت: لا يوجد في القرءان هذا الحكم وإنما يوجد الأمر بقتال الجهة العدوانية المجرمة الظالمة لدفع ظلمها وعدوانيَّتها وليس لإدخالها في الدِّين، فحكم الإيمان أو الكفر هو الحرية الشخصية.

قال: أنت حصرت الدِّين كله بالقرءان يوجد مئات الأحكام غير المنطقية في كتب فقه المسلمين بالسنة والشيعة.

قلت: أنت تريد نقاش الدِّين الإسلامي أم فقه السنة والشيعة.

قال: أصلًا أنت كافر عند السنة والشيعة ولا تمثل الإسلام.

قلت: جيد أحسنت بقولك، أنا لا أمثل الإسلام، ولكن لماذا جعلت السنة والشيعة يمثلون الإسلام ؟ من أعطاهم حق التمثيل هذا ؟

ولذلك قلت لك: القرءان هو مصدر الدِّين الإسلامي وليس أنا ولا السنة أو الشيعة!

وتوقف الحوار عند هذه النقطة.

وجرى نقاش آخر مع ملحد ذات مرة في مسألة دينية، فعرضت عليه فهمي من القرءان، فرفضه.

وقال: أنا أناقش الإسلام السائد الذي يمثله الشيعة وأهل السنة في كتبهم ومراجعهم، ولا أناقش فهمك أنت.

قلت: أنت تريد نقاش الدِّين الإسلامي فمصدره القرءان فقط، وإن كنت تريد نقاش الشيعة وأهل السنة، فهؤلاء فهم تاريخي وتفاعل سياسي وليس مصدرًا للدين، فينبغي عليك أن تحدد موقفك وماذا تريد أن تناقش وتفرق بين الإسلام كدين والمسلمين كممارسة.

قال: أنا يهمني الإسلام المطبق في الواقع المتمثل بالشيعة وأهل السنة وداعش وحالش، ولا يهمني إسلام نظري على الورق وفي الذهن فقط، أو يحمله بضع مئات في الكوكب الأرضي ولا يوجد أي تمثيل له.

- هل رأيتم خطورة التمثيل الشيعي والسني للإسلام على أرض الواقع؟

صار الفكر الشيعي والفكر السني فيروس خطير يفتك في جسم الأمة ويضر الدِّين الإسلامي أكثر من اللادينيين وغيرهم، ولذلك لا بُدَّ من فك الارتباط الفكري بين الإسلام والملل هذه، ونشر الإسلام القرءاني فقط دون ملة سوى ملة الحنيفية.

وجود الخالق الأزلي أصل ثابت

والبيِّنة على من يدَّعي غير ذلك

الشعور بالعطش دافع داخلي يتعلق بإشباع الحاجة وهو يدل على وجود شيء يتصف بالإرواء، وهذا الشعور يدفع العقل للبحث عن هذا الشيء، وإن قدَّم لجسمه نفطًا مثلًا يرفضه، وإن قدَّم ماء البحر المالح يرفضه، وهكذا حتى يقدم له الماء العذب فيقبله، وهكذا الشعور بوجود الخالق والاتصال به، يقوم العقل بالبحث ليعلم وحدانية الله، وترفض الفطرة أي إله مزيف وقاصر ومحدود، وفي حال تجاوز العقل الفطرة واعتقد بألوهية غير الله أو أشرك معه يصير اضطراب بين الفطرة و العقل ويظهر هذا باضطراب السلوك، والصواب أن ينسجم المفهوم العقلي مع قَبول الفطرة له، والأمر الفطري المنسجم مع الوجود الكوني وسننه هو وجود الخالق المدبر الأزلي، ولذلك أطلق الفلاسفة على هذا المفهوم (واجب الوجود) لاستحالة تصور نفيه، ويقوم العقل بالبرهنة على إثبات ما هو ثابت بالفطرة و الواقع فيحصل انسجام بينهما (الفطرة و العقل)، ولذلك الأصل بمفهوم وجود الله هو الثبوت وليس النفي، وبالتالي البيِّنة على المدَّعي وهو من ينكر هذه الحقيقة، وذلك كمثل وجود الإنسان نفسه فهو أصل ليس محل خلاف، ومن ينكر وجوده عليه أن يأت بالبيِّنة لأنه مدَّعي وليس العكس.

فلا تقعوا بفخ الإلحاد ومناورته

وجود الله الخالق المدبر حقيقة ثابتة، وماكان ثابتًا لايُطلب إثباته لأن الأمر يتحول إلى عبث ومهزلة فكرية، فمن يدَّعي نفي الثابت المبرهن عليه ظنًّا منه أنه يستخدم

القاعدة المنطقية يكون شخصًا مضطربًا فكريًا ومنطقيًّا لأنه يُغمض عيناه ويفترض نفي ثبوت الخالق في ذهنه ويطلب ممن يرى الحقيقة أن يجاريه في تلك المهزلة ويأتي ببرهان على وجود الثابت.

الثابت لايُثبت لأنه ثابت، وأي تقديم لإثبات ثبوته هو هزل وعبث وفخ يقع فيه المثقفون.

ومثل ذلك كمثل ثبوت الشمس في رابعة النهار ويأتي أحدهم ويُغمض عيناه ويطلب منك إثبات وجودها ويثرثر بالقاعدة (البيِّنة على المدَّعي) وفاته أنه المدَّعي خلاف الحقيقة.

قاعدة السببية، لابد لكل فعل من فاعل أو لكل حادث من مُحدِث، مفهوم ثابت فطرة وواقعًا ومنطقًا، وهو أمر يستحيل العقل تصور نفيه لأن نفيه هو نقض للعقل والمنطق وانتحار فكري وبطلان لكل الحقائق، فصار هذا المفهوم هو أصل ثابت لايحتاج إلى برهان ولاينطبق عليه قاعدة البيّنة على المدَّعي، لأنه تجاوز الادعاء وصار حقًّا ثابتًا، ومن ينفيه هو المدَّعي ويلزمه البرهان، ولايلتفت لأي محاولة لنقض هذه القاعدة وجعلها ظنية غير ثابتة فهذا عمل غوغائي لا قيمة له منطقيًّا أو علميًّا.

ويوجد مواضيع منطقية يحكم العقل يقينًا ببطلانها، وبالتالي لايصح أثناء الدراسة أو النقاش الاعتماد عليها كمضمون أو إنهاء الدراسة أو الفكرة بإقرارها افتراضًا، أو تمريرها ضمنًا أثناء الحوار أو الدراسة، وأهم تلك النقاط هي:

فرضية الدور: وهي حاجة الشيء الأول في وجوده لذاته أو لشيء آخر قبله، وحاجة الشيء الآخر للشيء الأول، حاجة دائرية، وهذا يقتضي البطلان والهلاك للاثنين، ويستحيل على العقل أن يتصور وجود هذه الحالة.

فرضية التسلسل: وهي احتياج الشيء في وجوده لوجود سابق عنه إلى ما لانهاية، بمعنى استمرار وجود الفعل عن فعل عن فعل بشكل لامتناهي ولايرجع نهاية

لفاعل، وهذا يقتضي بطلان وهلاك الجميع،و يستحيل على العقل تصور وجوده.

التعقل لايشترط له التصور: التعقل هو عملية عقلية تفاعلية مع الواقع وفق قواعد منطقية مبرهن عليها واقعيًّا يتم استخدامها في الحكم على وجود الشيء أو صحته ويمكن اكتشاف السنن التي تمكننا من التعامل معه، وليس كل ما نتعقله يمكن أن نتصوره، فنحن نتعامل مع كثير مع القضايا العلمية من منطلق التعقل فقط ونثبت وجودها بناء على قيام البرهان على وجودها وثبوتها ولانتصور ذات الشيء وماهيته، ولذلك يقال: نحن نعيش في عالم غيبي ونتعامل معه بثقة لوجود السنن والقوانين الثابتة، لذلك نفي وجود الشيء لنفي تصوره رغم تعقله أو العجز عن تصوره هو موقف غير علمي، والتصديق بوجود الخالق للكون كفاعل صمدي أزلي حي قيوم مغاير في وجوده عن وجود فعله يقوم على هذه الأمور بداية: إثبات قاعدة السببية وتفعيلها، إبطال فرضية الدور، وإبطال فرضية التسلسل، وإثبات وجود واجب الوجود ضرورة لازمة، والتعقل غير التصور وليس شرطًا له. وهذه الأمور هي الحد الأدنى في البرهنة، ويوجد براهين أخرى مختلفة ومتنوعة حسب رؤية الباحث.

وهذا يعني أن التصديق بوجود الخالق الأزلي الواحد هو موقف عقلاني، ونفي وجود الخالق هو موقف نفسي قد يصدر من حالة مرض نفسي فكري، أو اضطراب فكري نتيجة أزمات اجتماعية وضغوط ثقافية تراثية تناقض الفطرة والحرية الإنسانية.

ولذلك نقول:

التصديق بوجود الله موقف عقلاني فطري وهو الأصل الثابت ومن ينفيه يلزمه البيِّنة وموقفه نفسي وليس عقليًّا أو علميًّا، وبالتالي لايخضع للحرية، مثله مثل أي حقيقة علمية، فمن ينفيها لايُلتفت إلى رأيه ولايُسمع قوله، أما مفهوم الإيمان بالله فهو يعني طاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر كتحريم أو نهي في كتابه إضافة لعبادته تعظيمًا وخشية وخشوعًا، وهو موقف اختياري حر لا يُبرهن عليه، لأن عمود الدين يقوم على منظومة العمل الصالح والقيم والأخلاق وفق منظور الوصايا

العشر، وهذه الأمور لايصح طلب برهان عليها، بل لايطلب العقلاء إثباتها، لأن الحياة الإنسانية والاجتماعية لاتستقيم دونها.

والمقولة الجامعة لهذا هي:

التصديق بوجود الله الأحد الخالق المدبر، والإيمان بالله وحده، كلاهما مفهومان لايخضعان للبرهنة، لأن التصديق بالله قام على الفطرة والعقل وهو ملزم للعقلاء، والإيمان به قام على المنظومة الأخلاقية والالتزام الاجتماعي، والناس يملكون الحرية في اختيارهم ويتحملون مسؤولية اختيارهم أمام المجتمع في الدنيا وأمام الله في الآخرة، وهذا مفهوم (لاإكراه في الدين) لاإكراه في الالتزام بالأمور الدينية التي لاتتعلق بالمجتمع، ومن باب أولى أن لا يتدخل المجتمع بقناعة الشخص وتصوراته بصرف النظر عن صوابها أو خطئها، بينما ملزم الإنسان بالقانون الاجتماعي بصرف النظر عن قناعته، ومن هذه الرؤية ظهرت العلاقة بين الدولة والدين والحكومة والناس على أوجه معينة:

- علاقة الدين بالدولة علاقة جدلية بحيث يكون الجانب الديني الاجتماعي مصدر رئيس لدستور الدولة.
- علاقة الدين بالحكومة تقوم على الفصل التام بينهما، لأن مؤسسة الحكومة هي مؤسسة سلطوية مهمتها الإشراف على تطبيق الدستور والقانون وحماية المجتمع وتقوم على مفهوم الإكراه وليس الحرية.
- علاقة الدين بالناس تقوم على الحرية الثقافية كفكر ملزم ببرهانه نظريًا، وسلوك فردي حر مسؤول عنه. والمقولة الجامعة لهذا هي:

الدين للناس؛ حرية، والدولة منبثقة من ثقافة المجتمع كدستور وقوانين، والحكومة منضبطة بدستور الدولة وتقوم بالعناية الاجتماعية تستخدم السلطة الإكراهية (القوة).

نقاش مع ربوبي

الربوبيون هم أصحاب موقف إلحادي مُبَطَّن يثبت وجود الخالق وينفي اتصاله بخلقه بأي وسيلة كانت، ويعد ظهور مفهوم الدِّين نتيجة معاناة البشرية عبر التاريخ، وسموا أنفسهم كذلك لأنهم ينفون ربوبية الخالق لخلقه، ولا يوجد يوم آخر ولا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار، والإنسان مخلوق أحقر من أن يتصل به الخالق العظيم، فمن حيث النتيجة هم والملحدون سواء. ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:24].

الربوبي: معظم العلماء في العالم هم ربوبيون، وهذا يدل على أن هذا الموقف هو موقف علمي.

مسلم حنيف: ينبغي أن تفرق بين صفة الإنسان العلمية وموقفه الفكري الإيماني من شيء، فهؤلاء العلماء هل كان موقفهم الربوبي ناتج عن دراسة علمية مبرهن عليها من خلال علمهم أم هو موقف وقناعة شخصية مثلهم مثل أي إنسان عادي؟

الربوبي: هؤلاء العلماء لو لم يثبت لهم صواب الفكرة لما تبنوها، وهم حريصون على الحقيقة ويبحثون عنها.

مسلم حنيف: ينبغي أن تفرق بين كونهم علماء في مجال معين مثل الفيزياء ويعرضون دراستهم العلمية وبين إبداء رأيهم في الأمور الفكرية الفلسفية، وهذا خارج نطاقهم كعلماء، ورأيهم مجرد رأي عادي مثل أي إنسان آخر ما ينبغي أخذ قولهم بالفكر والفلسفة مثل قولهم بالعلم الفيزيائي أو غيره من العلوم بالمستوى ذاته،

فلكل منهما مجاله وطريقة تفكيره والبحث فيه.

افهم أن لكل عالم مجاله الذي يتميَّز به ولا يجب أن يتعدى على مجال غيره.. فالطبيب الفذ الأسطورة ربما يعجز عن إعراب كلمة عادية والكيميائي المخضرم لن يستطيع كتابة مقال يدحض فيه نظريات فريدريك نيتشه؛ لأن هذا ليس مجاله.. كل إنسان يستطيع أن يبدع في مجاله ولا ينبغي أن يحشر أنفه في مجالات أخرى.

الربوبي: لكن فيزياء الجسيمات شيء مختلف تمامًا.. إنها تغير رأيك في الوجود بأكمله.. إنها لا تشبه شيئًا من العلوم العامة.. علماء الفيزياء الكمية (و أغلبهم ربوبيون) يخوضون في لبنات الوجود الصغرى على الإطلاق كي يعرفوا الوجود وماهيته وأجزائه والتأثيرات المتبادلة بين جزيئاته.. فعملهم بطريقة ما يتقاطع مع الفلسفة والأديان والمعتقدات.. لكن بالطبع بمسار علمي صارم.

مسلم حنيف: مهما تقدَّم العالم بعلم الفيزياء فهو يدرس ظواهر واقعية، وهذه الظواهر لا تنقض علم الرياضيات مثلًا أو قواعد المنطق الصارمة، لو افترضنا أتى عالم فيزيائي كبير ولا يعرف الدائرة وأعطيناه إياها ليدرسها لانحصر تفكيره بها، ويحار من أين يبدأ، وأي نقطة للدائرة هي البداية، وسوف يخرج بناء على ما يرى ويدرس أن كل نقطة في الدائرة تصلح لأن تكون بداية ونهاية بالوقت ذاته وسوف يبني على ذلك أن الدائرة ليس لها بداية ولا نهاية، وهذا يدل على أزليتها ونفي وجود فاعل لها وهي موجودة وحسب، وكلامه صواب إلى حد كبير؛ لأنه يحكم على الشيء من داخله ولم يخرج عنه، ولكن لو خرج من الدائرة وأعمل التفكير بها وفق منظومات علمية منطقية لوصل أن الدائرة برمتها هي حادثة، ولا بُدَّ من نقطة معينة بدأ منها الفاعل رسم الدائرة وبعد ذلك جعلها سرمدية لا نهاية لها.

الربوبي: لم يثبت عند هؤلاء العلماء أن الخالق اتصل بخلقه.

مسلم حنيف: وهل إثبات ذلك يكون من الفيزياء والكيمياء والرياضيات؟

الربوبي: الخالق عظيم وكبير ومبدع، ولا يمكن أن يتصل بمخلوق صغير حقير ويتدخل بصغائر أموره اليومية أو المعيشية.

الخالق يخاطبنا بما خلق.. يخاطبنا ويقول لنا: أنا رب مدبر ويدلنا عليه عندما نكتشف وجود تنظيم دقيق للكون.. حين يجد الفيزيائيون أن هناك جزيئات دون ذرية محكومة بقوانين رياضية ثابتة غالبًا تم اكتشافها ووضع معادلاتها قبل الاكتشاف الفيزيائي نفسه، وعندما يرون عظمة الكون واتساعه الهائل الذي يعجز دماغنا عن تخيله.. وعندما يبدؤون باكتشاف وجود أكوان متوازية تطفو على غشاء وتتصادم لحظيًّا لتنتج أكوانًا وليدةً أخرى.. وعندما يكتشفون رياضيًّا أن للوجود أحد عشر بعدًا لا نعي منها إلا ثلاثة وبالكاد أربعة.. عندما ينجحون بدمج النوى الخفيفة وإنتاج طاقة هائلة وتخليق عناصر جديدة أثقل كما يحصل طبيعيًّا في انفجارات المستعرات العظمى.. عندما ينجحون بشطر الأنوية الثقيلة وإنتاج طاقة هائلة وتخليق عناصر أخف.. عندما يستنتج الفيزيائي ثابتًا رياضيًّا في معادلة فيزيائية، ثم يأتي اكتشاف حسي ملموس من مسرع جسيمات بعد عدة عقود ليؤكد قيمة هذا الثابت الرياضي بأجزائه العشرية.. عندها سيقول الفيزيائي لنفسه: ما أعظم هذا الخالق.. إنه عظيم عظيم عظيم لا شيء مثله.. إنه يختلف عن إله الأديان الخيالي الذي يغضب ويضحك ويمكر ويملك عدة خصال بشرية أخرى..

يقول الفيزيائي لنفسه: هل خالق هذا الوجود البديع.. متناهي التعقيد.. الغارق بالتنظيم الدقيق.. هل هو نفسه إله الأديان؟ هل هو نفسه من يخاطب رجلًا في العصر الحجري في كوكبنا بالذات؟ وماذا يقول هذا الخالق البديع بعد صمت دام أربعة عشر مليار عام؟ إنه يخاطب ويتوعد بدويًّا عاش في صحراء الجزيرة في العصر الحجري فيقول:

تبت يدا أبي لهب وتب..

يقول: وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها..

أو يقول سجعًا كقوله :إنا صببنا الماء صبًّا، ثم شققنا الأرض شقًّا..

أو يقول هذا الخالق العظيم: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين.

رب الوجود خلق الكون والمجرات والحياة، ثم وقع في غرام قبيلة بدوية في الشرق الأوسط وفضلها على العالمين.

هل هذا ما سيقوله خالق كل ما ذكر آنفًا بعد صمت دام 14 مليار عام؟

مسلم حنيف: أنت تثبت وجود الخالق القدير للكون كوجود حقيقي موضوعي خارج الذهن الإنساني، وتثبت وجود الإنسان أيضًا موضوعيًّا وليس وهمًا، وهذا يعني وجود الجهتين موضوعيًّا، وإمكانية الاتصال من الجهة الأقوى للجهة الأضعف ممكنًا وليس ممتنعًا علميًّا ولا منطقيًّا، والإنسان كائن عظيم ومحترم ومكرم بعقله وفكره وليس بجسمه، فهو ليس حقيرًا أو ليس ذي شأن كما تنظر له، أو لا يستحق أن يتصل به الخالق، وكان الحري بك دراسة هل حصل الاتصال أو لم يحصل وتدرس الاتصال ذاته وتثبته أو تنفيه، وعدم فهم الخطاب لا ينفي صوابه، وطالما الإنسان بهذا المستوى الحقير ولا قيمة له، لماذا خلقه الله عاقلًا حرًّا؟ وطالما تؤمن بأن الخالق العظيم حكيم وعليم، كيف يكون خلقه دون غائية له؟ هل يلعب أم ملَّ من وحدته أم يلهو؟ أم خلق الخلق وندم عليه فتركه؟

الربوبي: الاتصال لن يكون بلغة بشرية موجودة على رقعة ما من الكوكب ولن يكون بكلام غامض يؤدِّي لاحقًا لتشكل عشرات التفسيرات؛ مما يؤدِّي لنشوء مذاهب متصارعة متناحرة كما يحصل في الاسلام حاليًّا والمسيحية سابقًا.. هل هكذا يرضى الإله؟.. سيكون الاتصال رياضيًّا فيزيائيًّا عقلانيًّا منطقيًّا يدلنا على وجود الخالق وكفى.

مسلم حنيف: وما الغاية من علمنا بوجود الخالق وكفى، إن لم يتصل بنا خطابيًّا

وأنزل لنا كتبًا وبعث لنا نبيين يخبرنا عن أجوبة الأسئلة الثلاثة المنطقية العلمية: كيف وجدنا، لماذا وجدنا، أين نذهب؟

الربوبي: لم يثبت علميًّا وجود اليوم الآخر والبعث بعد الموت.

مسلم حنيف: أنت تكرر كثيرًا كلمة علميًّا، فهل العلم عندك محصور بالفيزياء والكيمياء وما شابه ذلك؟ أخبرني عن الشعور والحب والكراهية والتفكير والظلم والعدل والخير والقيم والنفس...إلخ، هل ثبتت تلك الأمور بالفيزياء والكيمياء؟ أم ينفيها العلم ويتجاهلها؟

الربوبي: لا شك بوجود تلك الأمور وللعلم تفسير لها.

مسلم حنيف: دعني من تفسيرها الذي يهم هو إثبات العلم لها فهل البراهين التي اعتمدها هي فيزيائية وكيميائية؟

الربوبي: يوجد منها براهين كيميائية كتفاعلات وإفرازات في الدماغ ومن الغدد.

مسلم حنيف: لا أريد الدخول بتفاصيل وتفريع الموضوع والحوار، المهم يوجد أمور يثبتها العلم وهي خارج مجال الفيزياء والكيمياء وغيرها، وبرهان الإثبات هو العقل والمنطق والواقع، وحصول الشيء برهان على وجوده، وليس برهانًا على تفسير كيف وجد أو لماذا وجد، وهذا يعني أن كلمة العلم تتعلق بنوعين من البراهين:

- براهين علمية تجريبية: متعلقة بالفيزياء والكيمياء وغير ذلك.
- براهين علمية عقلية: متعلقة بالتفكير والفكر والمنطق والواقع مثل الرياضيات فهو علم تجريدي.

فعندما تقول: لم يثبت في العلم وجود اليوم الآخر والبعث بعد الموت، ماذا تقصد بكلمة العلم في هذا الموضوع من كلامك؟

الربوبي: كل العلم بالمعنى العام.

مسلم حنيف: كلامك غير صواب ولا دقيق علميًّا، فمثلًا علم الفيزياء يثبت أن الكون في طريقه للانفجار وهو قنبلة موقوتة يتمدد بسرعة كبيرة جدًّا في كل الاتجاهات، وسوف يصل لمداه الأخير فينكمش على بعضه بواسطة انفجار عظيم، وهذا الكلام يدل بحد ذاته أن نظام الكون على وضعه الراهن له نهاية وليس سرمديًّا، واعلم أن البرهان ينبغي أن يكون من جنس الفكرة، وهذا يقتضي منا قبل البرهنة أن نحدد الفكرة إلى أي حقل أو مجال تنتمي، فمثلًا لا يصح أن نطلب على إثبات مرارة الشيء أو حلاوته أو حموضته برهانًا رياضيًّا!! ولا يصح طلب تذوق أو قياس طول البرهان الرياضي!

ولا يصح طلب قياس طول الحب والشعور أو وزنه أو تحديد نسبته المئوية.

ينبغي أن يكون البرهان من جنس الفكرة ومنظومتها التي تنتمي إليها.

الربوبي: الكون هذا ليس هو الاحتمال الوحيد في الوجود فيوجد أكوان أخرى غير معروفة لدينا، ولا نعرف عنها شيئًا تسمَّى الأكوان الموازية، غير نظرية الأوتار، فالوجود أكبر وأعقد مما نتصوره والإنسان كائن يكاد لا يَبين في هذا الوجود المهول.

مسلم حنيف: كلامك سرد وإنشاء لا قيمة له علميًّا ولا فكريًّا في النقاش، ونحن لا نناقش شيئًا لا نعرفه ولم نحدده ولا يوجد برهان عليه، وسواء أكان كوننا هو الوحيد أو يوجد مثله ألف كون أو أكوان مستمرة بالميلاد دون توقف، هل يتغير البرهان العلمي العقلي بين كون وكون؟

انتبه البرهان العقلي وليس الفيزيائي أو الكيميائي، بمعنى أن العلم الرياضي هل يتغيَّر من كون لكون؟ وهل المنطق الفلسفي الواقعي مثل الجزء أصغر من الكل ضرورة، والمنظومة القيمية والأخلاقية الثابتة مثل الفضيلة والرذيلة والعدل والظلم والخير والشر...إلخ هل تتغيَّر من كون لكون آخر؟

فلا تخرج من كونك وتوسع الوجود ذهنيًّا لتعقد الفكرة وربما لتُضَيِّع المناقش،

البرهان العقلي برهان سواء أكنت تعيش في صندوق خشبي صغير أو الكون كله أو خرجت افتراضًا من الكون إلى أكوان أخرى موازية، فالجزء أصغر من الكل ضرورة، والقيم ثابتة في أي عالم افتراضي أو موضوعي، والفعل لا بُدَّ له من فاعل ضرورة ليس من جنسه ومغاير له ومستغن عنه.

الربوبي: بصرف النظر عن نهاية الكون وكيفية نهايته.. فإن فكرة الحساب والثواب والعقاب فكرة جميلة جدًّا تجعلنا نصبر على الظلم ونقوم بالأفعال الحسنة طالما أننا موقنون بوجود قاض عادل سيحاسب الجميع.. لكن الأمنية الجميلة والنبيلة هذه (يوم الحساب) لا يوجد دليل عليها سلبًا ولا إيجابًا بما أننا لم نتفق على وجود خالق مالك يوم الحساب تتطابق صفاته مع خالق الأديان.. فمنطقيًّا وأخلاقيًّا هذا الخالق العظيم يرجى منه محاسبة خلقه بعد فناء الكون لإحقاق العدل بما أنه لم يخلق الحياة عادلة.. وبما أن الكثير الكثير من الظلم قد وقع..

لكن هذا كله مجرد ظن خير بهذا الخالق ولا يوجد دليل ملموس حاليًّا على هذا الظن.. كل ما طرحته أنا حتى الآن هي مجرد دلائل على وجود خالق عظيم يرجى فيه محاسبة الخلق لكنه يختلف عن إله الأديان الذي سيحاسب البشر والحيوان وسيذيق الظالمين عذابًا بالنار والسلاسل (بأدوات العصور الوسطى.. لم يذكر مثلًا التعذيب بالكهرباء) وسيجزي الأخيار بجزاء يرضي بشكل تام البدو الصحراويين الذين عاشوا في عصور مظلمة (سيزودهم بأرائك وحور عين وغلمان وذهب وفضة وأنهار من لبن وخمر وعسل وما شابه، لكنه لم يعدهم بسيارات فيراري وواي فاي مجاني يغطي كامل الجنة).. ربما أديان منطقة القطب الشمالي ستعد الأخيار بجنة دافئة للغاية مليئة بالفقمات السمان التي يستطيع المؤمن أن يصطادها بسهولة وتعد الأشرار بمكان بارد للغاية.. ولربما أديان مجاهل أفريقيا والأمازون ستعد الأشرار بعذاب يتمثل بإلقائهم في وادٍ مليء بالتماسيح وأفاعي الأناكوندا.

الخلاصة: إن الأديان بنات بيئاتها.

مسلم حنيف: بصرف النظر عن التفاصيل التي تذكرها عن الثواب والعقاب فهذا ليس محلها، المهم هو فكرة الثواب والعقاب بعد الموت ولا يهم التفاصيل حاليًّا، كم قلت آنفًا: إن الكون يقوم على تناقض ثنائي الذي يؤدِّي إلى الهلاك، وهذا ليس محل خلاف، ونظام وجودنا يقوم على النظام الثنائي للمفاهيم خير وشر/ ظلم وعدل/ ، وكلا المفهومين (الهلاك للكون والنظام الثنائي القيمي) يدلان على وجوب وجود يوم بعث بعد الموت وقيام الحساب لتحقيق السلام، غير أن مفهوم غائية الله من أفعاله تثبت ذلك وإلا انتفت حكمته، وهذا ينفي وجود الإله نفسه، وهذا باطل؛ لأن وجود الله واجب الوجود يستحيل علميًّا ومنطقيًّا أن نفترض نفيه، ولا يصح استخدام الفهم الكهنوتي لله أو للكتب الدِّينية لنقض أو نفي وجود الله الخالق المدبر .

الربوبي:ألا ترى أن الحروب والدمار والشر أتت من الأديان؟

مسلم حنيف: رجعت لتستخدم التطبيق السيِّئ والمشوه لمفهوم الدِّين، وتنسب هذا لله ولدينه الحق لتنكر اتصال الله بخلقه وتنكر يوم البعث والحساب، وهذا عمل غوغائي انتهينا منه، اترك الأديان والكتب وأخبرني طالما تؤمن بالله الخالق المدبر العظيم أليس الله حكيم عليم؟ وهذا يقتضي أن لفعله غايات وما ينبغي أن يكون عبثًا ولعبًا، والحياة تقوم على النظام الثنائي للمفاهيم خير / شر، والكون في طريقه للتلاشي والهلاك، وهذا يقتضي منطقيًّا أن يكون في يوم بعث وحساب وثواب وعقاب دون الدخول بالتفاصيل، ونفي ذلك هو نفي لحكمة الله ونفي لمنظومة القيم والأخلاق، وهذا مستحيل ومناقض للوجود ذاته من كونه يقوم على الحكمة والنظام الأخلاقي.

الدِّين فلسفة حياة متعلقة بالإنسان بصفته كائن اجتماعي ضرورة، فهو ملازم لوجوده وفكره وتصوره عن الحياة، وهذا يعني أن الإنسان يتدخل في الدِّين بشهواته وأطماعه ويشرعنها تحت ظلال الدِّين ونصوصه سواء أكان الدِّين إلهيًّا أو وضعيًّا، ويختلط الأمر على الناس عمومًا مع الزمن وينتشر الدِّين بهذا الشكل الممزوج

والممسوخ، فلا يصح دراسة الدِّين أو الحكم عليه من خلال هذا المسخ والتطبيق الهمجي له من الناس المغسولة أدمغتها والمدمجة؛ بل لا بُدَّ من دراسة المصدر الرئيسي لهذا الدِّين وفهمه وفق منهجه الذاتي المعروض معه والحكم عليه بناء على تلك الدراسة الموضوعية العلمية بمعزل عن فهم وتطبيق أتباعه.

الربوبي: ممكن نناقش قضايا من القرءان؟

مسلم حنيف: اترك الكتب الإلهية الآن وأثبت اليوم الآخر أولًا وضم هذا المفهوم لمفهوم تصديقك بوجود الخالق حتى تكتمل الدائرة الفكرية في عقلك وتبني قاعدة تستطيع أن تستخدمها في نقاش الأمور الأخرى إثباتًا أو نفيًا.

الربوبي: حسنٌ؛ ما هي البراهين العلمية التي تثبت وجود اليوم الآخر والبعث بعد الموت؟

مسلم حنيف: نحن اتفقنا أن كلمة براهين ليست هي حصرًا الفيزياء والكيمياء وإنما هي أوسع من ذلك وتشمل التفكير والمنطق وأن البرهان ينبغي أن يكون من جنس الفكرة، فمفهوم اليوم الآخر هو مفهوم فكري إيماني وبرهانه من حقل ومجال التفكير العقلي المنطقي وليس التجريبي، ولا يوجد مانع أو تناقض وجود اليوم الآخر مع العلم التجريبي فهو أمر ممكن، خاصة أن العلم المنطقي العقلي يثبت وجود الخالق الأول والآخر، والبعث للأموات هو فعل للخالق، فكما بدأ الخلق يعيده وهو أهون عليه، فسوف أكتفي بسرد مجموعة من البراهين المنطقية العقلية لتفكر بها؛ لأن ذلك لا بُدَّ له من تفاعل عقلي وفكري وحدك ضمن زمن وتقلب الفكرة بذهنك كثيرًا لتتخمر وتنضج وتعود لنقاشها مرة ثانية وثالثة وبعدها تتخذ موقفًا من اليوم الآخر الإيمان به أو الكفر؛ لأن التصديق انتهى علميًّا وثبت لك وجوده.

أهم البراهين لإثبات اليوم الآخر

1. غائية المخلوقات.
2. سرمدية المادة.
3. قانون التناقض الجدلي للمادة، الهلاك والموت.
4. سرمدية النفس، بينما الجسم فانٍ متحول.
5. قانون التناقض الجدلي الثنائي الفكري، حق وباطل.
6. مفهوم الحياة الدنيا برهان ثقافي على وجود الحياة الآخرة.
7. مفهوم الأخلاق والقيم برهان على وجود الحياة الآخرة، خير وشر.
8. إخبار الخالق للناس من خلال الأنبياء والرسل بوجود الحياة الآخرة بعد الموت.

الربوبي: افترض أني صدقت وآمنت بوجود اليوم الآخر كيف يثبت لي صواب الكتب الإلهية وأن الله اتصل بخلقه؟

مسلم حنيف: إن تم اكتمال دائرة الإيمان عندك على الإيمان بالله الواحد الأحد الصمد واليوم الآخر نتج عندك من ذلك ضرورة وجوب العمل الصالح والالتزام بالوصايا العشر كضرورة علمية منطقية أخلاقية اجتماعية إنسانية، وأنت تؤمن بداية بإمكانية اتصال الخالق بخلقه لعظمة الإنسان وأهميته في الوجود ككائن عاقل حر مكلف بمقام الخلافة في الأرض، وتكون حصلت على الأجوبة المنطقية الثلاثة وهي: كيف وجدنا، ولماذا وجدنا، وأين نذهب بعد الموت.

وهذا يعطيك ميزانًا ومعيارًا للحكم على أي دين ابتداء وما مدى صوابه، فأنت لا تدخل لدراسة الأديان وأنت أعمى ومقلد؛ بل تدخل بصيرًا وتملك ميزانًا ومعيارًا للحكم على أي فكرة أو مفهوم، وهذا الميزان هو:

قيام البراهين العقلية والمنطقية على صواب المفاهيم والأفكار في الواقع.

انسجام المفاهيم وما ينبثق منها من أحكام مع الفطرة النفسية والجسمية كغرائز وحاجيات لكل منهما ينتج عن ذلك توازن نفسي واطمئنان قلبي.

عائدية التطبيق كمنفعة ومصلحة للإنسان والمجتمع وليس للخالق أو لشخص بعينه أو حاكم أو أسرة أو قوم.

الربوبي: هذا ممكن يتعدد في كثير من الكتب الدِّينية وغير الدِّينية أو الملل أو يوجد بعضه هنا وهناك.

مسلم حنيف: هذا صواب؛ لأن الحق واحد ولا يتعدد، ولا يخلو دعوة أو ملة من حق ولو جزئيًّا، ومهمتك أن تعلم أي ملة تملك قاعدة الحق وترفع من الإنسان وتُعلي شأنه وتبني التفاصيل على تلك القاعدة وفق محور يقوم على الثابت والمتغير في حركته (حنيف).

أنواع البرهان والتعامل معه

آفة الفكر والعلم والذي لبس لبوس البرهان بين الناس من حيث التعامل في الحكم على الفكرة بالصواب أو بصدق المتكلم هو توسع الفكرة جغرافيًّا، أو انتشار الفكرة شعبيًّا، أو مضي على الفكرة زمن طويل تاريخيًّا، أو يقول بها بعض المشاهير بعلوم معينة أو فنون، أو ترددها وسائل الإعلام المرئية أو المكتوبة...الخ، كل ذلك وغيره يؤثر على عقلية الناس ويجعلهم يصدقون الفكرة ويحكمون بصوابها، وصارت هذه الأمور بمثابة الأصنام التي يذبح التفكير أمامها.

وهذه الأصنام والموانع والجدر هي أسباب رئيسة في تخلف تفكير الأمة ومنعها من النهضة والرقي والتطور ومواكبة المستجدات وعيش الحاضر والتحكم بالمستقبل.

وينبغي العلم إن هذه الأصنام المذكورة ليست براهينًا ولا أدلة على صواب الفكرة ولا صدق المتكلم، وأن الفكرة تستمد صوابها من برهانها فقط، والبرهان يكون من جنس الفكرة وليس من غيرها، وينبغي الانتباه إلى الفرق بين مفهوم التعقل ومفهوم التصور، والأمور التي تحتاج إلى براهين مركبة من بعضها.

فما هو البرهان؟

البرهان هو أمر كلي ثابت في واقع الحال محكوم عليه بالصواب قطعًا بداهة أو تسليمًا أو موافقة للعلم.

ولا يطلب البرهان إلا من المثبت للفكرة أو المدَّعي لها، بخلاف النافي؛ فلا يطلب منه البرهان على ذلك، ولذلك قال العلماء: البيِّنة على المدَّعي والمُثبت، وأخذ بذلك

أيضًا القضاة في حكمهم على حقوق الناس وفيما بينهم وجعلوا المقولة قاعدة قضائية، (البيِّنة على المدَّعي واليمين على من أنكر).

والبرهان في واقع الحال هو نوعين: عقلي أوعلمي.

1. البرهان العقلي: هو الذي يعتمد على المنطق والتحليل والتركيب والاستنتاج والربط والاستقراء والتعميم والقياس وهي عمليات فكرية تحصل في الذهن وهي أساس لعملية التفكير والفهم والتدبر، وكل العلوم النظرية التجريدية مثل الرياضيات وفروعها تتبع هذا البرهان، وكذلك العلوم الإنسانية مثل الفلسفة والاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة والألسنية...

2. البرهان التطبيقي: هو الذي يعتمد على الحس والتجربة والملاحظة والبناء عليها، ويتبع هذا البرهان كل مسألة تخضع للتجربة والملاحظة مثل علم الكيمياء والطب.....

وأثناء الدراسة أو النقاش ينبغي الانتباه إلى نوع المسألة التي هي محل للدراسة أو النقاش وتحديد البرهان المناسب لها لنأتي به أو نطالب به الآخر، لأنه كثيرًا ما نلاحظ عرض أفكار دون براهين، أو عرض براهين لا علاقة لها بالفكرة مثل عرض برهان كلي لمسألة جزئية، أو عرض برهان تخيلي من خلال ربط المناسبات والظروف ببعضها.

مثلًا: تجد أحدهم يطالبك ببرهان على وفاة جدك الذي مضى على ولادته أكثر من 200 عام، فموت الإنسان أمر ثابت وليس هو من الأمور التي يُطلب لها البرهان لمشاهدته في الواقع، وعمر الإنسان الافتراضي لا يتجاوز غالبًا مئة عام في كل المجتمعات، وبناء على ذلك يحكم القضاء بالموت على كل إنسان اختفى أو مفقود إن تجاوز عمره عمر أقرانه ووفاتهم جميعًا، ويقوم بإجراء ما يترتب عليه من حقوق قضائية واجتماعية ويقسم تركته، فالبرهان الكلي يحكم على وفاة الناس كلهم كقانون

حتمي لابد منه، والقانون الجزئي يكون ضمن القانون الكلي وهو موت الناس وفق عمرهم الافتراضي وهذا يختلف من مجتمع إلى آخر حسب معطيات البيئة وتطور العلوم.

ونلاحظ أن القانون الكلي حتمي بينما القانون الجزئي احتمالي بمعنى أنه يقبل التعدد في الظهور ويختلف من مجتمع إلى آخر ولكن لا يمكن إلغاء القانون الكلي الذي هو الموت للكائن الحي نهاية وفق عمره الافتراضي.

وتجد أحدهم يطالبك ببرهان على ثبوت فاعل لفعل يعيشه ويحسه بحواسه مثل سماع طرق على الباب فحصول فعل الطرق هو برهان بحد ذاته على وجود فاعل ضرورة وهذا أمر مسلَّم به عند العقلاء ولا يُطالب ببرهان عليه لأن العقل يرفض أن يقبل حصول فعل دون فاعل، ومع ذلك تجد إصرار عجيب من الآخر على المطالبة ببرهان على وجود الفاعل رغم علمه بالفعل، والذكي منهم ينتقل إلى نقطة أخرى في النقاش وهي إن كان يوجد فاعل لفعل طرق الباب فمن هو الفاعل وما هي صفاته ومن أين أتى ؟ ويحاول أن يسطح الموضوع ويشوش على الحقيقة، فهذا مرض فكري لأن نقطة النقاش هي وجود فاعل أو نفيه وليس من هو الفاعل رغم أن سؤاله هو برهان على أنه سلَّم بوجود الفاعل، فيوجد فرق بين التعقل لإثبات حصول شيء أو وجوده - وهذا محل تسليم بين الناس- ومفهوم التصور لهذا الكائن، وما ينبغي استخدام نفي التصور لنفي الوجود أو الحصول.

وتجد أحدهم ينفي ما هو ثابت لعدم فهمه الحكمة من الفعل أو ما يجري في الواقع نحو نفي وجود مهندس لبرج بناء خليفة في دبي لأن البيوت في الهند تقع وحدها أو من تأثير البيئة عليها!

وتجد أحدهم يطلب البرهان على نفي صواب طاعة زيد وهو ميت، فنقول له: إن زيداً قد مات، وعندما يموت الإنسان لا يستطيع أن يتواصل معك و يأمرك وينهاك

في أمور حياتك المعيشية والاجتماعية، ولكن يصر على البرهان العيني على نفي طاعة زيد، ويخلط المفاهيم ببعضها ويأت بمفهوم الإتباع والإمامة والأسوة والقدوة والوصية لإثبات صواب طاعة الميت! رغم أن فعل الطاعة لأحد يستلزم حياته قائمًا على رأس الأمر ليأمر وينهى ويوجه ويعلم، وهذه من الأمور التي لا يطلب العقل برهانًا عليها لبداهتها في الواقع، ومع ذلك تجد صاحبنا يكرر: ما البرهان على نفي صواب طاعة الميت؟!

نقول لأحدهم: إن عمل المهندس انتهى مع اكتمال البناء ولم يعد له حاجة، يقول أعطني الدليل على عدم حاجة الناس للمهندس بعد اكتمال البناء، وهكذا الإسلام اكتمل بناؤه وانتهى دور النبيين والرسل الإلهيين، ومع ذلك تجد جماعة تلح على استمرار النبوة الإلهية وتصر على المطالبة ببرهان على نفي حاجة الناس لنبي إلهي رغم وجود البرهان النصي ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:40]، فيغتالون العقل ويحرفون معنى النص وبالذات كلمة خاتم إلى معنى الأفضل، فلا هم يفهمون البرهان العقلي، ولا هم قادرين على فهم دلالة النص، ويصرون بالمطالبة بالبرهان على نفي إمكانية بعث نبي إلهي بعد النبي محمد الخاتمي!

ويأتي أحدهم ويرسم دائرة حتى إذا أغلقها يدَّعي أن ليس لها بداية حدوث ولا نهاية!

ويأت آخر ويطلب منك أن تبرهن له أن ضلعي المثلث متوازيين! وإن لم تفعل فأنت تهرب من السؤال والنقاش وعاجز وجاهل! أو يسأل ما وزن البرهان الرياضي أو طوله أو عرضه! أو يطلب منك أن يتذوق طعم البرهان الرياضي أو يشعر بحرارته!

ينبغي العلم أن السؤال اللامنطقي لايوجد جواب منطقي له، وعدم تعقل أو تصور السؤال عند السائل ينفي عنه فهم الجواب له، ولذلك معرفة السؤال هو نصف الجواب، وعندئذ يتم تحديد البرهان من جنس الفكرة محل السؤال.

رؤية معرفية قرءانية إنسانية

بصرف النظر عن المدارس الفلسفية واختلافها فأنا أعرض المفاهيم من خلال دراسة القرءان والتفاعل معه وإسقاطه على محله من الخطاب والواقع ليشهد على صحة المفهوم.

ما ينبغي مناقشة المصطلحات طالما أنه لامشاحة في الاصطلاح ومن الجيد ضبط المفاهيم حتى يصير تواصل معرفي بين الأطراف المتحاورة.

مصطلح (الجوهر) مفهوم فلسفي غير ملزم لنا كما أن مفهوم (الشكل) كذلك، والذي يهمنا هو أن الوجود الموضوعي يتمتع بوجود حقيقي وليس ذهنيًا ولاوهمًا، وهو محكوم بقوانين وسنن لازمة لاتنفك عنه، وهذه السنن التي تحكم حركته بكينونته وسيرورته وصيرورته هي شيء آخر غير وجوده الشيئي، ووجودها وجود علمي سنني وليس وجوداً موضوعياً، فالقانون غير الشيء الذي يحكمه، وهذا الشيء سواء أطلقت عليه جوهر أو شكل فهو في واقع الحال صورة وهذه الصورة لها ظاهر وباطن تربطهما علاقة جدلية لاتنفك عن بعضهما ويؤثران ببعضهما، وهذا ماعبر عنه بعضهم مادة / روح، وقصد بكلمة (المادة) الصورة المجسدة والتي تتمتع بوجود حقيقي ذات أبعاد، وقصد بكلمة (الروح) الجانب السنني الذي يحكمها بشكل لازم، ومفهوم الحياة أوالحيوي ينبغي ضبطه، فمن حصره بالكائنات الحية المعروفة (نبات حيوان إنسان)لم ينف عن الجماد الحركة، ومن قال إن الحركة هي الحياة وبالتالي كل الوجود الكوني الموضوعي بمختلف صوره هو كائن حي، يبقى اختلاف اصطلاحي، المهم بالموضوع هو الحركة الحرة الواعية والغائية هي خاصة للكائن الإنساني وبالتالي هو الذي يتمتع بحياة لها قيمة ومحترمة.

والإنسان صورة موضوعية تحتوي ثلاث صور متداخلة ببعضها بشكل جدلي: صورة الجسم، وصورة الحياة، وصورة النفس، وصورة الروح، جسم + طاقة حياتية+ نفس عاقلة + روح = إنسان

والوجود الشيئي يظهر في الواقع بصور متغيرة ومتطورة، ولايفنى الشيء وإنما تفنى الصورة له لتتغير إلى صورة أخرى مثل حرق الخشب وتحوله إلى رماد، فالشيء من حيث هو شيء موضوعي (مادة خام) لم يفنى وإنما فنيت صورته التي كان عليها، وبالتالي انتقل إلى سنن أخرى تحكم الصورة الجديدة، ولذلك نقول الشيء الموضوعي (مادة خام) لاتفنى ولاتهلك وهي سرمدية الوجود بمعنى لانهاية لوجودها.

وهذا الوجود الموضوعي بصوره المختلفة والمتنامية يقوم على مجموعة من السنن الكلية التي تحكمه التي منها:

1. قانون الحركة، لايوجد في الكون (الشيء الموضوعي) ثبات وسكون فهو يقوم على الحركة البنيوية الداخلية في ذاته سواء أكان مادة خام أو انتقل إلى أي صورة ظهر بها، وهذا لايستثنى منه أي صورة للوجود الموضوعي ما يسمى (جماد نبات حيوان إنسان..)، وطبيعة هذه الحركة لها صور:

- حركة جدلية ضدية تؤدي إلى التلاؤم والانسجام بين طرفين أو عنصرين سواء في داخل الشيء ذاته كالذرة أو صورتين منفصلتين عن بعضهما كالذكر والأنثى.

- حركة جدلية نقيضية في الشيء ذاته بنيته الذاتية تؤدي للتطور والهلاك نهاية لينتقل إلى صورة أخرى مثل موت الكائنات، وفي هذا النوع قال أرسطو بمبدأ الهوية، وقصد الصورة التي يوجد بها الشيء، فعندما يكون الخشب بصورته تلك فهو ليس صورة الرماد قطعًا ولاينطبق عليه سنن الرماد والعكس صوابًا، وثبات الهوية (الصورة) ليس نفي لقانون الهلاك والتحول

إلى صورة أخرى، وإنما هو ثبات الخشب على صورته مادام خشبًا، فإذا تحولت صورته إلى رماد بقانون أخذ هوية (صورة) أخرى، والمقصد أننا حينما نتعامل مع الصور نتعامل معها بصورتها الحالية الماثلة أمامنا

- حركة جدلية تعاقبية وتظهر هذه العلاقة بين ظواهر الطبيعة مثل السخونة والبرودة أو الليل والنهار، يجتمعان في نقطة تكون نهاية الأول وبداية الآخر
- حركة جدلية فكرية نقيضية وتكون بالحكم على المفاهيم والأفكار والأحداث إما حق أو باطل، وفي هذا النوع يصح كلام أرسطو (الثالث المرفوع).

2. الوجود الموضوعي يقوم على العلاقة الثنائية والزوجية ولايوجد شيء أحادي
3. التوالد المستمر للوجود وهو قانون مبني على قانون الحركة بصورتيه الضدية و التناقضية
4. بما أن الوجود الموضوعي يقوم على الحركة نتج عن ذلك الزمن كبعد رابع له، وهذا الزمن يظهر بالوقت النسبي الذي يتعلق بطبيعة حركة الشيء، فلايوجد زمن دون حركة، ولاحركة دون مكان (صورة شيئية موضوعية)
5. تقوم الحياة على صورة الماء بأنواعها (الغازية أوالسائلة أوالصلبة أو الرطوبة)
6. الإنسان جزء لايتجزأ من الوجود الكوني الموضوعي وهذا يقتضي أنه لايحيط به علماً، ويتعامل معه بصورة نسبية حسب أدواته المعرفية المتنامية والمتطورة، وبالتالي كل معارفه نسبية وليست مطلقة
7. يقوم الوجود الموضوعي على نظام العلاقات بين عناصره وصوره
8. يسير الوجود الموضوعي إلى الأمام عمومًا ويتوسع ويتنامى ويتطور ليصل إلى مرحلة النهاية الحتمية للصور مهما طال الزمن ويرجع إلى المادة الخام الصورة البدائية للخلق

9. حركة الوجود الكوني الموضوعي يقوم على محور الثابت والمتغير بالوقت ذاته وهذا طبيعة قانون الحركة بأنواعها

10. الوعي وظيفة تميز بها الكائن الإنساني عن سائر الكائنات، ونقصد بالوعي التصرف بحرية وغائية

11. تميز الكائن الإنساني بامتلاكه نفس وهي نظام برمجي (صورة) منفوخة بجسمه (الدماغ) صار على موجبها إنساناً واعيًا مميزا مدركًا.

12. عندما صار الكائن الإنساني واعيًا حرًا صار كائنًا اجتماعيًا ضرورة.

13. بولادة الوعي والمجتمع تأسس التفكير عند الإنسان كظاهرة اجتماعية

14. بظهور الوعي وولادة المجتمع وتأسيس التفكير ظهر النظام الصوتي (اللسان) كوعاء حامل وحافظ للمعلومات وبالوقت ذاته حقل للتفكير وأداة للتواصل المعرفي بين الناس.

15. الواقع (الوجود الكوني بصوره) سابق عن الفكر والعلم به وهو أصل وأساس للتفكير وتحصيل المعلومات وبالوقت ذاته هو موضع التفكير والدراسة

16. الوجود الكوني الموضوعي الذي يقوم على الحركة ابتداء وهي لازمة له هي شيء غير بنيته وإنما نظام سنني مفروض عليه سواء بصورة جزئية أو بصورته الكلية، بمعنى أن الجزء قد يستمد حركته من جزء آخر أو وظيفته ولكن في النهاية الوجود الكوني كله بكل صوره يستمد نظامه وقوة حركته من غيره لامحالة، ومثل ذلك كم قام بصنع دائرة مؤلفة من كرات صغيرة تمسك ببعضها، ووضع لها نظام حركي (قوة ذاتية) وهذه الكرات شكلت الدائرة كلها وتماسكت وأغلقت على ذاتها وصارت تسير بقوة الحركة الموضوعة بها، فالمشاهد لها بشكل ظاهري يظن أن حركة الدائرة ذاتية لابداية ولانهاية لها، ولكن من يدرسها يدرك أن الحركة لها بداية ضرورة وإغلاق الدائرة كانت نتيجة قيام الفاعل بذلك وليس هو

فعل ذاتي لها، وظهور حالة الانغلاق وانتفاء ظهور البداية من النهاية في الدائرة لاينفي أن الدائرة ككل لها بداية في صنعها ونهاية في حركتها وتتلاشى.

17. الإنسان موجود في الكون ليقوم بدور عظيم على صعيد شخصه من خلال تفاعله مع المجتمع والواقع

18. الموت للإنسان هو خروج نفسه التي نفخت في دماغه وتوفيها، وفناء جسمه كصورة وتحوله إلى صورة الخلق الأول مادة خام (عناصر الخلق الأولية)

19. النفس كائنة سرمدية محافظة على هويتها لاتفنى وتحتفظ ببيانات الشخص الذي شكلها في الحياة الدنيا وصار بها زيدًا أو عمرًا، صالحًا أو طالحًا.

20. الحرية في الإنسان قانون نفسي من الحاجيات النفسية التي تقوم عليها، فالكائن الإنساني ملزم بممارسة الحرية خلقًا.

21. الأخلاق قانون اجتماعي ملزم للناس لايطلب أحد عليه البرهان

22. كل الناس سواسية من حيث الخلق كلنا من تراب وإلى تراب كأجسام، وتتفاوت نفوسنا بما نكتسب من علم ومعرفة وعمل صالح نرتقي به ونزكو

23. بما أن الإنسان يولد حرًا فلا شك هو يملك حرية الفكر والتصورات وهي جزء من شخصيته

24. لايحق لأحد أن يكون وصيًا على أحد في تصوراته وفكره لأن الجميع لهم الحق ذاته

25. لايحق لأحد أن يحاسب أحد على فكره أو تصوراته

26. علاقة الناس في الدولة فيما بينهم تقوم على العقد الاجتماعي فقط والمواطنة ودولة المؤسسات المدنية بصرف النظر عن العرق أو الملة

27. لايحق لأحد شن حرب لنشر فكر أو تصورات مجتمع على آخر فهذا ظلم وعدوان وتعدي على حريات الآخرين

28. الأصل في علاقة الشعوب التعايش والتعارف والتعاون

29. مفهوم الإسلام العام المطلوب تحقيقه بين الناس يقوم على السلم النفسي والسلام السلوكي بصرف النظر عن الملة أو الدين.

30. يقوم المجتمع على جانب ثابت في تشريعه منبثق من ثقافته، وجانب متغير يتحرك به وفق المناسبات والظروف والأحسن

31. الأخلاق نظام اجتماعي ثابت، والقيم كذلك، وما يسمى الوصايا العشر، ونظام العلاقات مع المحارم في الأسرة الواحدة، وهذه الأمور هي الحد الأدنى التي يقوم عليها المجتمع بعلاقاته مع بعضه وله أن يضيف عليها مايراه مناسبًا ولكن لاتأخذ صفة التعميم وتبقى خاصة بالمجتمع ذاته

32. الدولة ليست دينية لأنها شخصية اعتبارية وإنما تقوم على ثقافة المجتمع بحيث عندما يكون الدين أحد مقومات المجتمع الثقافية يصير مصدرًا دستوريًّا رئيسًا وليس نهائيًّا.

33. الحكومة سلطة أخذت شرعيتها من الدستور، و تقوم على الإكراه والقوة وحماية الدستور والمجتمع والإشراف على القانون، وهذا نقيض قيام الدين على الحرية الشخصية وبالتالي لايجتمعان مع بعض قط.

34. تقوم التشريعات على مفهوم النفع والمصلحة للناس ككل، وما يضر المجتمع يجتنب ويُهمل ولو كان حكم ديني جزئي.

35. مفهوم مرجعية الناس وما يقبلون أو يرفضون يؤخذ به في غير دائرة العلم أو ثوابت الدين القطعية المذكورة آنفًا التي يسلم بها كل الناس (الأخلاق والقيم

والوصايا العشر ومحارم النكاح) لأن الدين القيِّم هو مايوافق فطرة الناس ورؤيتهم الاجتماعية.

36. المجتمع ظاهرة إنسانية موضوعية يخضع لسنن تحكمه تطيل بعمره أو تهلكه، والإنسان كمجتمع يستطيع أن يناور في عمر مجتمعه إصلاحًا ونهضة وعدلًا وحرية فيطيل عمره أو يهلكه بالظلم والفساد والعدوان والاستعباد.

37. الإنسان كائن اجتماعي حر بشخصه وفكره مُلزم بطاعة قانون مجتمعه

38. الأجوبة على الأسئلة الفطرية الفلسفية (كيف، لماذا، أين) هي القاعدة الفكرية التي يَبني الإنسان فكره عليها، ويُكيف رؤيته للحياة وعلاقته مع الآخرين ولما قبل الحياة وما بعد الحياة على موجبها

هذه رؤية كلية مختصرة ويحتاج كل فقرة لدراسة وعرض الأدلة عليها

المادة والطاقة شيئان لأصل واحد

لولا وجود الكتلة لما وجدت المادة، ولولا وجود الكتلة لما وجدت الجاذبية الأرضية، ولولا وجود الجاذبية الأرضية لما وجدت القوى، والقوى هي التي تُسبب كل أنواع الحركة، والقوى والحركة والكتلة هي المتحكمة في وجود المادة من عدمها، والقوى والحركة والكتلة هي ذاتها الطاقة أياًّ كانت نوعيتها والتناسب الرياضي متلازم دائمًا مع وجود القوى والحركة والكتلة والطاقة، وهو تناسب طردي كلما زادت الكتلة زادت الطاقة.

وإذا تمعنا النظر جيدًا في كيفية توليد الطاقة لوجدنا أنها دائمًا وأبدًا فارق في مستوى وضع بين كتلتين، هذا على وجه العموم فطاقة المَساقط المائية سببها وجود فارق في مستوى الجاذبية الأرضية من الأعلى إلى الأسفل، وقد استغلت في توليد الطاقة الكهربائية وإدارة الطواحين وسُمِّيت بطاقة الوضع، وكذلك طاقة الرياح سببها فارق في وضع الضغط من منطقة إلى أخرى، والجاذبية الأرضية هي المتحكمة في ذلك، وسُمِّيت بطاقة الرياح وفارق ضغط بخار الماء داخل مرجل الغليان وخارجة واستغل أيضًا في إدارة مولدات الطاقة الكهربائية وغيرها وسُمِّيت بطاقة الضغط.

وعلى أساس هذه الطاقة صنعت كل محركات الدفع بداية من «جيمس واط» مكتشف طاقة البخار والآلة البخارية مرورًا بآلة الاحتراق الداخلي والدفع النفاث، وحتى محركات الصواريخ والسير في الفضاء الخارجي، والتيار الكهربائي ما هو إلا فارق في مستوى منسوب الإلكترونيات، وسُمِّي بفارق الجهد (voltage potential) وكذلك الشحنة يتم تفريغ المكثف من الشحنة الأكبر إلى الشحنة الأقل، وحتى

الخلية النباتية والحيوانية تمتص محاليل غذائها عبر جدرانها وأغشيتها من خلال فارق الضغط الأسموزي، ولقد اكتشف العالم الإنجليزي الشهير «سير إسحاق نيوتن» هذه الظاهرة مبكرًا وابتكر بها معظم قوانين الجاذبية والتي سُمِّيت باسمه (قوانين الحركة لنيوتن) وكانت سببًا للتقدم العلمي في كل الميادين حتى أبحاث الكون (قانون الجذب العام لنيوتن Newton (s universal) theory of gravity).

والطاقة لا يمكن أن تفنى أو تُخلق من لا شيء، وهو ذاته قانون البقاء (المادة لا تتلاشى إلى لا شيء ولا تُخلق من اللاشيء) عدم وجود الكتلة هو نفي وجود للزمان والمكان، ونفي وجود الحركة هو نفي وجود للزمان والمكان، فالحركة هي أساس وجود الزمان والمكان، وهذا ما توصل إليه العالم الشهير «ألبرت أينشتاين» في نظريته الشهيرة النسبية العامة، وقد كان من الظن سابقًا أن الطاقة بعد تولدها تفقد وتنتهي بالتلاشي (attenuation) أيًّا كان نوعها حرارة وضوء وموجات كهرومغناطيسية.

ولو كان هذا صحيحًا لاستهلكت مادة الكون بأكمله في صورة هلاك الطاقة وذهبت المادة، ولو تأملنا طبيعة تكوين الطاقة الفزيائي لوجدنا أنها جزء من مكونات الذرة الأساسية (المكونات الدقيقة للذرة في صورة فيتونات) ولو تعمقنا أكثر في طبيعة تكوين الطاقة الفيزيائي لوجدنا أنها في جميع الحالات هي عملية تحلل لمكونات الذرة، والطاقة في حقيقة أمرها جزء من الطاقة الكامنة داخل الذرة، وتعرف بأنها طاقة الترابط النووي داخل الذرة، وهي المسبب الأساسي لاستقرار الذرة أو عدم استقرارها، فالذرة غير المستقرة لا بُدَّ لها أن تفقد جزء من طاقتها الكامنة في صورة إشعاع وحتى يتسنى لها التحول إلى ذرة مستقرة أو العكس حيث تكتسب الذرة غير المستقرة جزء من الطاقة الخارجية لتكمل بها طاقتها الداخلية، وتتحول إلى ذرة جديدة أثقل.

وهذا ما يحدث تمامًا في التفاعلات النووية داخل النجوم أو في أثناء انفجارها

وهو ما يعرف بقانون الطاقة لألبرت أينشتاين: الطاقة = مقدار الوزن المفقود × مربع سرعة الضوء.

وهو أساس حساب طاقة الاندماج النووي أو طاقة الانشطار، وقد استغلت هذه الظاهرة الاستغلال الأمثل حيث كانت سهولة تفجير الذرة غير المستقرة واستئناس طاقتها من خلال المفاعلات النووية التي انتشرت في كل أرجاء الدول الصناعية، والتي وفرت لتلك الدول مئات المليارات من الدولارات وساهمت في انتعاش اقتصادها وتركت الطاقة البترولية لتنهش اقتصاديات الدول الفقيرة ودول العالم الثالث بأسعارها المرتفعة،وأمكن من خلال تلك المفاعلات إنتاج وقود نووي وتصنيع العناصر المشعة اللازمة لصناعة القنابل النووية وحرمت هذه التكنولوجيا على دول العالم الثالث.

ومعظم المعادلات الرياضية لحساب طاقة الدقائق الذرية لم تكن واقعية ومتطابقة مع النواتج الفعلية للحسابات الرياضية، فأضيف إلى كل معادلة ما يعرف بالثابت (constant)وهو نوع من الالتفاف حول المعادلات الرياضية لضبط نواتجها، وهو في الواقع اجتهاد عظيم للعلماء للوصول للحقائق العلمية، ولكني أرى أن هذا الثابت ما هو إلا نوع من الطاقة المجهولة (energy un known matter) فلا يوجد شيء مادي اسمه ثابت، وذلك لأن الثابت في المادة يعني: الهلاك والتلاشي (death) والتلاشي يعني: اللاشيء، والمادة لا تصير إلى لا شيء، ولا تُخلق من لا شيء (conservation of energy) منقول عن (عادل أبو زيد).

وجود اللّٰه حقيقة غير قابلة للشك

التصديق بوجود خالق مدبر أزلي مسألة ثابتة وَفق ثلاثة مستويات:

1. دافع شعوري نفسي للاتصال بخالقه واللجوء إليه، لا يستطيع أحد أن يدفعه عن نفسه، وهذا المستوى متحقق في كل الناس.

وهذا برهان الاحتياج والضعف اللازم في الإنسان وقصده إلى قوة كبرى يحتمي بها ويلتجئ إليها.

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْما وَعُلُوّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14].

2. القوة العاقلة تتفاعل مع الشعور النفسي وتصدق ذلك من خلال الواقع، وقاعدة لا بُدَّ لكل سبب من مسبب.

وهذا المستوى متحقق في غالب الناس.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:61].

3. التفكير بالواقع يوصل الإنسان إلى العلم بأسماء الله وتجليها في الفعل حكمة وإتقانًا وغاية.

وهذا المستوى خاص للعلماء الدارسين.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28].

وبعد ذلك التصديق اللازم بوجود الله الخالق المدبر أنت حر في أن تؤمن بالله وتتبع منهجه وشرعه، أو تكفر.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:29].

قال الفيلسوف الإنجليزي فرانسس بيكون منذ أكثر من ثلاثة قرون: «إنَّ قليلًا من الفلسفة يقرِّب الإنسان من الإلحاد، أمَّا التعمُّق في الفلسفة فيردُّه إلى الدِّين». ولقد كان «بيكون» على صواب فيما ذهب إليه، فلقد احتار الملايين من الباحثين والمفكرين منذ وجود الإنسان على سطح الأرض في كُنْهِ العبقريَّة والتدبُّر الذي يتجلَّى في الإنسان وفي هذا الوجود، وتساءلوا عمَّا عساه أن يكون وراء هذه الحياة، وسوف تتكرَّر هذه الأسئلة(كيف، لماذا، أين) ما بقي الإنسان على سطح الأرض.

مفهوم الفناء في القرءان

نقد مفهوم تقي الدِّين النبهاني (مؤسس حزب التحرير)

عن فناء المادة

أكبر خدعة مارسها الغرب بواسطة الشيوعيين على المسلمين هي مسألة إنكار وجود خالق للكون، وذلك ليلهوا الأمة الإسلامية عن نهضتهم وتطورهم، وسرعان ما تناولت الأمة الطعم، وسارع المفكرون والباحثون في التصدي لهذه الفكرة كتابة وخطابة ودعوة، وغرقوا بذلك أكثر من ثلاثين عامًا يتخبطون ويحاولون إثبات وجود خالق للكون، والشيوعيون، ومَن خلفهم يضحكون عليهم، ويسرقون خيرات البلاد ويحكمون الشعوب.

والملاحظ في معظم المفكرين الإسلاميين أنهم هجروا القرءان في دراستهم واعتمدوا على القيل والقال والمنطق الخالي من العلم، وفاتهم أن القرءان كتاب هداية للناس ومنهج في التفكير وتناول القضايا الكبرى التي تهم الناس وناقشها وفنّد شبهاتها.

تعالوا لندرس القرءان ونرى موقفه من إنكار وجود الخالق وكيف عالجها:

الدارس لكل النصوص القرءانية لا يجد ولا أي نص يناقش إثبات وجود خالق للكون، وإنما يناقش مفهوم الأحدية للخالق ويُفنِّد مفهوم الشرك ويبطله، وكذلك مفهوم الكفر بالله، واعتمد في ذلك كله على مُسلّمة عند الناس ليست هي محل نقاش من أحد، وهي لا بُدَّ من خالق وجوبًا عقليًّا، وضرورة نفسية، وهذا المفهوم لا يمكن

للإنسان أن يدفعه من نفسه، وذلك مثل مفهوم واحد زائد واحد، جميع الناس على مختلف الزمان والمكان يقولون بأنفسهم: اثنين، ولا يستطيع أن يخدع نفسه، ولكن يمكن أن ينكر ذلك بلسانه جحودًا واستكبارًا، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14].

فمفهوم وجود خالق للكون ليس محل نقاش أو برهنة، ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم:10].

لذا؛ مفهوم التصديق بوجود خالق للكون لا يخضع للبرهنة لبداهته، والإيمان بالله لا يخضع للبرهنة لأنه موقف أخلاقي وليس عقليًّا ؛ لأنه لا يوجد عاقل يطلب برهان على الالتزام بالقيم والأخلاق، فعلى ماذا كان يتناقش المسلمون والشيوعيون؟ على مفهوم بديهي! ومن كان المخدوع بينهما؟ لا شك هم معظم المسلمين، ومن الجاحد بينهما؟ لا شك هم الشيوعيون.

وينبغي ضبط مفهوم (الفناء) في القرءان قبل نقاش الشيوعيين، كلمة (فناء) تدل على ذهاب الشيء، وهذا لا يعني أنه صار لا شيء، اقرؤوا قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:26]، أي: مَن على الأرض من الكائنات وذهابهم إلى التراب الذي هو أصلهم، فمفهوم الفناء في القرءان هو رجوع الشيء إلى أصله الخام، وبمعنى آخر: تحول الشيء من صورته الفاعلة إلى صورة غير فاعلة.

وعندما قال الشيوعيون:(إن المادة لا تفنى ولا تُستَحدث)، هو قول ينطبق على الشيء بعد خلق الشيء ابتداء، وهذا الواقع المشاهد، فالشيء المخلوق حديثًا ليس مادته مستحدثة، وإنما يوجد من شيء آخر، وكذلك الشيء عندما يفنى لا يذهب إلى لا شيء، وإنما يتحول إلى شيء آخر، ألا ترون أن الخشب إن احترق يصير رمادًا؟ والماء إن تعرض لحرارة عالية يصير بخارًا ؟

وأصل الكائنات الحية من تراب وماء ومن ثم صار تكاثرها من ماء مهين؟

إِذَنْ؛ مفهوم الشيوعيين صواب يطابق القرءان والواقع، وذلك بصرف النظر عن خطأ استخدام كلمة (الفناء) من قبل الشيوعيين، وكان الأجدر بهم أن يقولوا:(إن المادة تفنى كصورة وتتحول إلى صورة أخرى، ولا تفقد صفة الوجود الموضوعي قط)، وبالتالي يمكن تصويب مقولتهم بجملة: (إن الشيء الموضوعي الحالي لا يصير لا شيء ولا يُستحدث من لا شيء).

والنبهاني لم يفهم مقولة الشيوعيين لحاجة في نفسه وتأثر بمحاولته المستميتة لإثبات وجود خالق للكون! فقال: المادة تفنى. ولم يقصد المفهوم القرءاني الذي ذكرناه، وإنما قصد ذهاب الشيء إلى لا شيء، وهذا مخالف للقرءان والعلم والواقع، وكما لاحظتم عدم ضبط المفهوم نتج عنه إشكال وسوء فهم، غير أن النبهاني يحشر مسألة إثبات وجود خالق في كل مسألة حتى في دراسته للتفكير، ومثله مثل الشيوعيين الصغار الذين استخدموا مفهوم الفناء لإنكار وجود خالق، فمفهوم الفناء صواب وعلمي، واستخدامه في إثبات وجود خالق أو إنكاره من الطرفين كان مؤدلجًا وغير علمي.

وأنا ألوم «النبهاني» الذي قدّم نفسه كمفكر إسلامي، ومؤسس حزب، وباحث في التفكير، كيف يتبنى مفهوم مخالف للقرءان وللعلم! وهذا نتيجة هجره للقرءان كمنهج في التفكير في كل دراساته وأبحاثه! وحرصه على إثبات وجود خالق للكون، وهو ثابت أصلًا.

فعدم ذهاب الشيء الموضوعي إلى لا شيء، وفنائه من صورته إلى صورة أخرى، وحدوث الشيء من شيء، لا يعني أن الشيء الموضوعي الأول هو أزلي، فثابت علميًّا ومنطقيًّا أن الشيء الأول لابُدَّ له من بداية ضرورة لمحدوديته وقصوره، ولا بُدَّ له من موجد مغاير في وجوده للشيء سماه العلماء «واجب الوجود» علمًا وعقلًا وواقعًا، وهو أكبر حقيقة غير قابلة للبرهنة عليها لبداهتها.

ومثل ذلك مثل وجود الدائرة، فهي حادثة في وجودها ككل، وعندما وجدت أخذت كل نقطة منها صفة إمكانية أن تكون هي البداية والنهاية، وشكلت مع النقاط

الأخرى علاقة جدلية حيث تصير الدائرة لا بداية لها ولا نهاية، وهذا لا ينفي عن الدائرة ككل أن لها بداية حدوث بعد أن لم تكن، والمثل للتقريب وليس للمطابقة.

فالخالق ابتدأ خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئًا بقدرته الإلهية، وجعله سرمدي في الوجود بمعنى له بداية وليس له نهاية، هكذا أراده الخالق بحكمته وعلمه، واستمر الشيء الموضوعي على هذه الصفة يفنى ليظهر في صورة أخرى ويتوالد، ولا يصح القول: إن الخالق خلق الشيء من عدم، لأن العدم هو شيء فقد صلاحيته، وهذه الكلمة غير مستخدمة في القرءان وهي قريبة من مفهوم كلمة الفناء، والقول بها يلزم منه أزلية الشيء، ولا يصح أيضًا القول: إن الخالق خلق الشيء الموضوعي من لا شيء، لأن اللاشيء هو لا شيء، ولا يخرج الشيء من لا شيء، والإسناد له يصَيّر اللاشيء شيئًا.

إِذَنْ؛ ما الصواب في هذه المسألة؟

الصواب هو قول الله نفسه:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم:67]، خلق الله الخلق بعد أن لم يكن شيئًا، وليس من شيء فان (العدم)، ولا من لا شيء! وإلى هنا يُصَدِّق العلم والعقل ذلك ضرورة، ويقف مُتحيرًا من قدرة الخالق كيف خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئًا! وهذا التحير العقلي هو من مقومات الإيمان والخشية والتعظيم للإله ؛ لأنه يدرك تمامًا أن هذا لا يكون إلا للخالق الأزلي، وإلَّا لماذا هو إله أزلي؟ فيزداد إيمانًا وخشية وتعظيمًا له، ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَّ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللهُّ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُّ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام:91].

ومقولة الشيوعيين: (لا إله والحياة مادة) هي مقولة سياسية مؤدلجة وليس

مفهومًا علميًا، وهي رد فعل على إله الكنيسة والكهنوت الدِّيني في الغرب، فلا تصلح للنقاش علميًّا، لأن الإله له صفة واجب الوجود، والحياة ليست كلها مادة! أين القيم والأخلاق والشعور النبيل بين الناس؟ ولا تصلح للنقاش في الشرق! لأن الدِّين الإسلامي لا يوجد فيه كهنوت وكنيسة، وبالتالي من الخطأ الفاحش ترديدها في ثقافتنا ونقاشها، ومن يرددها في مجتمعاتنا أشبه بترديد مقولة: تعال نتناقش دون عقل أو علم!

وكذلك مقولة: فصل الدِّين عن الحياة أو الدولة، فهذه مقولة سياسية غربية، متعلقة بدين الكنيسة حصرًا، ولا تنسحب على كل دين، ولا تنطبق على الشرق؛ لأن الدِّين الإسلامي يقوم على العلم والموضوعية والبينات والقيم والأخلاق وحفظ الأسرة والحريات، فكيف تفصل هذه الأمور عن الحياة أو الدولة؟

أما افتراض أن الله يستطيع أن يفني الشيء الموضوعي بمعنى الذهاب به إلى لا شيء، فهذا افتراض باطل يصدر من إنسان لا يعلم مقومات الإله العظيم، ويقيسه على إنسان قاصر يُعدّل في صنعته حسب ما يستجد له من العلم والتطور ويُلغي صنعته الأساسية لقصورها أو خطئها، فالله عالم حكيم كامل في إرادته وقدرته، وإذا أراد شيئًا كان الشيء وفق ما أراد له، وقد خلق الله الخلق ليستمر وفق سنن تحكمه بمرحلتين الدنيا والآخرة، ولكل منهما قوانين خاصة بها، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:48]، والفناء هو تغيُّر في الصورة والانتقال إلى أخرى، وليس ذهاب الشيء إلى لا شيء، والناس يفنون في الدنيا ليبعثهم الله في الآخرة، والقول بقدرة الله على الذهاب بالشيء إلى لا شيء، هو مثل القول: إن الله يمكن أن يضع الأنبياء والصالحين في جهنم، ويضع الظالمين والمجرمين في الجنة! فكلا المقولتين ينقضان الحكمة والعلم الإلهي، وبالتالي الافتراض باطل ولا جواب للباطل.

فإثبات وجود خالق للكون، والإيمان به مسألتان غير قابلتين للبرهنة أو

النقاش، وذلك لأن التصديق بوجود خالق للكون بداهة واقعية غير قابلة للدفع في نفس الإنسان وعقله، ومسألة الإيمان به بمعنى الاتِّباع لمنهجه وحدوده موقف أخلاقي وقيمي، والأخلاق لا يبرهن عليها ؛ لأنها مقوم أساسي في ضمير الإنسان وشعوره، فلا يحتاج العدل، والصدق، والأمانة...إلخ؛ إلى برهان، ولا يطلبه أحد أصلًا، ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:29].

ولا يصح أن يأتي الخطاب بكلمة (فمن شاء فليصدق..) لأن التصديق لا يخضع للإرادة، وإنما يخضع للبرهان، وإن حصل لا يستطيع الإنسان أن يدفع التصديق به أو قبوله في نفسه، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ﴾ [النمل:14].

لذا؛ ينبغي أن يتحرر عقل المسلمين من هذا الفخ الحواري، ويكفُّوا عن إثبات ما هو ثابت بالضرورة، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولا إكراه في الدِّين، ويرجعوا إلى دراسة القرءان والعلم والواقع لينهضوا بأنفسهم ومجتمعهم وبلادهم وفق التعايش الإيجابي، والتماسك الوطني، والتعارف الإنساني، والنهضة بالعباد والبلاد على محور الثابت والمتغيِّر (الحنيف) للحريات والواجبات.

الشيء والعدم

كان اللّه ولا شيء معه

لقد اختلف معظم الفلاسفة القدامى، ومن اتبعهم من المعاصرين، في مسألة مفهوم **الشيء، واللاشيء، والعدم**، وانطلقوا من قاعدة (**استحالة إيجاد شيء من لا شيء**). وبناءً عليها، وضمن فلسفة معينة، وصلوا إلى نتيجة مفادها أن أصل مادة الخلق أزلية الوجود، وذلك حتى يتم استخدامها في عملية الخلق الجديد، وبالتالي يصدر الشيء من شيء قبله، وليس من لا شيء.

وفكرة أزلية الشيء دفعتهم إلى التساؤل عن ماهية الشيء الأول، وكيف له صفة الوجود الأزلي؟ فوصلوا إلى أنه ليس هو الله، وليس غير الله، وإنما هو من الله من حيث الأصل، واستمر بصورة تجليات إلهية في الوجود، **وقالوا: إن الوجود المادي هو بمثابة جسم الله، والسنن والقوانين(الروح) التي تحكمه هي نفس الله.** وبذلك صار الإنسان صورة إلهية مصغرة عن الإله الكبير! وكذلك باقي الصور الموجودة في الواقع، ولذلك فإن عملية الهلاك والفناء تتناول الصور فقط، ولا تتناول أصل المادة.

فالمادة لا تفنى، وإنما تتحول من صورة إلى أخرى، فهي أزلية من حيث الوجود وسرمدية من حيث الاستمرار. هكذا زعموا!.

ويعتقد هؤلاء أن الإنسان العارف الذي وصل إلى إدراك هذه الحقيقة يعبد الله في كل تجلياته، بينما الإنسان العامي يعبد الله في صورة واحدة، ويكفر بالصور الأخرى، أو يجهلها على الأقل.

هذا المدخل الذي اعتمدوه هو الذي استُخدِم كحجر زاوية في تأسيس عقيدة وحدة الوجود. فقالوا: لا يوجد في الوجود إلا الرب المعبود، وقد تماهى الفاعل بفعله حتى صارا كلاهما واحدًا، والفرق بينهما هو أمر نسبي حسب وجهة نظر الباحث.

وقالوا: إن هذه الأفعال الإلهية البديعة هي فيوض إلهية لازمة لوجوده الأزلي، فعملية الفيض الإلهي لا بداية لها ولا نهاية، فهو ما زال يفيض من إبداعه كما كان دون توقف أو انقطاع أو بداية. وما هذا الفيض الإلهي الذي نمثله نحن إلا أحد صور الفيوض الإلهية في بحر الأزلية الذي لا شاطئ له. ويشبهون عملية الفيض الإلهي كمثل فيض القصيدة من الشاعر. فالقصيدة ليست هي الشاعر، وليست هي غيره، وإنما هي منه، وقبل ظهورها بهذه الصورة الصوتية كانت موجودة كامنة في نفس الشاعر.

لذا؛ يعتقدون بأزلية وجود المادة والطاقة، وأنهما من الفيوض الإلهية التي لا بداية لها ويتصورون أنهما من النور الإلهي من حيث الأصل قبل عملية التحول وظهور الصور. وعبَّروا عن ذلك بقولهم: **إن الله منبث في الوجود كمثل انبثاث الضوء،** وبالتالي يرفضون تمامًا مقولة: إن الله بائن عن الخلق أو مغاير له. لأنهم يعتقدون أن القول بها يلزم منها تجسيم وتحديد الإله وتحيزه في جهة دون أخرى التي يوجد فيها الخلق، ويلزم منها ظهور الشيء من لا شيء وهذا محال عقلًا.

وبنوا عقيدتهم تلك على تساؤلات عقلية فلسفية، أهمها:

1. كيف يوجد الشيء من لا شيء؟
2. كيف يمكن أن يكون الفاعل متصفًا بذلك أزلًا، والفعل له بداية؟.
3. كيف تكون الفيوض الإلهية حادثة، والله متصف بالعلم والإبداع أزلًا؟.
4. كيف يظن الفعل (الإنسان) أنه يملك وعيًا وإرادة حرة رغم أن ذلك أيضًا فعل للفاعل؟.

5. كيف يظن الفعل (الإنسان) أن هناك عملية توقف وانقطاع للفيض الإلهي؟.

قبل محاكمة هذه الأفكار لا بُدَّ من ضبط المفاهيم وتعريفها بصورة صائبة:

1. **العدم**: كلمة تدل على فقدان صلاحية الشيء واضمحلال فاعليته. نحو قولنا: آلة عدم، وسيارة عدم، ورجل عدم، وإعدام المجرم....إلخ، **فالعدم هو شيء انعدم، بعد أن كان شيئًا، فهو حكم على حال، والعدم ليس (لا شيء) كما هو شائع عند معظم الفلاسفة. لذا؛ لا يصح قول بعضهم: إن الله خلق الخلق من عدم**. لأن ذلك يدل على وجود شيء معدوم كان له صلاحية وفاعلية فيما سبق. بمعنى آخر تدل على أن هذا الخلق قد تم خلقه من حطام وركام هلاك كائن قد تم عدمه.

2. **الشيء**: كلمة تدل على دخول الأمر في التصور العلمي أو الذهني، وظهور أبعاده مع إمكانية حصوله في الوجود الموضوعي خارج الذهن أو العلم.

والشيء ضربان:

الأول: شيء علمي: وهو دخول الأمر في التصور وظهور أبعاده في العلم أو الذهن فقط دون إيجاده بصورة موضوعية خارج العلم أو الذهن.

الثاني: شيء موضوعي: وهو إخراج الشيء العلمي أو الذهني إلى حالة الوجود الموضوعي.

ومن خلال ضبط تعريف كلمة (الشيء) نلاحظ أن الشيء هو الذي يمكن أن يتشيَّأ في العلم أو الذهن، ويأخذ أبعادًا معينة، فالأوهام والخرافات ليست أشياءً ؛ لأنها لا يمكن أن تتشيَّأ في العلم، ولا يمكن أن توجد خارج العلم أو الذهن. مثل مفهوم الشريك لله، أو انتفاء وجود خالق، فهذه أوهام محلها الذهن غير قابلة لأن تصير شيئًا، وهي بالتالي لا شيء، **واللاشيء لا يتعلق به العلم أو المعرفة أو القدرة**

أو الإرادة، لأن كل ذلك مرتبط بالشيء. ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:101].

وبناء على ما سبق من تعريف الشيء نصل إلى أن الشيء محدود وحادث وممكن الوجود. وبالتالي لا يصح تطبيق قوانين وقواعد الشيء على خالق الشيء لتغايره عن الشيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]**، انظر إلى حرف (ك) فهو للتشبيه، ويفيد بأن الله ليس شيئًا، وبالتالي لا يوجد من الأشياء من يمكن أن يتصف بصفات الله، فالله أحد صمد.**

وبعد هذا الشرح نستطيع أن نفهم قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:82].

لأن بعض الفلاسفة قالوا: الشيء له صفة الوجود الأزلي، وذلك استنباطًا من جملة (أن يقول له: كن، فيكون) أي: أن الخالق يخاطب شيئًا موجودًا يطلب منه التحول إلى صورة أخرى أرادها الخالق ليتجلى من خلالها. وهذا الكلام يخالف العقل والواقع؛ لأن النص صريح في أن صفة الإرادة سبقت عملية التشيؤ (إذا أراد شيئًا) والمقصد هو توجه الإرادة الإلهية لعملية تشيؤ أمر معين يلازمها مباشرة توجه الإرادة لإيجاده في الوجود الموضوعي، **أي: تلازم توجه إرادة الله للشيء علمًا وإيجادًا بوقت واحد** (كن فيكون) فخطاب الله موجه إلى الأمر الذي تشيَّأ في الإرادة بعد أن لم يكن شيئًا.

لذا؛ لا يصح أن نطلق كلمة (شيء) على الخالق أبدًا، كما أنه لا يصح أن نطبق عليه قوانين الأشياء. بخلاف أفعال الخالق فهي أشياء أرادها الخالق على شيئيتها.

والمفهوم الذي يقابل (الشيء) هو (اللاشيء) وهي كلمة تدل على ذاتها، **فاللاشيء هو لا شيء**، وبالتالي لا يتعلق به أي شيء. بمعنى أنه لا يصح أن تقول: الله عالم أو قادر على اللاشيء. فهذا من المغالطات العقلية.

بعد أن ضبطنا تعريف: **العدم، والشيء، واللاشيء**. نأتي إلى نقاش القواعد التي وضعها البعض لإثبات أزلية الوجود مادة وطاقة.

1- أول قاعدة قولهم: بطلان إيجاد شيء من لا شيء.

ونحن نقول أيضًا ببطلانها، لأن اللاشيء لا يتعلق شيء به أبدًا. ولو تعلق الشيء باللاشيء لكانت النتيجة هي لا شيء، وليست شيئًا. لذا؛ ينبغي ضبط المصطلح والمفهوم. فنحن لم نقل أن الله خلق الشيء من لا شيء، وإنما نقول: **الله خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئًا**. ويوجد فرق كبير بين القولين يظهر لمن يقوم بعملية التدبر والدراسة، فمحور النقاش هو مفهوم الشيء.

فالمقولة الأولى: (إيجاد شيء من لا شيء) أسندت فعل وجود الشيء إلى اللاشيء، وهذا الإسناد أكسبه صفة الشيء، وبذلك وقعنا في التناقض، **لأن اللاشيء لا يُسند إليه شيء**، ولا يتعلق العلم أو المعرفة أو المقدرة أو الإرادة به...إلخ، وبالتالي فهذه المقولة باطلة وغير ممكنة في الواقع.

المقولة الثانية: (إمكانية إيجاد الشيء ابتداءً قبل أن يكون شيئًا) وهذه المقولة لا تسند فعل الإيجاد إلى اللاشيء، وإنما تخبر عن إمكانية وجود الشيء ابتداءً بعد أن لم يكن شيئًا.

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ [مريم:67].

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:9].

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان:1].

ولقد تم تعريف (الشيء) وضبطه بأنه أمر محدود، وبما أن الشيء له هذه الصفات لزومًا، فقطعًا يوجد بداية لعملية التشيُّؤ، سواء أكان في العلم، أم في الوجود الموضوعي

له، فالأمر سواء، لا بُدَّ من بداية للشيء. ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الروم:27].

وبناء على ما ثبت لدينا **يظهر بطلان فرضية الدَور و التسلسل**[3] **في عملية إيجاد الأشياء من بعضها إلى ما لا بداية. ولا بُدَّ من ابتداء وجود شيء بعد أن لم يكن شيئًا يتم استخدامه في عملية إيجاد الأشياء الأخرى اللاحقة. وهذا الشيء الأول المبدوء به محدود ضرورة وإلا انتفت عنه صفة الشيء!** وكون الأمر كذلك نستطيع أن نقول: **لقد تم خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئًا. ولا يصح استخدام كلمة (لا شيء) لأنها لا تدل على شيء.**

والسؤال الذي يفرض ذاته: كيف تم وجود الشيء بعد أن لم يكن شيئًا؟

أول أمر ينبغي إثباته هو أن الشيء محدود ضرورة، وبالتالي يستحيل تسلسل عملية وجود الأشياء من بعضها دون بداية. كما أنه يستحيل تعلق وجود الشيء بشيء متعلق وجوده بالشيء الأول (فرضية الدور) لأن النتيجة هلاك الاثنين، وانتفاء شيئيتهما ويصيران (لا شيء)، **إِذَنْ، لا مفر من إثبات أن الشيء قطعًا له بداية، ولا بُدَّ للأشياء من أن ترجع إلى شيء أولي تم تشييئه بعد أن لم يكن شيئًا.**

والسؤال عن كيفية إيجاد الشيء الأولي أمر مرتبط بالفاعل الذي شيَّأه. **فإن كان فاعلًا محدودَ القُدرات** فلا شك أنه يحتاج إلى شيء قبل الشيء الذي يريد أن يوجده حتى يستخدمه في عملية الإيجاد (مادة خام).

أما إذا كان **الفاعل كاملًا ومطلقًا في قدرته،** وهو قيوم صمد، ومتصف بصفة الأول والآخر. فلا شك أنه قادر على أن يوجد شيئًا بعد أن لم يكن شيئًا، وهذا ضمن دائرة التعقل وخارج دائرة التصور.

---

3 فرضية الدور: تعني تعلق وجود الأول بالثاني، ووجود الثاني بالأول، علاقة دائرية.
فرضية التسلسل: تعني تعلق وجود اللاحق بالسابق إلى مالانهاية، فعل عن فعل عن فعل.

وإذا اختلفت صفة الفاعلين اختلفت طريقة فعلهما ضرورة، ولا يصح قياس أحدهما على الآخر. **فالفاعل المحدود** لا يمكن أن يوجد شيئًا إلا من شيء سابق عنه. أما **الفاعل الأزلي** فهو قادر على أن يوجد شيئًا ابتداءً بعد أن لم يكن شيئًا. وهذه الصفة هي صفة الإله لا يشاركه أحد بها. **وإلا لماذا سُمِّي الإله!.**

وعجز العقل الإنساني عن تصور هذه العملية أمر لازم لمحدوديته، لأنه لو تصورها لصارت شيئًا، وبالتالي صارت محدودة وانتفت عن الإله صفة الألوهية.

إِذَنْ؛ صفة العجز عن تصور عملية الخلق للشيء ابتداء بعد أن لم يكن شيئًا هي من مقومات الإيمان بالغيب الذي تأسس على الشهادة.

2 – أما قولهم: **كيف نصف الله بصفة الفاعل أزلًا رغم أن فعله حادث؟** وهم يقصدون بهذا الكلام أن فعل الله مرتبط بصفة الفاعل، وكون صفة الفاعل أزلية فيعني أن فعله أزلي أيضًا، وإلا كيف اتصف بصفة الفاعل! وهذا الكلام مغالطة أيضًا ؛ لأن **من المعلوم أنه لا بُدَّ لكل فعل من فاعل ضرورة، والفعل غير الفاعل أيضا ضرورة.**

أما أن نعكس المفهوم ونقول: لا بُدَّ لكل فاعل من فعل. فهذا ليس على إطلاقه فالأمر مرتبط بصفة الفاعل، فإن كان يحتاج إلى فعله ليستمد الحياة منه فصدور الفعل عنه ضرورة لازمة. نحو قيام الإنسان الفاعل بفعل التنفس وفعل تناول الشراب والطعام، فالإنسان يحتاج إلى فعله، فيصح في حقه أن نقول: **الفاعل المحدود يصدر منه الفعل ضرورة واحتياجًا، ولكن هذا الأمر غير متحقق بالفاعل الأزلي لأنه لا يستمد حياته وصمديته من فعله، وبالتالي يصدر الفعل منه اختيارًا ومشيئة.**

وإن قال أحدهم: لماذا اسمه فاعل إِذَنْ؟ نقول: لم يسم نفسه فاعلًا، وإنما وصف نفسه بصفة الأول والآخر والظاهر والباطن. أما صفات الأفعال نحو الخالق الرازق....إلخ فقد ظهرت تسميتها بعد الفعل وليس قبله. بمعنى أنه لا يوجد ناس

مخلوقون يقولون: يا خالق! رغم أن مقومات صفات الخالق التي هي العلم والإرادة والقدرة والحكمة وغيرها يتصف الله بها أزلًا بصورة لازمة له كونها من مقومات الإله.

3- **أما مسألة الفيض الإلهي فهي مرتبطة بصفة الفاعل والفعل**؛ لأن عملية الفيض هي فعل حادث، **ولقد ثبت أن الله مستغن عن أفعاله ولا يحتاج إليها وتصدر منه مشيئة واختيارًا، وليس لزومًا أو احتياجًا**. فصفة الإبداع هي بحد ذاتها تدل على الابتكار والحدوث، ولا تدل على القدم والتقليد. أما ظهور هذه الصفة لله فهي مثل ظهور صفة الخالق تمامًا. **فالله الأول والآخر يتصف بمقومات الإبداع دون وجود الأفعال البديعة، وصدور الإبداع منه حادثٌ واختيارٌ ومشيئةٌ وليس أزليًا، وليس لازمًا ولا ضروريًا.**

4- **أما مسألة فعل الإنسان**، فهي مدفوعة بقسرية غيرية، فقد خلق الله الإنسان ومنحه الوعي والإدراك والحرية، وخصه بالحاجة والتكليف، **وهذا يقتضي تحرك الإنسان ضمن احتمالات معلومة مسبقًا**، فالله خلق في الإنسان حاجة الجوع، وبالتالي لا بُدَّ من إشباعها ضرورة، فطلب الله من الإنسان أن يقوم بعملية الإشباع وفق نظام الحرام والحلال، والضار والنافع، **فحرية الإنسان تكون باختيار صورة عملية الإشباع، وهذا الاختيار هو محل المسؤولية والمحاسبة، لا صفة الجوع عند الإنسان.**

5 – أما قولهم: **إن وجود اليوم الآخر يقتضي توقف عملية الإبداع والفيض الإلهي**، وبالتالي لا يوجد اليوم الآخر، وإنما حياة مستمرة من خلال تناسخ أو تقمص النفوس لأجسام تولد من جديد، وتستمر عملية الفيض الإلهي! فهذا كلام مردود عليه، **لأن وجود اليوم الآخر لا يتناقض مع استمرار الإبداع والفيض الإلهي، فالإبداع موجود في الآخرة على نطاق أوسع من الحياة الدنيا، مع العلم أن المشروع الإلهي واحد بمرحلتي الدنيا والآخرة.**

وأخيرًا لا بُدَّ من ضبط علاقة المادة بالطاقة، والعكس. قال العلماء: **إن المادة هي طاقة خامدة، والطاقة مادة متحولة. مما يعني تلازم وجود المادة والطاقة مع بعضهما بصورة جدلية يؤثر كل منهما بالآخر، وبالتالي لا يصح أن نقول: المادة موجودة أولًا، أو الطاقة أولًا؛ لأنهما موجودتان معًا بعلاقة جدلية وهما شيئان ينطبق عليهما قوانين الأشياء، ومثلهما كمثل وجود الدائرة، فهي لها بداية نشوء، وبعد نشوئها تصير كل نقطة منها تصلح أن تكون بداية ونهاية لها بالوقت ذاته، وينتفي عن نقطة معينة أن تكون هي البداية أو النهاية لتحقق ذلك في أي نقطة للدائرة.**

وهكذا علاقة المادة والطاقة مع بعضهم فهما لهما بداية نشوء ضرورة، وبعد ذلك يخضعان للعلاقة الجدلية، وبالتالي لا قيمة علمية لمقولة الملحد: أنا أؤمن بأن الوجود يقوم على علاقة المادة والطاقة الجدلية التي لا نهاية لها، وينفي بداية نشوئهما.

ونتيجة البحث النهائية هي أن الله غير الأشياء، فهو كان ولا شيء معه، ثم ابتدأ خلق الشيء بعد أن لم يكن شيئًا، وأخذ الشيء صفة الوجود الشيئي ضرورة، وهو غير الوجود الإلهي ضرورة. فالوجود الشيئي خاضع لصفة المحدود ومرتبط بالزمان والمكان، أما الوجود الإلهي فهو أزلي سرمدي لا يوجد بينه وبين الشيء علاقة ذاتية، ومنزه عن الزمان والمكان، والتحيز لجهة، لأن لو حصل ذلك لصار الإله شيئًا، وخضع لقانون الأشياء.

أما صفة التحيز لجهة، والبينونة والمقابلة والتغير...إلخ إنما هي صفات الشيء القابلة للدراسة والإدراك، بخلاف صفات الله النفسية فهو ليس كمثله شيء، لذا؛ لا ينبغي أن نستخدم هذه المفاهيم الشيئية للدلالة على الله، مع العلم أن الجهات هي نسبية ومتعلقة بمكان الإنسان بينما لا يوجد للكون فوق وتحت...، وإنما نقول: **إن وجود الشيء مغاير للوجود الإلهي تمامًا، والله ليس شيئًا، والشيء ليس الله!**

ومن المعلوم في الرياضيات أن اللانهاية لا تُحدد ولا تُوصف ولا تُعرَّف؛ لأنه لو

حصل ذلك لفقدت صفة اللانهاية، وهكذا مفهوم الأزلية، لا يمكن أن يتصوره (يتشيَّأه) الإنسان المحدود رغم ثبوته عقلًا وعلمًا، **وإذا أردنا أن نتصور مفهوم الوجود الأزلي وعملية الإيجاد للشيء بعد أن لم يكن شيئًا، تلزمنا أدوات معرفية أزلية!** وهذا غير ممكن للكائن المحدود.

وبالتالي؛ يصير العجز عن الإدراك إدراك، وإدراك العجز إيمان.

كان الله ولا شيء معه حي قيوم صمد، وعندما خلق الشيء ابتداء، بقي على ما هو عليه- حي قيوم صمد- مغاير للشيء، ومستغن عنه. ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام:91].

وجود اللّٰه رأي فلسفي أم حقيقة فلسفية ؟

أعلن مركز ثقافي دمشقي عن وجود محاضرة لفيلسوف مرموق حول قصيدة (لا أدري) لإيليا أبي ماضي.

فذهبت إلى المحاضرة، وسمعت كغيري شرح الدكتور للقصيدة، وبصرف النظر عن مستوى العرض الذي قدمه حول فلسفة أبي ماضي، انتهت المحاضرة، وبدأت الأسئلة والمداخلات تُعرض على الدكتور للإجابة والتعليق عليها.

ولفت نظري سؤال طُرح على الدكتور مفاده: **وجود الله حقيقة فلسفية أم رأي فلسفي ؟**

فضحك الدكتور، وقال: سؤال مهم جدًّا، وهو حساس ذو أبعاد ثقافية، وفلسفية. وتابع حديثه قائلًا: إن المنطق الذي يستخدمه من يؤمن بوجود الله، هو ذاته يصح لنفيه! وإليكم البيان:

يقول المؤمنون بالله:

إن كل موجود لا بُدَّ له من موجد.......مقدمة أولى

الكون موجود..................... ...مقدمة ثانية

إِذَنْ؛ لا بُدَّ للكون من موجد...........نتيجة

بينما يقول من ينكرون وجود الله:

إن كل موجود لا بُدَّ له من موجد........مقدمة أولى

الله موجود...........................مقدمة ثانية

إِذَنْ؛ لا بُدَّ لله من موجد...............نتيجة

وضحك؛ وقال: أرأيتم كيف أن المسألة غير محسومة!. فمسألة الإثبات والنفي لوجود الله متساوية فلسفيًّا، وبالتالي، فالإيمان بالله ليس حقيقة فلسفية، وإنما رأي فلسفي!.

فتذمر معظم الحضور، وجرى بينهم همس؛ ما هذا الهراء الذي يقوله الدكتور ؟

فطلبت من المسؤول عن المحاضرة القيام بمداخلة للرد على كلام الدكتور، فأَذِنَ لي، واتجهت إلى مكان الكلام، وألقيت السلام، وشكرت الدكتور على المحاضرة، والحضور على حسن الاستماع، والمشاركة، ووجهت حديثي إلى الدكتور قائلًا:

كنت أتمنى من الأستاذ المحاضر أن يُبدي رأيه الشخصي في هذه المسألة بصراحة وشجاعة، لا أن يترك الحضور ليستنبطوا رأيه؛ وفقًا للغموض الذي يبدو أنه يستمتع به، وعلى كل أنا سأتصدى لمناقشة الأفكار العلمية لا الجوانب الشخصية.

إن المنطق الأرسطي منطق عقيم، فهو لا يُفيد الذكي، ولا يفهمه الغبي، وليس هو إلاّ إقرار للواقع في حال أصاب الحقيقة، ولا يمكن أن ينشأ منه علم جديد، وأي خطأ في استخدام المنطق يوصل إلى خطأ في النتيجة، وهذا ما حصل مع السيد المحاضر، إذ استخدم المنطق بصورة خاطئة، فوصل إلى نتيجتين متناقضتين، وظن أنهما صواب منطقيًّا. والخطأ هو في استخدام كلمة (موجود) بقياس النفي المتعلق بالله، وليس بالإثبات.

لأن دلالة كلمة (موجود) تدل على الشيء الذي وُجِدَ بعد أن لم يكن موجودًا، مع إمكانية ذهابه؛ فعندما نقول: كل موجود لا بُدَّ له من موجد. بمعنى أن كل ما يتصف بصفة الإمكان في ظهوره، أو غيابه، فلا بُدَّ له من موجد لا يتصف بصفته، وهو مغاير له.

لذا؛ لا يصح وصف الله بصفة (الموجود) لمحدوديتها، وإمكانيتها في الحضور والذهاب، وإنما يتصف الله بصفة الوجود اللازم، الذي يُعبر عنه علماء الكلام بقولهم:

واجب الوجود. وهذه الصفة لله ثبتت من خلال قاعدة: لا بُدَّ لكل فعل من فاعل ضرورة.

وبذلك يظهر لنا خطأ من استخدم المنطق لنفي وجود الله، وذلك حينما دسَّ تحت المقدمة الأولى (لا بُدَّ لكل موجود من موجد). مقدمة ثانية غير مستغرقة في الأولى، لأن الله لا يتصف بصفة الموجود، وبالتالي لم تستغرقه المقدمة الصحيحة الأولى، فوصل إلى نتيجة باطلة كما سمعتم.

فوجود الله حقيقة فلسفية، وليس رأيًا فلسفيًّا، وإذا أردنا أن نستخدم المنطق للاستدلال، فينبغي أن ننتبه إلى أن تكون المقدمة الأولى صوابًا، وأن تكون المقدمة الثانية مُستغرقة فيها، لنصل إلى نتيجة منطقية.

وذلك على الشكل التالي:

- **لا بُدَّ لكل فعل من فاعل.............مقدمة أولى.**

(صواب في الواقع).

- **الكون فعل........................مقدمة ثانية.**

(مستغرقة في الأولى لأن الكون محدود رغم اتساعه).

- **لا بُدَّ للكون من فاعل ضرورة......... نتيجة.**

(نتيجة منطقية صواب موافقة للواقع).

غير أن مفهوم وجود الله حقيقة غير قابلة للبرهنة عليها؛ لأنها فطرة لازمة للإنسان لا يملك رفضها، فهي متعلقة بالتصديق، بينما الإيمان بالله متعلق بالحرية والاختيار، لنصل إلى أن إثبات وجود الله فطرة، والإيمان به حرية، وكلاهما لا يخضعان للبرهنة أو النقاش، لأن التصديق بوجود الخالق المدبر مسألة مسلَّم بها ضرورة عقلية، والإيمان به

موقف أخلاقي. ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف 29].

فصفَّق الحضور بشدة، ولم ينتظروا تعليق الدكتور على المداخلة، وقاموا وانصرفوا.

علاقة الفعل بالفاعل

الملحد رغم أنه فعل فهو ينكر فاعله!

ذات يوم استيقظ الفعل من نومه باكرًا، وشعر بطاقة تسري فيه، ترتب عليها تفعيل حاسة الأذن، فصار يسمع بها، وحاسة العين، فصار يبصر بها، وانتقل هذا الإحساس إلى دماغه ليقوم شيء مخفي فيه بقراءة هذه الإحساسات بصورة واعية، ويصدر الحكم عليها، قام الفعل بتكرار عملية السمع، وتقليب البصر في الأشياء، ووقف ساكنًا يستمتع بما يجري في دماغه من عملية جمع هذه الإحساسات، وقيام قوة واعية بتحليلها وتركيبها، وربطها مع معلومات سابقة أو لاحقة، والحكم عليها.

وبدأ الفعل السير واكتشاف ما حوله من أشياء وصفات، وهو بحالة ذهول ومتعة في الوقت ذاته، إلى أن التقى مع مجموعة أفعال مثله، عرض لهم ما عرض له، والتقت العيون، وأحس كل واحد منهم باستقلال وجوده عن غيره، وشعروا بصفة الوعي والإدراك تحصل في نفوسهم، فاقتربوا من بعضهم مبتسمين، وتبادلوا التحيات والترحيب، وسأل أحدهم قائلًا: هل يوجد بينكم فاعل؟

فأجاب الجميع بالنفي، وقالوا: كلنا أفعال.

فقال فعل: من هو الفاعل إِذَنْ؟

فرد عليه فعل ناقص قائلًا: لا يوجد فاعل أصلًا! هل تراه بيننا. وضحك ساخرًا.

فنظر إليه فعل من الأفعال الخمسة بازدراء، وقال له: اصمت تبًّا لك من فعل

ناقص كيف صرت فعلًا إذا لم يكن لك فاعل؟ ألا تعلم أن الفاعل سابق في وجوده عن الفعل، ولولا الفاعل لما وُجد الفعل.

فسكت **الفعل الناقص** خجلًا، وأرخى نظره إلى الأرض! واستمر الحوار بين الأفعال الخمسة.

قال **الفعل الأول**: تعالوا نبحث عن الفاعل؟

رد **الفعل الثاني**: وكيف ذلك؟

قال **الثالث**: لنجرب أن ننادي عليه؟

وطفقوا يصرخون: أين أنت أيها الفاعل! حتى كادوا يمزقون حناجرهم وسكتوا بعد ذلك ينتظرون جوابًا، ومضى وقت تلو آخر، ولم يسمعوا أي جواب لندائهم.

بدد الصمتَ صوت **الفعل الناقص**: ألم أقل لكم: إنه لا يوجد فاعل لنا!.

رد عليه **الفعل الخامس** قائلًا: إلى متى تحشر نفسك فيما لا تُحسن التفكير فيه؟

لماذا إذنْ اتفقنا على ندائه ابتداء؟ أليس من منطلق وجوده ضرورة، وذلك كوننا أفعالًا تحتاج إلى فاعل وجوبًا، فنحن ننادي من نثبت وجوده، وليس على سبيل التجربة أو البرهان لإثبات وجوده، وإنما للتعرف عليه، فينبغي أيها الفعل الناقص أن تنتبه إلى هذا الفرق بين **مفهوم الإثبات، ومفهوم الكيف**؟.

تدخل **الفعل الرابع** قائلًا: دعك منه، ولنتابع بحثنا عن الفاعل!.

قال **الفعل الثالث**: تعالوا نجرب السبر والتقسيم على ما نراه حولنا، عسى أن يكون أحدهم هو الفاعل!.

نظر الأفعال الخمسة إلى أنفسهم، وتبادلوا النظرات بينهم.

قال **الفعل الأول**: هل يوجد أحد منكم يتصف بصفة الفاعل؟

فرد الجميع بالنفي!

قال **الفعل الثاني**: هل قام أحدكم بفعل إيجاد السماء والأرض؟

رد عليه **الفعل الخامس** قائلًا: عندما بدأ وعينا وإدراكنا شاهدنا السماء والأرض موجودة قبلنا، فنحن أفعال متأخرة عنهما في وجودنا، وبالتالي فنحن لم نوجد السماء والأرض.

قال **الفعل الثالث**: هل يحتمل أن يكون الفاعل هو السماء أو الأرض؟

رد **الفعل الرابع** قائلًا: يستحيل ذلك ؛ لأن هذه الأشياء هي أفعال أدنى منا صفة، وذلك لفقدان الوعي والإدراك عندها!.

ولم يتمالك **الفعل الناقص** نفسه، وتدخل في الحوار قائلًا: ألا يوجد احتمال أن نكون أوجدنا أنفسنا، ونصير نحن الفاعل والفعل في وقت واحد؟

نظر إليه **الفعل الأول** وقال: عجيب أمرك يا ناقص! متى تكف عن هرائك؟

كيف يمكن أن يكون الفعل فاعلًا لنفسه؟ إذ لو افترضنا ذلك الهراء لكانت النتيجة الهلاك والفناء للفعل والفاعل معًا، من حيث انقلاب الفاعل فعلًا، والفعل فاعلًا، انظر إلى فعل (قرأ) على سبيل المثال؟ هل يمكن أن يصير فعل (قرأ) هو الفاعل (القارئ) أو هل يمكن أن يصير الفاعل (القارئ) فعل (قرأ)؟ بمعنى آخر: هل يمكن أن يندمج الفاعل بفعله حيث يصيران واحدًا لهما صفتان متناقضتان (الفاعل والفعل) أو (القادر والمقدور)!.

قال **الفعل الخامس**: لماذا لا نستطيع أن نعرف الفاعل؟

رد **الفعل الثالث**: يا أخي هذا شيء طبيعي ؛ لأننا لسنا فاعلين، وإنما نحن أفعال،

والأفعال لا تُدرك فاعلها، ولا تدرك كل أفعاله، ولا تدرك مقاصده الذاتية من أفعاله.

قال **الفعل الثاني**: لذلك لا يصح أن يسأل الفعل فاعله ما هو مقصدك من إيجاد هذا الفعل؟ وإنما ينبغي أن يسأل عن ماهية وظيفة الفعل في الوجود.

قال **الفعل الأول**: هذه مسألة عظيمة ينبغي الانتباه إليها أثناء بحثنا وحوارنا!.

قال **الفعل الناقص**: اسمحوا لي بالسؤال عن النقطة الأخيرة؟ فأنا لم أفهمها!

رد عليه **الفعل الخامس**: وضعت الآن أولى قدميك على جادة الصواب! فالسؤال مفتاح العلم والبحث والدراسة، أما أسلوب التهكم والهراء والهرطقة فهو أسلوب يوصلك إلى الضلال والضياع والفشل، يا بني! قصد الفعل الثاني بقوله أن نفرق بين ما يتعلق بالفاعل من أمور، وما يتعلق بالفعل من أمور، فمسألة وجودنا نحن الأفعال لها وجهان:

الأول: يتعلق بالفاعل نفسه، وهذا أمر يستحيل على الفعل أن يدركه، بل لا يهمه أصلًا.

الثاني: يتعلق بالفعل نفسه، وهذا أمر يدركه الفعل من خلال إخبار الفاعل له، أو من تفاعل الفعل – إن كان له صفة الوعي– مع ذاته والواقع، فيصل إلى الوظيفة التي وُجِدَ من أجلها.

الفعل الرابع: لنتابع عملية الحوار والسبر والتقسيم.

الفعل الأول: من خلال ما وصلنا إليه من أفكار يظهر لنا مفهوم الغيب من وجهين:

أ – غيب يتعلق بصفات الفاعل ونفسه.

ب– غيب يتعلق بأفعال الفاعل في الواقع.

الفعل الثاني: مفهوم الغيب الذي يتعلق بالفاعل يستحيل اختراقه ودراسته ؛ لأنه انتقال من مستوى الفعل الذي نعيش فيه، ويحكمنا إلى مستوى الفاعل وصفاته، وهو لا يخضع لذات مواصفات الفعل أو معاييره، بينما يخضع مفهوم الغيب الذي يتعلق بالفعل لمعايير ومواصفات الفعل الذي نحن جزء منه، وبالتالي يخضع للدراسة ويمكن اختراقه، وما كان غيبًا يصير في عالم الشهادة.

الفعل الثالث: إِذَنْ؛ **الفعل لا يمكن له أن يحيط علمًا ومعرفة بكل أفعال الفاعل،** وذلك لأنه جزء من الأفعال ذاتها!.

الفعل الناقص: إن الأمر يزداد غموضًا، كيف يستحيل على الفعل أن يدرك الفاعل، ومع ذلك يُصدق الفعل بوجود الفاعل ضرورة؟

الفعل الرابع: يا بُني! إن الفعل له وجود موضوعي مشاهد لا ينكره أحد، وهذا الفعل يستحيل وجوده دون فاعل سابق عنه في الوجود، **ما يدل على أن وجود الفاعل أشد ثبوتًا من الفعل ذاته رغم غياب ذات الفاعل عن الإدراك أو التصور، وظهور الفعل**؛ مع قصور صفات الفعل عن صفات الفاعل التي أدت إلى استحالة إدراك الفعل لصفات الفاعل.

الفعل الخامس: **لذا؛ كان الغيب مفهومًا علميًّا يفرضه مفهوم الشهادة.**

الفعل الناقص: كيف يكون ذلك؟

الفعل الخامس: يا بني! ارتق بفكرك واستحضر الأفكار التي ذكرناها آنفًا؟ ألم نقل منذ قليل: إن الفعل له وجود موضوعي مشاهد، وهذا الفعل يحتاج إلى فاعل، **لأن الفعل لا بُدَّ له من فاعل ضرورة، والفاعل بالنسبة إلى الفعل هو غيب لا يخضع لذات مقاييس ومواصفات الفعل ذاته، ما يؤكد أن الغيب أساس لعالم الشهادة، وعالم الشهادة دليل على وجود الغيب، ومن هذا الوجه صار مفهوم الغيب مفهومًا علميًّا**

نتعامل معه بثقة من خلال عالم الشهادة، والغيب أوسع من عالم الشهادة بالنسبة للفعل الذي هو جزء من عالم الشهادة.

الفعل الناقص: هل يمكن أن يكون الفاعل الذي قام بفعلنا أيضًا هو فعل لغيره؟

الفعل الثالث: إنك تُعيد صياغة الأسئلة بصورة جديدة، لقد ذكرنا لك سابقًا أنه **يستحيل أن يجتمع أو يندمج الفاعل مع فعله حيث يصيران واحدًا، لأن ذلك يترتب عليه الهلاك والفناء لكليهما،** فما ينبغي أن يصير الفاعل فعلًا، ولا أن يصير الفعل فاعلًا.

انظر مثلًا لجملة: درس **زيد** الكتاب. فلا يمكن لفعل (درس) أن يصير (زيدًا)، ولا الفاعل (زيد) يمكن أن يصير فعل (درس)، **لا بُدَّ من تغاير بين الفاعل وفعله، ولا بُدَّ أن يسبق الفاعل فعله في الوجود ضرورة، بل محور الوجود هو للفاعل وليس للفعل،** ومفهوم وجود الفاعل كامن في داخل الفعل، فمجرد أن يتحرك الوعي والإدراك في الفعل، ويُدرك وجوده يكون قد أدرك وجود الفاعل ضرورة لازمة لوجوده!، انظر كيف يتعلق فعل (درس)، والمفعول به (الدرس) بزيد الفاعل، **ولولا الفاعل لما ظهر الفعل ولا المفعول به!.**

وبالتالي يكون نفي الفاعل أو الشك بوجوده هو ضرب من الجنون المطبق!، ونفي للوعي والإدراك عند الفعل نفسه، وبالتالي لا يصلح للنقاش أو الحوار، والإنسان الذي يناقش مفهوم وجود الفاعل أو يُشكك به، هو إنسان غير صادق مع نفسه، ويحاول أن ينقل هذا المرض إلى غيره.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَـمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم:10].

الفعل الناقص: لا أعتقد أنك أجبتني، فأنا أفترض استمرار وجود فعل دون فاعل قبله إلى ما لا نهاية حيث يصير كل فعل هو فاعل لمن بعده، وفعل لمن قبله.

الفعل الأول: **إنك بهذا الافتراض أسبغت الوجود على الفعل والمفعول به فقط، ونفيت الفاعل**، وهذا الافتراض يناقض حقيقة احتياج الفعل لفاعل في عملية إيجاده، وهذه القضية معروفة باسم التسلسل، وهي باطلة في الواقع، لأنها لو كانت حقًّا لما كان ينبغي أن يقوم عالم الشهادة والغيب ابتداء، لأن محور الوجود هو الفاعل، فقضية التسلسل يترتب عليها الهلاك والفناء للفعل والمفعول به بالمستوى ذاته إذا تم الدمج بينهما مع نفي الفاعل الأول، ويقتصر الوجود على فعل (درس)، والمفعول به (الكتاب) مع نفي الفاعل (زيد)، وذلك بصورة لا نهاية لها، وهذا عبث وباطل عقلًا وواقعًا، وهذه تخيلات محلها الذهن فقط لا تصلح للدراسة أو النقاش، والخوض فيها هو خوض في بحر من الهراء والوهم، وهو أشبه بقول أحدهم لآخر يريد أن يناقشه: تعال نفترض أننا لا نملك عقلًا ونتناقش؟ ولك أن تتصور طبيعة النقاش لو رضي الطرف الثاني بهذا الهراء والجنون.

الفعل الناقص: ماذا تقولون لمن يدَّعي أنه يملك برهان نفي على كل برهان إثبات للفاعل، فتصير -من حيث النتيجة- مسألتا نفي الفاعل وإثباته متساويتين، وتنتفي عنهما صفة العلمية ويصير القَبول والرفض مسألة شخصية وجدانية؟

الفعل الرابع: إن هذا الكلام هراء وهرطقة، **متى كان النفي يحتاج إلى برهان؟** فمن يحاول أن ينفي شيئًا فهو يصدق بوجوده مسبقًا في نفسه، وإلا لما احتاج إلى نفيه، **فمن المعلوم أن الإثبات يحتاج إلى برهان**، ولذلك يُقال: **إن كنت مُدَّعيًا فالبينة**، بينما النفي هو أمر تحصيل حاصل في الواقع لا يحتاج إلى برهان.

انظر مثلًا لمسألة وجود كائنات فضائية عاقلة خارج الأرض، لا نطلب من الذي ينفيها أن يأتي ببرهان على ذلك، وإنما نطلب البرهان ممن يُثبتها، وإذا لم يثبتها بالبرهان، تخضع لمعيار المستحيل والممكن، فإن كانت من الممكنات، يقف العلم منها بصورة

حيادية لا ينفيها ولا يثبتها، ويترك ذلك للدراسة تمهيدًا للحسم مع الزمن، **وبرهان إثبات وجود أمر، هو ذاته برهان على نفي النفي، وبالتالي لا يصح البحث عن برهان لنفي برهان الإثبات، فهذا عمل اعتباطي، ونتيجته الفشل سلفًا لبطلان عمله ابتداءً.**

انظر مثلًا: للطارق الذي يقوم بالطرق على الباب. ففعل الطرق برهان على وجود الطارق ضرورة، وهذا البرهان في إثبات الفاعل، هو في ذات الوقت برهان على نفي نفي وجود الطارق، ومن هذا الوجه يقولون: **نفي النفي إثبات.**

فكل برهان إثبات يتضمن في بنيته نفي النفي، فكيف يمكن أن تأتي ببرهان لنفي الإثبات؟ بمعنى آخر، كيف يمكن أن تنفي وجود الطارق(الفاعل) مع استمرار الطرق(الفعل)**!؟** فهذا هراء لا قيمة له أبدًا.

والتصديق غير الاتِّباع، فالتصديق يفرض ذاته على العقل نتيجة البرهان، فهو موقف علمي لا يستطيع العقل نفيه في قرارة نفسه، بينما الاتِّباع أمر شخصي يتعلق بالإرادة والحرية، ومن هذا الوجه كان الإيمان متعلقًا بالحرية، **والإيمان هو تصديق زائد اتِّباع،** ومجرد التصديق وحده لا يُسمَّى إيمانًا قط.

لذا؛ كانت الحرية للإيمان؛ لا للتصديق والإثبات؛ لأن التصديق أمر متعلق بالعقل، والعقل لا يملك القدرة على نفي تصديق الأمر الثابت؛ مثل مفهوم واحد زائد واحد يساوي اثنين، ولكن يملك الإنسان بإرادته أن يكفر أو يُكَذِّبَ ذلك الحكم العقلي بسلوكه القولي أو الفعلي، ومن هذا الوجه صحت المقولة التي تقول: **التصديق بوجود الله** موقف عقلي فطري لازم، **والإيمان به** موقف أخلاقي. وبالتالي فالمفهومان لا يخضعان لعملية البرهنة عليهما، وكلاهما موقف شخصي لا يتناولهما العلم دراسة.

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29].

الفعل الناقص: هل يمكن أن يتعدّد وجود الفاعلين؟

الفعل الثاني: **إن سؤالك في حد ذاته يتضمن تصديق بوجود الفاعل الأول ضرورة، ولكن تشك في وجود الآخر سواء أكان واحدًا أم مجموعة!، فعليك بما هو ثابت، وأعرض عن أوهامك الذهنية ؛ لأنها افتراضات غير حقيقية، ومن نسج خيالك تحاول أن تثبتها أو تنفيها، وهذا ليس موقفًا علميًّا**، وأنت مُطالب بالبرهان على التعددية لمقام الألوهية ؛ لأن البَيِّنة على المدَّعي، وبينما تأت بالبرهان التزم بوحدانية الله، **ومع ذلك؛** إنّ تعدد الفاعلين أمر مرتبط بتعدد الفعل، فإن كانت الأفعال متعددة فلا شك أن الفاعلين متعددون بعدد الأفعال.

الفعل الناقص: إن الأفعال في الواقع متعددة كما ترون، مما يؤكد تعدد الفاعلين.

الفعل الأول: يا لك من سطحي الفهم، متسرع الحكم. لقد قصد بقوله: تعدد الأفعال، تعدد النظام الذي يحكم الفعل، وليس تعدد صور الفعل، **فالفعل بصوره الكثيرة محكوم بنظام واحد من الذرة إلى المجرة، وهذا برهان على أحدية الفاعل.**

الفعل الناقص: ألا يحتمل أن يكون هناك وجود آخر، ونظام آخر له فاعل غير فاعلنا؟

الفعل الخامس: **إنك تناقش الآن أوهامًا في ذهنك، بينما نناقش وجودًا موضوعيًّا مشاهدًا ونحن جزء منه، وفي هذا الوجود الموضوعي لا يوجد إلا نظام واحد يدل على أحدية الفاعل بالنسبة لنظامنا ووجودنا، أما افتراض وجود عالم آخر ونظام آخر، وبالتالي فاعل آخر، فهذه أوهام لا تخضع للنقاش، أو الدراسة أبدًا، فالدراسة مرتبطة بعالم الشهادة للوصول إلى عالم الغيب.**

الفعل الثاني: عود على بدء. هل يحتاج الفاعل إلى قيامه بالفعل، بمعنى آخر، هل يصدر الفعل من الفاعل ضرورة أو اختيارًا؟

الفعل الثالث: إن ذلك متعلق بصفة الفاعل من كونه فاعلًا ذاتًا أم فاعلًا اكتسابًا، بمعنى أن الفاعل الذي تتوقف حياته على فعله، فهو يصدر منه ضرورة لاستمرار حياته مثل فعل الطعام والشراب بالنسبة للإنسان، **ويصير الإنسان فاعلًا اكتسابًا**، وليس ذاتًا.

أما إذا كان الفعل يصدر من الفاعل مع استغناء الفاعل عنه في استمرار حياته، ووجوده، فهو لا شك يصدر اختيارًا، وإرادة، وليس ضرورة، **ويكون فاعلًا ذاتًا، لا اكتسابًا.**

الفعل الناقص: لماذا يُسمَّى فاعلًا إذا لم يكن له فعل في الواقع.

الفعل الرابع: إن تسمية الفاعل ظهرت لحظة قيامه بالفعل، وقبل حدوث الفعل لا وجود لكلمة الفاعل، وإنما الوجود لمقومات صفة الفاعل التي هي الحياة، والإرادة والقدرة، والقيومية والصمدية، والعلم والحكمة، وما شابه ذلك من صفات ذاتية، وعندما قام بالفعل ظهرت صفات فعلية له مثل الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت...إلخ.

الفعل الخامس: وصلنا الآن إلى أن وجود الفاعل الأول لا يطلب أحد برهانًا على وجوده، وذلك لأنه أكبر حقيقة، وهو برهان على الوجود، ومفهوم وجوده قائم في أنفسنا بداهة وفطرة، وأفعاله أدلة على صفاته، وهو ليس كمثله شيء، ولا يخضع لمقاييسنا أو مواصفاتنا، ويصدر منه الفعل اختيارًا لا ضرورة ولا حاجة ولا عبثًا، ومسألة وجوده أشد وأحق إثباتًا من وجودنا نحن وهو محور الوجود ونفيه هو نفي للوجود ؛ لأن الفعل لا بُدَّ له من فاعل وجوبًا، والفاعل سابق في الوجود عن فعله ضرورة، والوجود الموضوعي يحكمه نظام واحد من الذرة إلى المجرة، ما يؤكد على أحدية الفاعل الأول، ووصلنا أيضًا إلى أن الفعل لا يدرك فاعلَه، ولا يدرك مقاصده، بل ولا يدرك كل أفعاله ؛ لأن الفعل يعيش في عالم الشهادة، ويتعامل مع عالم الغيب

بناء عليه، ومفهوم الغيب هو مفهوم علمي، وديني لا بُدَّ منه، فنحن نعيش في عالم لا مرئي، وما نراه أقل من القليل، وما أكثر الأمور التي يتعامل معها العلماء دون أن يعرفوا ماهيتها وينطلقون من إثباتها فقط، فأكثر إنسان يؤمن بالغيب هو العالم.

لذا؛ ينبغي على الفعل أن يلزم حدّه، ويعرف قَدر نفسه فلا يطلب المُحال، ولا يُنصِّب نفسه حكمًا على فاعله يريد أن يعرف كل شيء عنه، وعن مقاصد أفعاله، وينبغي أن يدرك الفعل عجزه ؛ لأن العجز عن الإدراك إدراك، وهذا الإدراك من مقومات الإيمان بالفاعل الأول، ومن الخطأ استخدام هذا العجز لإضعاف الإيمان بالفاعل الأول، وإن حصل ذلك يكون الإنسان قد وقع بالهراء والسفسطة، ويكون مثله مثل من عجز عن معرفة من يقوم بالطرق على الباب، فقال: لا يوجد طارق أصلًا!. وهذا يلزمه إعادة الدراسة مرة ثانية، وتحديث طريقة تفكيره.

الفعل الناقص: ما تقولون بمن يرفض هذه الطريقة في إثبات الفاعل الأول، ويطالب بدراسة الأمر من خلال ما يحدث من كوارث ومصائب وظلم وطغيان على أرض الواقع، ويتساءل: أين الفاعل الأول العادل الحكيم من ذلك؟ ولماذا لا يتدخل بنفسه ويضع حدًّا للظلم والبؤس الإنساني؟ ويصل من خلال ذلك إلى نفي وجود الفاعل أصلًا، ويضرب على ذلك مثلًا الإنسان الذي يطرق بابًا ولا يُفتح له. فيصل إلى قناعة أنه لا يوجد أحد خلف هذا الباب.

الفعل الرابع: إن الجواب على ما ذكرت ورد فيما سبق من الحوار، ولكنك لم تنتبه إلى ربط الأفكار مع بعضها كعادة من في قلوبهم زيغ، لا يسمعون إلاّ صوتهم.

ومع ذلك سوف أختصر لك الجواب:

أيها الفعل الناقص اعلم! أن البرهان لا يخضع للتصويت وهوى الآخر في أن يقبله أو يرفضه، البرهان حيادي، ويفرض ذاته بذاته على الفكرة، انظر إلى برهان وجود فاعل الطرق على الباب من حيث وقوع الحواس أو أحدها على أثر الفاعل

(الطرق) مما يؤدِّي عند السامع العاقل ضرورة إلى وجود الفاعل الطارق، ويصل إلى ذلك بنفسه دون أن يجبره أحد على البرهان، فتخيل لو أن هذا السامع للطرق قال: لا أقبل بهذا البرهان **الذي حصل في نفسي على وجود الفاعل**، وأريد منكم أن تُثبتوا لي الفاعل من غير هذا الوجه؟ فسوف يكون جواب السامعين الآخرين، قم انظر بنفسك للفاعل إن كان يمكن رؤيته، وانتفاء إمكانية رؤيته ليس برهانًا على نفي وجوده ؛ لأننا نصدق بكثير من الأمور دون رؤيتها، ونتعامل بثقة معها وبصورة علمية دون أن يخطر في أذهاننا أي شك في وجودها. وإن استمر في رفض البرهان الثابت في نفسه، فهذا ينم عن مشكلة خاصة به، تؤكد أنه يعاني من مرض في تفكيره نتيجة معاناة نفسية يعيشها في أعماقه، وهو في ذلك بين أمرين: إما أن يكون خبيث النية يعلم الحق وينكره، أو ساذجًا تنقصه إمكانات الرؤية الفكرية الحاسمة.

أما مسألة نفي وجود الفاعل لعدم معرفة مقاصد أفعاله، أو ما ينتج عنها من مصائب، فهذا موقف طفولي في التعامل مع الأحداث!، انظر كيف يتعامل المجتمع مع الجنايات والجرائم التي تحدث في الواقع، يبحث عن فاعلها ليعاقبه، ولا يخطر في ذهنه نفي الفاعل لها، فمسألة صلاح الأعمال، أو فسادها لا علاقة لها بثبوت الفاعل أو نفيه ؛ لأن المسألة متعلقة بالحكم على الفعل، وليس على وجود الفاعل.

ومسألة وجود الفاعل الأول ثابتة فطرة وبداهة، والوجود كله يدل عليه، ووجوده يقتضي حكمًا ثبوت صفات الحكمة والرحمة والعلم والقدرة والإرادة المطلقة كضرورات لازمة لألوهيته، ونفي معرفة مقاصد أفعاله لا يصح عقلًا وعلمًا أن ينفي وجوده ؛ لأن المسألتين منفصلتان عن بعضهما تمامًا، ومن الطبيعي ألا يُحيط الفعل (الإنسان) بمقاصد الفاعل الأول(الخالق المدبر)، كما أن الفاعل غير ملزم بتفسير مقاصد أفعاله للفعل، لأنه فاعل بإرادة كاملة وعلم مطلق ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107]، و﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:23]، وذلك لأنه كامل العلم والحكمة قدير عظيم حي قيوم بنفسه،

فـلا يصـدر منـه خطـأ أو شرًا أو ظلـمًا للعبـاد، ونفـي وجـود الفاعـل لا يؤثـر عـلى الفاعـل نفسـه، وإنـما يؤثر على الفعـل ذاته ونمط حياته وسـلوكه، إذ سـوف يُصاب بالاضطـراب والقلـق نتيجـة قطـع صلته مـع فاعله.

فنظـام الوجـود يضعـه الفاعـل، والفعـل يخضـع لـه طوعًـا أو كرهًـا، ولا قيمـة لاعتراضـه عـلى النظام، فنظـام الحياة يقوم عـلى قانـون الثنائية والزوجيـة في الأمور (حق/ باطـل، عدل/ ظلـم، خـير/ شر)، (ذكر/ أنثـى)، (سـاخن/ بارد) والفعـل- الإنسـان- جـزء مـن هـذا النظـام ليـس لـه إرادة في تغيـير النظـام أو تعديلـه أو الاعـتراض عليـه، ومهمتـه أن ينسـجم مـع النظـام ويسـير وفقـه، وينفذ مـا يطلب الفاعـل منـه ﴿الَّـذِي خَلَـقَ المَـوْتَ وَالْحَيَـاةَ لِيَبْلُوَكُـمْ أَيُّكُـمْ أَحْسَـنُ عَمَـلًا وَهُـوَ العَزِيـزُ الغَفُـورُ﴾ [الملـك:2]، فالدنيـا دار ابتـلاء وامتحـان.

وهذا كمثل المدرسة ومنهجها الدراسي الموضوع لرفع سوية الطلاب وتعليمهم التفكير والارتقاء بأنفسهم وتزكيتها، ولا بُدَّ من الامتحان لتمييز الجادين الفالحين من الكسالى الخاملين، وبالتالي ينجح الطلاب الدارسون ويرسب الطلاب الكسالى جزاء وفاقًا، ونفي الامتحان في نهاية المرحلة الدراسية هو نفي لمقصد إنشاء المدرسة من أصلها ويصير الأمر عبثًا، ولا يصح للطلاب أن يتدخلوا بوضع المنهج المقرر عليهم ولا اختيار نوعية أسئلة الامتحان، ولا يصح أن يقول الكسالى الراسبون: إن إدارة المدرسة هي وراء رسوبهم وهم ينفِّذون رغبتها، فمن المعلوم أن الإدارة تدعم الطلاب وتشجعهم على الدراسة ووضعت لهم الأساتذة ليعلموهم ووزعت عليهم الكتب وأعطت لهم فرصة تتيح لهم الدراسة والتهيُّؤ للامتحان لينجحوا، ووضعت جوائز للناجحين وعقوبة للراسبين، ومع ذلك تحتضن الراسبين وتعيد تأهيلهم مرة ثانية، ولكن بالطريقة الصعبة!.

ومادة الامتحان للإنسان هي مهمة الخلافة في الأرض بالحق والخير والعدل والمحبة وعمرانها، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]

والتدخل الإلهي المباشر في منع الظلم أو الشر نقض وإبطال لأصل الامتحان والابتلاء للإنسان، بل إنقاص من قيمة الإنسان وفضله، وتقليل من شأنه، وإلغاء مقام خلافته وتقييد حريته، فالوضع الراهن على ما هو عليه من صراع بين الحق والباطل هو منتهى التكريم للإنسان كجنس وأعلى درجات تفضيله على سائر المخلوقات.

وغير ذلك يُعد ترويجًا لفلسفة قدرية إكراهية جديدة، تدمغ الإنسان بهوان العجز أمام قدر لا يرحم، فيمتنع عن الاختيار بحجة الإكراه.

أما استخدام عدم فتح باب البيت المطروق، كدليل على نفي وجود أحد داخله، فهذا باطل في الواقع المشاهد، فكثيرًا ما نطرق باب أحدهم ولا يفتح لنا، ونعلم بعد ذلك أنه كان في البيت، فالمثل ساقط كبرهان لنفي الفاعل، لا سيما أن الفاعل لا يخضع لإرادتنا، أو رغباتنا، أو هوانا!، وليس مطلوب من الإنسان تغيير نظام الوجود والخلق وإنما مطلوب منه استخدامه بالخير والنجاح.

الفعل الناقص: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ العِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [آل عمران:18].

الأسئلة التي هزت عقل الملحد

أُرسِل شاب إلى بلاد بعيدة للدراسة، وظل هناك فترة من الزمن واضطرب فكريًا، وتغيرت نظرته إلى الحياة والموت، وبعد عودته ذهب إلى أهله ليطلب منهم أن يحضروا له معلمًا دينيًّا ليجيب على أسئلته، وبعد بحث طويل وجدوا له معلمًا دينيًّا مسلمًا.

ودار بينهما الحوار التالي:

الشاب: من أنت ؟ وهل تستطيع الإجابة على أسئلتي ؟

المعلم: أنا عبد من عباد الله، وسأجيب على أسئلتك بإذن الله.

الشاب: هل أنت متأكد؟ الكثير من العلماء قبلك لم يستطيعوا الإجابة على أسئلتي.

المعلم: سأحاول جهدي.. وبعون من الله.

الشاب: لدي سؤالان:

1. **إذا كان وجود الله حقيقة فأرني شكله أو دعني ألمسه؟**
2. **ما هو القضاء والقدر؟**

وسرعان ما قام المعلم بصفع الشاب صفعة قوية على وجهه!

فتعجب الشاب! وغضب، وقال وهو يتألم: لماذا صفعتني؟ وما الذي جعلك تغضب مني؟

أجاب المعلم: لست غاضبًا! وإنما الصفعة هي الإجابة على أسئلتك!

الشاب: ولكني لم أفهم شيئًا!

المعلم: ماذا تشعر بعد أن صفعتك؟

الشاب: بالطبع أشعر بالألم والإهانة!

المعلم: هل تعتقد أن هذا الألم موجود؟

الشاب: نعم.

المعلم: أرني شكله أو دعني ألمسه؟

الشاب: لا أستطيع.

المعلم: هذا هو جوابي الأول.. كلنا نشعر بأنفسنا ضرورة دافعة بوجود الله، ولكن لا نستطيع رؤيته أو لمسه!

ثم تابع المعلم: هل حلمت البارحة بأني سوف أصفعك ؟

الشاب: لا.

المعلم: هل خطر ببالك إني سأصفعك اليوم ؟

الشاب: لا.

المعلم: هذا هو القضاء والقدر وقوع الحدث دون توقع أو تعمد منك وفق مجريات الأحداث ومعطياتها الخارجية!

ثم أضاف: يدي التي صفعتك بها، ممَّ خُلقت ؟

الشاب: من طين.

المعلم: وماذا عن وجهك ؟

الشاب: أصله من طين.

المعلم: ماذا تشعر بعد أن صفعتك؟

الشاب: أشعر بالألم.

المعلم: وهل الطين يتألم أو يشعر إن ضربته ببعضه؟

فسارع الشاب وقَبَّل يدي المعلم، وقال: آمنت بالله ربًّا وملكًا وخالقًا، وآمنت بقدر الله، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الجنة حق والنار حق...

الشرك به، والشرك معه

هل يغضب الله لنفسه

يتساءل كثير من الناس، خاصة ذوو الشبهات ممن يُسمون أنفسهم «ربوبيين» أو «ملاحدة» أو «عقلانيين» **لماذا يغضب الله لنفسه ولا يغفر لمن يُشرك به،** ولا يغضب على من يُزهق حياة الناس، ويَنتهك أعراضهم، ويسلب أموالهم بالمستوى ذاته؛ بل ويمكن أن يغفر لهم؟

لمعرفة جواب هذا ينبغي أن نعرف دلالة كلمة الغضب أولًا.

غضب: كلمة تدل على حركة منبثقة من غياب تظهر بدفع شديد جدًّا منتهية بجمع واستقرار في نهايتها.

وثقافيًا ظهر هذا المفهوم بالحالة التي تصيب الغاضب من كراهية ورفض وعدم رضا عن سلوك الآخر.

وظهور الغضب له وجهان:

أ- **غضب ينتج عن وقوع الشر** على النفس، فيتأذى صاحبها نفسيًّا أو ماديًّا، فيغضب لنفسه، وذلك لأنه تأثر بما حصل ضعفًا وقصورًا واحتياجًا.

ب- **غضب ينتج عن انتهاك النظام والأوامر.** مثل غضب الأستاذ على التلميذ المقصر في واجباته، أو غضب شرطي المرور النزيه على السائق الأرعن الذي يسير بعكس الاتجاه، أو غضب الطبيب على مريضه إن أهمل الدواء...إلخ، وهذا الغضب

ليس لنفس الغاضب، وإنما موجه لحماية الآخر من نفسه الخاطئة وحرصًا على مصلحته، وحماية لمصالح الآخرين، فهو غضب من أجل الخير والعمل الصالح متعلق بمصلحة الناس.

وغضب الله من هذا القبيل فهو لا يغضب لنفسه قط؛ لأنه الحي القيوم الأحد الصمد، فلا يمكن لمخلوق كائنًا من كان أن يؤذيه على أي صعيد أو ينفعه، فهو مستغن عن الخلق مع احتياج الخلق إليه، **ويغضب للناس إن وقع عليهم الظلم واستبيحت أعراضهم وأموالهم،** وذلك حماية لهم وحرصًا على مصالحهم، فيوجِّه غضبه على المجرمين المستبدين والمستعبدين من الفراعنة والهامانات والقوارين، ومن تبعهم بإجرامهم إلى يوم الدِّين.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ **وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ** وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران:112].

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ **وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ** وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾[الفتح: 6].

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا **وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ** وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:93].

﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا **فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ** وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:106].

والفرق بين **الغضب واللعن** هو أن **الغضب** حال ينتاب الغاضب، ﴿وَلَمَّا **سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ** أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ

يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:154]، **واللعن** فعل متعلق بالآخر من طرد وإبعاد وحجب عن رحمة الله وتوفيقه، والهلاك له واحتقاره، ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرا ﴾ [النساء:52]، ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب:61].

إِذَنْ؛ الله لا يغضب لنفسه، وإنما يغضب لعباده، ويغضب إذا انتهك أحد أوامره ونظامه الموجه في أصله إلى مصلحة الناس وسعادتهم.

أما كلمة شَرك: فهي تدل على حركة منتشرة مكررة مندفعة بضغط خفيف.

وتستخدم بصورتين:

الفعل الثلاثي: شَرَك ومضارعه يَشرِكُ، والمصدر شركًا، واسم الفاعل شارك.

الفعل الرباعي: أشركَ ومضارعه يُشركُ، ومصدره إشراكًا، واسم الفاعل مُشرك.

وكلمة (شريك) من أشرك الرباعي وجمعها شُركاء.

اقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ فَألْقَوْا إِلَيْهِمُ القَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل:86].

وقوله: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [طه:32].

والقرءان لم يستخدم كلمة (الشرك فيه)! وإنما استخدم: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 48]، ويوجد فرق بين الدلالتين:

- حرف (في) يدل على الظرفية والاحتواء.
- حرف (بـ) يدل على الأداة والالتصاق.

ونفي المغفرة عن المشرك بالله لا يعني نفي خروجه من النار، وإنما يعني أن العقاب لا بُدَّ أن يطوله، ولا بُدَّ للوعيد أن يتحقق، وذلك أثناء الحساب، وبعد تحقيق الوعيد وصدور الأمر بعقوبته وتنفيذه في النار يأتي دور العذاب، فيمكث في النار إلى أن تتطهَّر نفسه من الخبث، فتشمله رحمة الله الواسعة، ويخرج من النار إلى الجنة، فدخوله النار يكون بحكمة الله وقدرته، وخروجه يكون برحمة الله. وينبغي أن نفرق بين دلالة كلمة (شاء) وكلمة (أراد).

• شاء: كلمة تدل على احتمالية الاختيار، انظر قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف:29].

• أراد: كلمة تدل على التحديد والقصد للشيء بعينه. انظر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82]، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48]، متعلقًا بالمشيئة وليس بالإرادة، والأمر إذا تعلق بالمشيئة لا يعني حتمية حصوله، ولا تحديد أمر معين، فالأمر مفتوح واحتمالي في الاختيار، وكون الله عليم وحكيم ويتصف بالرحمة فقطعًا عندما يحدد أحد الأمرين الاحتماليَّين يكون ذلك بعلم وحكمة ورحمة، وليس اعتباطًا أو محاباة لأحد. فالوعيد لمن مات على جرمه لا بُدَّ أن يتحقق في الآخرة، أما في الدنيا فالمغفرة والتوبة متاحة للجميع بشرط العمل الصالح والإصلاح لما أفسد تعويضًا عن جرمه وإفساده السابق.

فالظلم نوعان: ظلم متعلق بالله والناس، وظلم متعلق بالناس فقط.

أ- الظلم المتعلق بالله والناس هو المقصود بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: جعل الله أداة تبرير، أو أداة طاعة الناس للظالم، حيث يقوم الظالم بالادعاء أنه ينفذ إرادة الله أو يتكلم عنه، ويسفك الدماء ويهتك الأعراض،

ويصـادر الحريـات، ويسـلب الأموال... باسـم الله وإرادته، فيكون بذلك اسـتخدم الله أداة وألصـق نفسـه به.

فهذا الظلم هو الذي قال الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، وكلمة (يُشرك) من الفعل الرباعي (أشرك) الذي يدل على قيام جهة بإشراك جهة أخرى في أمر دون علم أو إذن منها. انظر قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه:32]، والغضب الإلهي واللعن وعدم المغفرة ليس لأن الناس أشركوا مع الله، فالله غني عن العباد وهو حي قيوم، وإنما لأنهم أشركوا بالله بالمعنى الذي عرضته آنفًا، فهو غضب للشعوب والناس! وهذا الشرك بالله غير الشرك مع الله الذي هو عبادة الأصنام أو القول بأن الله ثالث ثلاثة....إلخ.

ب- الظلم المتعلق بالناس فقط: هو الاعتداء على حقوق الناس من غير وجه حق دون الادعاء بأنه ينفذ ذلك بأمر من الله، أو أنه عين إرادة الله.

ومن خلال التفريق بين الشرك بالله، والشرك مع الله، وظلم الناس دون استخدام الله أداة، لن يحصل على أي صفح مقابل شركه بالله! فلا شك أن جرم الشرك بالله أشد من جرم الشرك مع الله، أو ظلم الناس فقط دون الشرك بالله.

لذا؛ لا يغفر الله الشرك به، لأنه ظلم عظيم متعلق بالله والناس معًا، وهو غالبًا يصدر من قيادات الناس ورؤسائهم على الصعيد العلمي أو الثقافي أو السياسي أو الاقتصادي... أما الظلم بين الناس فهو لا شك في جرمه، ولكنه أخف بكثير من الظلم الأول، لأنه يتعلق بالأفراد وليس بالشعوب! ولقد ذكرت في مقالي أن العقاب هو لتحقيق الحكمة الإلهية من جانب، وتعذيب(تنقية وصفاء وطهارة) المجرمين من جانب آخر، وبعد ذلك يخرج الجميع تباعًا من النار حسب حصولهم على الصفاء والطهارة الذاتية، ومثلهم كمثل المريض إن دخل المشفى فهو الذي يُساهم ويحدد خروجه من خلال تفاعله في عملية تسريع الشفاء ومدى تقبله والتزامه بالعلاج.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:13].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64].

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران:151].

﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:36].

﴿إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 48].

﴿إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:116].

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: 81].

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:33].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: 28].

﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:31].

فالمشرك بالله ما ينبغي أن يدخل المسجد الحرام، وما ينبغي أن يصير بينه وبين المسلمين أي علاقة من نكاح أو غيره، وذلك لأنه مجرم وكاذب وظالم للناس، ومستبد ومستعبد لهم باسم الله والدِّين.

فناء النار وخروج من فيها

يوجد في التراث بضعة آراء لمفهوم الخلود في النار.

1. كل مَن يدخل النار لن يخرج منها أبدًا ويستمر عذابه إلى ما لا نهاية (عذاب سرمدي)[4].

2. عذاب أهل النار مدة طويلة جدًا، ثم فناء النار ومن فيها.

3. يخرج من النار مَن كان في قلبه ذرة من الإيمان، ويخلد المجرمون أمثال إبليس وفرعون وهامان وقارون إلى ما لا نهاية[5].

4. يتعذب أهل النار حسب ذنوبهم، ويَخرجون من النار تباعًا كل حسب عقوبته، فلا يبقى فيها إلا المجرمون (فرعون وقارون وهامان)، ومن تبعهم في إجرامهم فيبقون مدة طويلة جدًا (خالدين فيها أبدًا) إلى أن يأذن الله بخروجهم بعد أن يكونوا قد طهرتهم النار من شرورهم وخُبثهم، فيخرجون إلى الجنة، وتسعهم رحمة الله، وتفرغ النار من أهلها، فَيُفنيها لانتفاء وظيفتها، وهذا الرأي نصره ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» ونقل ذلك عن شيخه ابن تيمية الذي أرجع ذلك لآراء بعض من الصحابة.

والرأي الرابع هو الذي أرجحه وأميل إليه. وسأعرض لك أهم القرائن والأدلة التي اعتمدتها في ذلك:

---

4 عدنان الرفاعي: https://www.youtube.com/watch?v=M1f5YmUMgrs

5 رأي جمهور المسلمين.

1. إن النفس للكائن الإنساني متصفة بصفة الدوام لا تفنى، هكذا أرادها الخالق تبارك وتعالى، فسواء أكانت النفوس في الجنة أم في النار، فهي متصفة بصفة الدوام، وبالتالي يبطل مفهوم فناء أهل النار، ويبقى للنقاش والحوار المفهومان الأول والثالث.

2. مفهوم أسماء الله الحسنى وبالذات اسمَي الحكيم والرحيم يقتضيان أن يكون العقاب مناسب للعمل، وليس أكبر أو أكثر منه. فمهما كان العمل إجراميًا، فهو لا شك محدود في النهاية، وبالتالي لا بُدَّ من محدودية وانتهاء مدة العقاب، بخلاف الثواب والعطاء، فهما مبنيان على العمل الصالح، ولكن غير مُقيدين به من حيث الكم والكيف، وإنما هما مرتبطان بصفة الكرم والقوة والقدرة للمُعطي، **فالعقاب محدود، والعطاء والثواب مفتوح، والأصل في استمرار الشيء هو الخير والصلاح، وليس للشر والفساد، فالناس يدخلون إلى الجنة بعملهم الصالح وبرحمة الله لهم، ويخرج العُصاة من النار تباعًا بحكمة الله وقدرته ورحمته.**

3. إن صفة الغضب الإلهي واللعن صفة عارضة غير مستمرة، بخلاف الحكمة والرحمة فهما مستمران، وذلك يقتضي تحديد العقاب، وفناء النار، وخروج أهلها برحمة الله الواسعة إلى الجنة في نهاية المطاف، فالحكمة والرحمة أصل، والغضب واللعن ظرف راهن.

4. كلمة (عذاب) من عذب، التي تدل على عزل أو فصل أو تنقية شيء من أمور لحقت به، نحو الماء العذب، وهو الماء الصافي الصالح للشرب والخالي من الشوائب. والعذاب للإنسان هو القيام بتطهيره أو عزل الشوائب التي أصابت نفسه، **وهذا مفهوم التعذيب، وإذا انتفت الغاية انتفى مفهوم العذاب وصار تشفيًّا، والخالق الصمد المستغني عن كل شيء منزه عن هذا الفعل، والقيام بالتعذيب ومن ثم إفناء المعَذَّبين عبث، واستمرار التعذيب إلى ما لا نهاية أيضًا عبث وخلاف الحكمة، فالتعذيب ضرورة أن يكون له مآل وغاية ينبغي أن تتحقق**

وإلا انتفى مفهوم العذاب، والعذاب للنفس، والألم للجسم، وبالتالي بطل الرأي الأول والثالث لانتفاء مفهوم العذاب عنهما.

وأفعال الله غائية فما هي غاية الله من استمرار عقوبة أهل النار إلى ما لا نهاية ؟ مع العلم أن العقوبة كمفهوم هي تطهير للإنسان من نجاسته وخبثه في الآخرة، وفي الدنيا لردعه وزجره!

5. مفهوم التعويض للناس عما أصابهم في الحياة الدنيا من المصائب، فالإنسان المظلوم يأخذ حقه كاملًا مضاعفًا حتى يرضى، ويذهب من نفسه الضيق والحزن، ويُعاقب اللهُ الظالمَ بما يستحق، فيتم شفاء غليل نفس المظلوم، وبعد ذلك ينتفي عن المظلوم صفة وقوع الظلم عليه لأخذ حقه ماديًّا ونفسيًّا، وفي هذه المرحلة يرجع الأمر إلى مشيئة الله وعلمه وحكمته ورحمته، فيفعل ما يريد، ليس لأحد بعد تحقيق الحق والتعويض عن الضرر وحصول الرضا من قبل المظلوم من حق بالاعتراض أبدًا على رحمة الله ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107].

6. لم يأت أي نص يخبر عن المكوث في الجنة بصيغة زمنية محددة، بينما أتى في الإخبار عن المكوث في النار بصيغة زمنية محددة. قال تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ: 23]، وكلمة أحقاب: جمع كلمة (حقب)، التي تدل على مجموعة زمنية طويلة جدًّا، ولكن في النهاية هي محدودة من حيث الكم، ومجموع المحدودات محدود ضرورة، بينما اللانهاية لا تُجمع!

وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوَاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة:20]، انظر إلى فاعل كلمة (يخرجوا) وهم أهل النار، ولم ينف النص إرادة الله لهم بالخروج فيما بعد بإذنه، وانظر إلى كلمة (ذوقوا) ؟ وهي كلمة تدل على تناول بعض الشيء لاختباره، فهي تدل على المدة المحدودة، انظر قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35]، ولم تُستخدم هذه الكلمة لأهل الجنة أبدًا.

7. انظر إلى دلالة النص الذي يتكلم عن إرادة أهل النار في الخروج ونفي ذلك عنهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: 167]، فكلمة (خارجين) اسم فاعل، وهي تدل على إرادة أهل النار الخروج من تلقاء أنفسهم من شدة العذاب، فنفى الله عنهم تحقيق مرادهم، ولم ينف إرادة الله لهم بالخروج فيما بعد.

انظر إلى النص التالي الذي يتكلم عن أهل الجنة ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: 48]. فمن الطبيعي أن أصحاب الجنة لا يريدون الخروج ولا يطلبونه؛ لأن الأصل في الثواب والعطاء التمليك والاستمرار، لذا؛ أتى النص بكلمة (مُخرَجين) لتدل على نفي إخراجهم من قبل الله.

أما النص الذي يتكلم عن أهل النار: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَغَرَّتْكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الجاثية:35]، لاحظ وجود كلمة (فاليوم) قبل كلمة (لا يُخْرجون) وهذا يدل على يوم الحساب وبدئه، فلا بُدَّ أن يتحقق الوعيد ويدخلون النار، ويخضعون للعذاب، ولا يُقبل منهم أسف أو اعتذار أبدًا.

ولا تدل الكلمة على نفي الإخراج بصورة دائمة في غير هذا اليوم، انظر مثلًا قول الملك لوزيره: اليوم لا يُخرَج أحد من السجن. لا تفيد نفي الإخراج في غير هذا اليوم.

8. انظر إلى دلالات الكلمات المستخدمة في دخول أهل النار إلى النار، وكيف أنها لا تدل لسانًا على اللانهاية للحدث:

أ. مكث: تدل على توقف وانتظار ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:3].

ب. لبث: تدل على مجرد السكون والتجمع والالتصاق في الشيء ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ:23].

ت. أوى: تدل في عمومها على ميل الإنسان إلى مكان والدخول فيه ليحصل على الحماية، ولذلك يأوي الكفار إلى النار ليتخلصوا من شعورهم بالخزي الذي يحرق قلوبهم ﴿فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى﴾ [النازعات:39].

ث. خلد: كلمة تدل على ارتخاء وحركة متصلة لازمة منتهية بدفع شديد. نحو خلد زيد إلى الأرض. إذا التصق بها بشدة، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [الأعراف:176].

ج. أبد: تدل في عمومها على الزمن الطويل الممتد، وتجمع على كلمة آباد، ومن المعروف أن اللانهاية لا تجمع، وهذا يدل على وجود النهاية، وهو محدود ضرورة إلا بقرينة تعطيه صفة الامتداد دون تحديد للنهاية ابتداء ﴿إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: 169].

اشتراك بعض الكلمات لأهل الجنة وأهل النار في الاستخدام مثل (خالدين، أبدًا، مأوى..) الضابط لها هو: أن الحكمة والرحمة أصل، والغضب واللعن ظرف، أي: الثواب دائم، والعقاب مؤقت، والجنة دار السلام والمقام، والنار دار البوار والهلاك، وأهل الجنة لن يُخرجهم أحد منها، بينما أهل النار لا يخرجون بإرادتهم، وإنما يخرجون بالعفو الإلهي والرحمة التي وسعت كل شيء بعد تحقيق الحكمة، والوعد لا بُدَّ من تحقيقه لأصحاب الجنة، والوعيد متعلق بمشيئة الله إن شاء فعل، وإن شاء عفا، فهو الملك القاهر الحكيم الرحيم الحي القيوم القادر على كل شيء.

9. دلالة النص ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْما مَّقْضِيّا﴾ [مريم:71].

فحسب سياق النص والآيات التي قبله وبعده متعلقة بإحضار المجرمين إلى قرب النار جاثين، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّا﴾ [مريم:68]، ورؤية المؤمنين لهم، كما أن دلالة كلمة (ورد) غير دلالة كلمة (دخل)، فالنص يتكلم عن عملية ورود وليس دخول، وهي تدل على العرض والحضور والمجيء وما شابه ذلك، ومن ثم نجاة المؤمنين من النار ودخول المجرمين فيها. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّا﴾ [مريم:72].

10. ودلالة النص ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 80]، لا يوجد فيه نفي خروج أهل النار، وإنما يدل على أن الكافرين يظنون أن المكوث في النار هو بضعة أيام، وسوف تمضي بسهولة، فيخبرهم النص أن هذا القول هل كان نتيجة أخذكم من الله عهدًا، أم تقولون على الله ما تعلمون، إن العذاب والمكوث في النار أكثر مما تعتقدون بكثير، والعذاب شديد ومهول، ومثل ذلك كمثل من يقول: إن مدة عقوبة جريمة القتل بضعة أيام، وبالتالي يستسهل الجريمة، بينما الواقع غير ذلك تمامًا، فقد تصل العقوبة إلى الإعدام.

لاحظ أن آيات الخلود في النار تأتي بصيغة اسم فاعل دائمًا (خالدون) ولم تأت ولا مرة واحدة بصيغة (مُخَلدون)، بينما أتى وصف دخول أهل الجنة للجنة بيوم الخلود: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق:34]، وهذا يدل على أن صفة الخلود سرمدية لأهل الجنة، وليست هكذا لأهل النار، وإنما الخلود منبثق من إرادة الإنسان الكافر، وذلك لشعوره بالخزي والعار فيسارع إلى الخلود إلى النار ليطفئ نار الخزي والندم والعذاب النفسي الملتهب في داخله، وذلك من باب تغطية الألم النفسي بألم أشد منه، نحو استخدام الكي في النار لتغطية ألم نفسي أو جسمي! وهذا لا يعني

عدم وجود الألم الشديد في النار الذي يدفعهم إلى إرادة الخروج منها، فهم يخلدون إلى النار للخلاص من الألم النفسي، وعندما يدخلونها يجدون ألمًا أشد منه فيريدون الخروج منها فلا يستطيعون.

ويمكثون في النار إلى أن تَطْهُر نفوسهم الخبيثة النجسة، فإذا طَهُرَت نفوسهم، وذلك يكون بعد أن أدُّوا عقوبتهم كاملة، وتحقق الحق الإلهي وحكمته فيهم، وانتفى وجود المبرر لبقائهم في النار بعد أن صارت نفوسهم طاهرة، فتسعهم رحمة الله، ويخرجون بالأمر الإلهي والعفو والرحمة، فيخرجون من النار إلى الجنة، ولكن بالحد الأدنى منها، لانتفاء العمل الصالح عنهم في دار الامتحان، وسوف يرضون بذلك، ويشعرون في قرارة أنفسهم بالكرم والعطاء الإلهي العظيم؛ لأنهم يعلمون أنهم لم يحصلوا على ذلك بعملهم وطاعتهم لله، ومثل ذلك كمثل ملك أصدر قرارًا بالعفو عن مجرم بعد انتهاء نصف عقوبته المحددة له، فمجرد فعل العفو بحد ذاته هو كرم ورحمة، فما بالك إذا رافقه عطاء!، هل يظن أو يتساءل المجرم عن قلة أو كثرة العطاء؟ وهل يعتقد أن العطاء حق له؟ أم يرضى بأي شيء وهو مسرور به لأقصى الحدود لعلمه في نفسه أنه لا يستحق ذلك أبدًا.

مفهوم الخلود غير السرمدية

أما النصوص الأخرى التي تدل في ظاهرها على المكوث اللانهائي مثل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:40]، فالنص ذكر صفتين وهما التكذيب والاستكبار، فمن اتصف بهما لا بُدَّ أن يطوله الوعيد، ونفي فعل دخول الجنة (لا يدخلون) لا يفيد النفي المستمر إلى ما لا نهاية بدليل مجيء بعده جملة(حتى يلجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاط) لأنه لو كان النفي يفيد الاستمرار في النص لصارت الجملة الأخيرة عبثًا ولم تفد شيئًا جديدًا، ولو كان المقصد النفي

المستمر لأتى النص بصيغة (ولا يَخرجون من النار حتى يلج الجمل في سم الخياط) بدل كلمة (لا يدخلون الجنة)، فالنص نفى دخول الجنة ابتداء، وذكر أنه لا بُدَّ أن يطول الوعيد الكاذبين بآيات الله والمستكبرين عنها.

فينبغي أن تُفهم هذه النصوص وأمثالها على ضوء المنظومة العامة للمفهوم، وعدم تحميل الكلمات دلالات لا تحتملها، فمفهوم اللانهاية لا يدل عليه أي كلمة مما تم استخدامه في النصوص المتعلقة بدخول النار والمكوث فيها، مع العلم أن اللسان العربي يحتوي على كلمة تدل على الاستمرار اللانهائي في اتجاه واحد فقط، وهي كلمة (سرمد) وهي مؤلفة من كلمتين: (سر+ مد) وكلاهما مع بعض يدلان على بدء الشيء وتكراره ومده واستمراره مجتمعًا ومندفعًا بقوة على ما هو عليه إلى ما لا نهاية لذلك نقول: الله أزلي في وجوده، وسرمدي في بقائه.

ولم يتم استخدام كلمة (سرمد) لأهل النار أبدًا، مع استخدامها في النص القرءاني مُقيدة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: 71-72]. وقد يقول قائل: ولم تُستخدم لأهل الجنة أيضًا.

وأقول: لأن استمرار أهل الجنة في الجنة تحصيل حاصل، **فكما ذكرت سابقًا الثواب والعطاء دائم ومستمر**، فَمَن مِن الناس يظن أن جائزته التي حصل عليها مؤقتة؟ ولو سأل المانح لها عن حقه في امتلاكها أو استمرارها لضحك الناس منه!، بخلاف سؤال المعاقَب عن مدة انتهاء عقوبته، فهو سؤال مشروع وحق له.

تساؤلات وأجوبة

النفس والروح، والشرك فيه والشرك به، ومفهوم السرمدية

1- في النقطة الأولى تقول: إن النفس خالدة لا تفنى، والمقصود أنها لا تفنى في عالم الله، ثم تستند في ذلك إلى أن الله هكذا أرادها، (أتمنى لو كنت أشرت إلى المصدر). ولكن ألا يعني ذلك أن جميع من وُلد ويولد وسيولد ستبقى «أنفسهم» إلى الأبد موجودة، في مكان ما، ليس فقط فترة أكبر من الفترة التي كانوا فيها على الأرض وإنما أبديًا. ما الحكمة من ذلك؟ ماذا لو أصيب أحد بالملل وطلب من الله إبادته؟

ج1- الجواب على تساؤلك الأول سيكون من خلال نشر مقال لي قديم وهو:

النّفس غير الروح

النّفس، هي الكائن المنفوخ من الروح في الكائن البشري، التي جعلته كائنًا واعيًا، مستقلًا في وُجُوده عن جنسه، مدركًا لوُجُوده الواعي، ومدركًا لوُجُود غيره، والنفس غير موجودة إلا بالكائن العاقل أو العالم، لذا؛ لم يتم استخدامها في القرءان إلا على الله أو الإنسان فقط، بينما الكائنات البهيمية لا يوجد نفوس لديها، وإنما يوجد طاقة حياتية متعلقة بالجسم فقط، فالإنسان، منذ أن تَفعل عنده السّمع، والبصر، والفؤاد، أدرك وُجُود نفسه؛ ككائنة روحية، منفوخة في دماغه، وذلك من خلال الإدراك الحضوري[6] لها، الذي يعني أنَّ الإنسان، يدرك وُجُود نفسه ككائنة واعية مستقلة عن

6 برهان ابن سينا على وجود النّفس.

الجسم من حيث الخلق، وملتحمة معه من حيث الحياة، والفاعلية قبل أن يقع حسه على آثارها.

وكذلك يدرك الإنسان، وُجُود نفسه، من خلال إدراك آثارها؛ بواسطة الإدراك الحصولي، نحو قول ديكارت: أنا أفكر، إِذَنْ أنا موجود. فقد حكم على وُجُود النّفس، من خلال أحد وظائفها، وهي عملية التّفكير، والقرءان؛ أثبت هذه الحقيقة من حيث أنَّ النّفس كائن غير الجسم قال تعالى: ﴿اللّـهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42] وقال:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:93]، فالنّفس، هي التي تملك الوعي والإدراك، وهي التي تُحدد شخصية الإنسان.

أما الجسم، فهو كائن رحمادي حيوي، نهايته إلى التّحلل والرّجوع إلى عناصره الأولى، التي رُكِّبَ منها، بخلاف النّفس؛ فإنها تبقى موجودة بصُورة سرمدية، لا تفنى، هكذا أرادها الخالق؛ **لأنَّ فناءها، هو نقض لوجودها ابتداء على صفة الوعي والإدراك، فهي خُلقت لتدوم، بخلاف الأشياء الأخرى.**

لذا؛ لا يصح نقاش مسألة قدرة الخالق على إفناء النّفس، أو إمكانية إفنائها لاحقًا وذلك لأنَّ السّؤال سفسطائي ـ في ذاته ـ ومجرد تصُور الجواب عن السّؤال هو ضرب من الوهم، وذلك لأننا إذا قلنا: نعم، الخالق قادر على إفناء النّفس، أو يمكن أن يُفنيها لاحقًا؛ وقعنا في تناقض مع صفة العلم والحكمة الإلهية، فالخالق العليم الحكيم ـ ابتداء ـ عندما توجهت إرادته نحو خلق النّفس، أعطاها صفة السّرمدية، وعملية إفنائها، هي رجوع عن إرادة سابقة، ونقص في العلم، ونقض للحكمة، وهذه إذا اجتمعت نقضت صفة الكمال الإلهي.

لذا؛ فالسّؤال من أصله غير وارد، والنّفس خُلقت لتدوم بإرادة من الخالق تبارك وتعالى، وسرمدية النّفس كصفة، هي من أحد أهم البراهين على وُجُود اليوم الآخر والحساب، وأبدية الثّواب والنّعيم لأنه الأصل، دون العقاب والجحيم؛ لأنه عارض وظرفي.

س – أما قولك: ما الحكمة من ذلك؟ ماذا لو أصيب أحد بالملل وطلب من الله إبادته؟

ج– فأول أمر ينبغي أن نتفق عليه هو أننا سرمديون في الوجود، والموت لنا في الدنيا هو حالة سُبات نفسي مؤقت، ونُبعث بعد ذلك مع التعديل والتبديل لجسمنا الذي يناسب المرحلة الثانية التي تبدأ بيوم البعث أو الحساب لنتهيأ إلى الحياة الباقية في المشروع الإلهي.

فيصير السؤال بحاجة إلى تحديد الحكمة بالنسبة لمن، أللإنسان أم لله؟

أ – فإن كان للإنسان فلا شك أن الوجود السرمدي الواعي الحر المتجدد للإنسان في دار السلام هو خير بحد ذاته، ولو سبقه مرحلة امتحانية، ولا يرفضه أحد أو يصيبه ملل! وبالتالي ليس صوابًا أن يسأل الإنسان الموجود: لماذا خُلقت؟ ولماذا صرت شيئًا بعد أن لم أكن شيئًا؟ لأن الأمر صار وانتهى وهو الآن موجود كائن عاقل مريد، والسؤال الصواب هو: ما هي وظيفتي في هذا المشروع الإلهي؟ وبعد معرفة الجواب يسارع في القيام بوظيفته حسب المطلوب منه.

ب– إن كان السؤال متعلق بالله، فلا شك أن الله خلق هذا المشروع بمرحلتيه (الدنيا والآخرة) بعلم وإرادة وحكمة لا عن ملل أو عبث...، والأمر إليه لا يمكن معرفته؛ لأنه لا يهم الإنسان نفسه ولا يتعلق به وبوظيفته، وإن أخبره الله به لا يعقله ويُعيد السؤال ذاته، ولماذا! وذلك لأن العقل والتفكير متعلقان بالواقع المحدود فقط ومقياسه النفع والضرر بالنسبة إليه.

2- ماذا يعني الوجود والأبدية والزمان والمكان في مملكة الله؟ ما هو الزمان وكيف يقاس، من حيث إن الزمان والمكان هما صفة من صفات المادة (الأبعاد الأربعة) إضافة إلى أن الزمان نسبي من زاوية مقارنة المراقب؟ كيف يمكن القول « أيامًا معدودة» من داخل مملكة الله؟

ج2- لا شك أن الوجود يتصف بالوجود الحقيقي، وليس بالوهم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:19]، وأحد القوانين التي تحكمه قانون سرمدية المادة، فهي تتحول من صورة إلى أخرى تخضع لقانونها وفق منظومة الخلق والوجود. والزمان هو تجريدي، ويظهر كبُعد لحركة المادة التي تحدث متغيِّرة ويُسمَّى الوقت النسبي المتعلق بالشيء المعني بالكلام، ويظهر على أثر ذلك تاريخ أفعال الله بأبعاده الزمانية الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل)، انظر قول الله تعالى:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: 47].

وبما أن المادة سرمدية، والوقت بُعد لازم لها، فهذا يدل على وجود الوقت في المشروع الإلهي بمرحلتيه - الدنيا والآخرة- ولكل مرحلة علامات يُقاس بها الوقت.

والقول (أيامًا معدودات) سواء أكانت في الدنيا أم في الآخرة فلا شك أنها وقت محدود، ومتعلق كل يوم بعلاماته حسب المرحلة التي هو فيها.

وليس من الصواب استخدام كلمة (مملكة الله) لأنها تدل على العجز والمحدودية، والصواب أننا من خلق الله، انظر لقوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان:11].

3- يخبرنا القرءان أن الله يغفر كل شيء إلا الشرك فيه، وبالتالي فمن يسقط في النار بسبب الشرك فعقوبته أبدية ؛لأن الله لا يغفرها، وبالتالي فصفة الغضب لأسباب شخصية مستمرة، أما الغضب لأسباب تتعلق بالآخرين فهي غير المستمرة، هكذا

قال الخالق في القرءان. أي: إن المرء قد لا يدفع شيء على الإطلاق مقابل ظلمه للآخرين، ولكنه لن يحصل على أي صفح مقابل شركه، فهل للشرك أيضًا فترة محدودة من العقاب، وما هو هدف هذا النوع من العقاب؟

ج3- القرءان لم يستخدم كلمة (الشرك فيه)! وإنما استخدم: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن **يُشْرَكَ بِهِ** وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن **يُشْرِكْ بِاللّهِ** فَقَدِ افْتَرَى إِثْما **عَظِيمًا**﴾ [النساء:48].

فيوجد فرق بين الدلالتين:

- حرف (في) يدل على الظرفية والاحتواء.
- حرف (بـ) يدل على الأداة والالتصاق.

والأمر ليس شخصيًا - والصواب أن تقول: ذاتيًا لأن الله ليس شخصًا- كما ذكرت حضرتك، والأمر متعلق بفهم الشرك به ماذا يعني! وسنشرحه لاحقًا.

نفي المغفرة عن المشرك بالله لا يعني نفي خروجه من النار، وإنما يعني أن العقاب لا بُدَّ أن يطوله، ولا بُدَّ للوعيد أن يتحقق، وذلك أثناء الحساب، وبعد تحقيق الوعيد وصدور الأمر بعقوبته وتنفيذه في النار يأتي دور العذاب، فيمكث في النار إلى أن تتطهر نفسه من الخبث فتشمله رحمة الله الواسعة، ويخرج من النار إلى الجنة، فدخوله النار يكون بعدل الله، وخروجه يكون برحمة الله.

وينبغي أن تفرق بين دلالة كلمة (شاء) وكلمة (أراد).

- شاء: كلمة تدل على احتمالية الاختيار انظر قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف:29].
- أراد: كلمة تدل على التحديد والقصد للشيء بعينه. انظر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:82].

فيكون قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ** فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:48]، متعلقًا بالمشيئة وليس بالإرادة، والأمر إذا تعلق بالمشيئة لا يعني حتمية حصوله، ولا تحديد أمر معين، فالأمر مفتوح واحتمالي في الاختيار، وكون الله عليم وحكيم ويتصف بالعدل فقطعًا عندما يحدد أحد الأمرين الاحتماليّن يكون ذلك بعلم وحكمة وعدل ليس اعتباطًا أو محاباة لأحد. فالوعيد لمن مات على جرمه لا بُدَّ أن يتحقق في الآخرة، أما في الدنيا فالمغفرة والتوبة متاحة للجميع بشرط العمل الصالح والإصلاح لما أفسد تعويضًا عن جرمه وإفساده السابق.

فالظلم نوعان: ظلم متعلق بالله والناس، وظلم متعلق بالناس فقط.

أ- الظلم المتعلق بالله والناس هو المقصود بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ**﴾ أي: جعل الله أداة تبرير، أو أداة طاعة الناس للظالم، حيث يقوم الظالم بالادعاء أنه ينفذ إرادة الله أو يتكلم عنه، ويسفك الدماء ويهتك الأعراض، ويصادر الحريات، ويسلب الأموال...باسم الله وإرادته، فيكون بذلك استخدم الله أداة وألصق نفسه به، فهذا الظلم هو الذي قال عنه الله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ **يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:13].

وكلمة (يُشرك) من الفعل الرباعي (أشرك) الذي يدل على قيام جهة بإشراك جهة أخرى في أمر دون علم أو إذن منها. انظر قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه:32].

والغضب الإلهي واللعن وعدم المغفرة ليس لأن الناس أشركوا مع الله، فالله غني عن العباد وهو حي قيوم، وإنما لأنهم أشركوا بالله بالمعنى الذي عرضته آنفا، فهو غضب للشعوب والناس!

وهذا الشرك بالله غير الشرك مع الله الذي هو عبادة الأصنام أو القول بأن الله ثالث ثلاثة....إلخ.

ب- **الظلم المتعلق بالناس فقط**: هو الاعتداء على حقوق الناس من غير وجه حق دون الادعاء بأنه ينفذ ذلك بأمر من الله، أو أنه عين إرادة الله.

ومن خلال التفريق بين الشرك بالله، والشرك مع الله، وظلم الناس دون استخدام الله أداة، يظهر جواب لتساؤلك:(أي: إن المرء قد لا يدفع شيء على الإطلاق مقابل ظلمه للآخرين، ولكنه لن يحصل على أي صفح مقابل شركه- بالله-)!

فلا شك أن جرم الشرك بالله أشد من جرم الشرك مع الله، أو ظلم الناس فقط دون الشرك بالله.

لذا؛ لا يغفر الله الشرك به، لأنه ظلم عظيم متعلق بالله والناس معًا، وهو غالبًا يصدر من قيادات الناس ورؤسائهم على الصعيد العلمي أو الثقافي أو السياسي أو الاقتصادي...

أما الظلم بين الناس فهو لا شك بجرمه ولكنه أخف بكثير من الظلم الأول، لأنه يتعلق بالأفراد وليس بالشعوب!

ولقد ذكرت في مقالي أن العقاب هو لتحقيق الحكمة الإلهية من جانب، وتعذيب(تنقية وصفاء وطهارة) المجرمين من جانب آخر، وبعد ذلك يخرج الجميع تباعًا من النار حسب حصولهم على الصفاء والطهارة الذاتية، ومثلهم كمثل المريض إن دخل المشفى فهو الذي يساهم ويحدد خروجه من خلال تفاعله في عملية تسريع الشفاء.

4- في الفقرة رقم عشرة، وبالارتباط مع شرحك لتعبير خالدين، نجد أن الكفار يشعرون بالعار والخجل. ولكن العار والخجل مشاعر تنتجان بفضل إفراز هرمونات

في الدماغ تؤثران على عمل الجهاز الدموي والعصبي، فهل يكون الإنسان بجسده المادي هناك؟

ج4- كلمة (مشاعر) جمع (مَشعر) وهي على وزن مَفعل التي تدل على اسم مكان مثل مصنع، مذبح، مسلخ،...إلخ، والصواب هو كلمة(شعور).

النفس كائن منفوخ في الجسم (الدماغ)، وعندما يموت الإنسان بسبب انتهاء صلاحية الجسم تخرج نفسه من الجسد، ويعود الجسد إلى عناصر خلقه الأولى، والدماغ عضو تابع للجسد فيهلك معه ويتحلل، والذي يبقى هو الفؤاد وهو جهاز الوعي والتمييز النفسي، والشعور هو وظيفة للنفس لا للجسم ولو أنه يظهر من خلاله، فالإنسان بنفسه لا بجسمه!

وفي يوم البعث والنشور يخلق الله أجسامًا أخرى تناسب المرحلة الثانية حسب قوانينها، فتحل فيها النفوس وتستخدمها. انظر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:48]، والجسم غير الجسد.

5- وأخيرًا، لماذا تتطابق مملكة الله، حسب وصف الأديان الإبراهيمية لها، مع ممالك البشر بكل تفاصيلها ودقائقها، وكأنها إسقاطات ذهنية بشرية خالية من الإبداع، على خلاف الأديان الأخرى؟

ج5- كلمة (الأديان الإبراهيمية) خطأ، فالله نزَّل دينًا واحدًا اسمه الإسلام، والدِّين لا يُنسب إلى شخص أو مخلوق، انظر قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193] ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران:19].

واليهودية والنصرانية ليستا دينين، وإنما هما ملتان، وغير تابعتين لأي نبي لا

موسى ولا عيسى.

وأتباع الأنبياء والرسل كلهم اسمهم مسلمون بمختلف شرائعهم.

أحكام الله هي الأصل وصفات الحكم الإلهي هي الأصل، والظالمون هم الذين اعتدوا على هذه الصفات ونعتوا بها أنفسهم، فوحدانية الله حق، والشرك بين الناس في أمورهم حق، الله صاحب السلطة الحقيقية لا يُسأل عمَّا يَفعل لتمام علمه وحكمته وقوته وقيّوميته، وهم يُسألون لأنهم محدودو العلم والحكمة ومحتاجون ضعفاء وأصحاب حاجة وشهوات، ومع ذلك جعلوا من أنفسهم آلهة واستعبدوا الشعوب.

من هذا الوجه أتى التشابه بين حكم الله وصفات دينه، وحكم الناس ونظامهم.

وأرجو أن أكون قد وفقت في عرض وجهة نظري عن تساؤلاتك.

كيف نعرف أن القرءان وحي من اللّٰه

كثيرًا ما يتساءل الشباب! كيف نثبت أن القرءان وحي من الله، كما قال الآباء لنا، وكما ورد في التراث؟ ونحن لا نستطيع إدراك قوة بيانه أو بلاغته، أو طريقة نظمه للكلمات والجمل إذا كان برهانه الإعجاز اللساني، ونحن لسنا من العلماء حتى ندرك دقائق النظريات الكونية التي أشار إليها القرءان أو ذكرها صراحة، ولا نرضى بأن نتبع العلماء في هذه المسألة المصيرية بناء على الثقة، خاصة أن القرءان خطاب لكل الناس، وهذا يقتضي أن يعرف كل الناس مصداقية وصواب نسبة القرءان إلى الوحي الإلهي!.

هذا التساؤل كامن في نفوس الناس عامة، ولا يجدون جوابًا مقنعًا يجعلهم يؤمنون بصورة عقلية تبث الاطمئنان في قلوبهم.

وهذا السؤال حق مشروع، يطرحه كل تابع ومتبوع.

وقبل أن أعرض مجموعة من النقاط التي تساعد الإنسان في الوصول إلى جواب بنفسه لابدَّ من عرض بعض مسائل مهمة وهي:

ينبغي أن نفرق بين التصديق بوجود الله كخالق مدبر التي هي مسألة فطرية لا يملك العقل أو النفس رفضها، وبالتالي ليست هي محل نقاش أو برهنة لبداهتها، ومسألة الإيمان بالله التي هي مرحلة أعلى من التصديق إذ تضيف له الاتباع، والإيمان مسألة أخلاقية وليس مفهومًا فلسفيًا للنقاش أو الإثبات، وبالتالي لا يخضع للبرهنة، ومن هذا الوجه كانت حجة الله قائمة على الناس كلهم فطرة وأخلاقًا، ولتقريب

الفكرة أقول هل يوجد إنسان عاقل يطلب البرهان على أن الفعل لابد له من فاعل، أو برهان على وجوب الصدق والأمانة بين الناس؟ أو نفي الغدر والقتل وسرقة الناس؟ الأخلاق الإنسانية منظومة يحملها الإنسان منذ ولادته وانتمائه الاجتماعي بصرف النظر عن تصوره للوجود، والإنسان كائن اجتماعي أخلاقي.

لذا؛ التصديق بالخالق المدبر فطرة، والإيمان به حرية، وكلاهما لا يخضعان للبرهنة؛ لأن الأول بداهة، والثاني موقف أخلاقي، فعلى ماذا يتناقش الناس أو يتحاربون؟

إنهم يتحاربون على المصالح والمكاسب والظلم والجشع والاستبداد والاستعباد... إلخ، ويُلبسون حربهم لباس الدِّين أو الإيمان ليضللوا الناس ويجعلوهم وَقودًا للحرب يضربون بهم كأداة حربية ليس إلا.

فالناس أحرار في تصوراتهم وسلوكهم الشخصي، ولكنهم ليسوا أحرارًا في أخلاقهم الاجتماعية والتزامهم بالعدل والصدق والأمانة...إلخ.

القرءان كتاب الله أنزله للناس جميعًا وليس لفرد واحد، وربط خطابه بالكون، وبالتالي فدراسته أو فهمه متعلق بالمستوى المعرفي للإنسان وتطوره، وهذا يعني أن الإنسان كمجتمع ومن باب أولى الفرد أن لا يحيط به علمًا، فكل مجتمع يأخذ حاجته منه ويترك ما غلق عليه فهمه للمجتمعات اللاحقة، لذا؛ من الطبيعي أن لا يعلم الفرد كثيرًا من مفاهيم نصوصه؛ لأن الخطاب إنساني زمكاني، والأمر أشبه برسالة موجهة لمجموعة من الناس مختلفون في تصوراتهم وثقافتهم ومستوى علمهم وبيئتهم، ونص الرسالة مصاغ بحيث يغطي كل المستويات.

وبالتالي إذا قرأ الرسالة واحد منهم لا يمكن أن يحيط بها علمًا، وإنما يأخذ حاجته منها وما فهمه، ومن الخطأ أن يترك الرسالة كلها بحجة أنه لم يفهم الأمور الأخرى التي ليست له أصلًا، وإذا قُرأت الرسالة من المجموعة كلها لا شك أن مستوى فهم الرسالة سوف يكون أرقى وأوسع من القراءة الفردية، فما بالك إذا كانت الرسالة

موجهة لكل المجتمعات مع اختلاف الزمان والمكان!

وينبغي العلم إن الإنسان محدود العلم والمعرفة، وبالتالي لايصح أن يجعل من فهمه معيارًا أو ميزانًا للصواب أو الخطأ، المقياس أو الميزان هو العلم، فإن لم يفهم مسألة معينة لا يعني خطئها أو عدم وجودها، نحو حصول ظاهرة فلكية أو فيزيائية خارج المستوى العلمي للناس.

لذا؛ ينبغي أن ندخل إلى العلم ونحن مؤمنون به، والصواب ما يقرُّه العلم والخطأ ما ينفيه، لا علاقة لعدم ارتياحنا أو رفضنا أو قناعتنا الشخصية الشعورية في ذلك قط، وكذلك ندخل إلى القرءان باحثين عن الحقيقة، ولسنا مشككين أو رافضين له سلفًا، ونختبر حقائقه ونتأكد من أحكامه من خلال ملاءمتها للواقع وتحقيقها للمنفعة العامة للناس والفرد خاصة.

فالواقع موجود وهو محل الخطاب، فأي نص يتناقض مع الحقيقة العلمية فلا شك بكذبه أو خطئه، وأي حكم يترتب عليه الضرر أو الفساد للناس، فلا شك أنه من عند الطاغوت، وليس من عند الله الخالق العليم الحكيم.

انظروا مثلًا، هل يقبل أحد بإباحة نكاح أمه أو أخته أو بنته له؟ هذا ما حرَّمه القرءان.

هل يقبل أحد بالتعامل بالربا المعروف الذي لا خلاف عليه بين الناس الذي يقوم على استغلال العلاقات الإنسانية والاحتياج والضعف؟ هذا ما حرمه القرءان.

هل يقبل أحد أن يسمح بقتل الناس لبعضهم بعضًا؟ هذا ما حرمه القرءان.

القرءان أمر ببر الوالدين والعناية باليتامى والأطفال، وحفظ البيئة والمجتمع من التلوث المادي والفكري من إرهاب أو عنف أو غيره.

أما أن يترك الإنسان كل هذه الحقائق والأحكام الاجتماعية الإنسانية ويجري خلف نص لا علاقة له بذلك، ولم يفهمه هو لقصور في فهمه، ويستخدمه لنقض

القرءان كله، فهذا عمل اعتباطي وهو أشبه بمن يرفض الرياضيات أو الفيزياء لعدم معرفته لموضوع جزئي فيهما!

وأصاب الشاعر عندما قال:

وكم من عائب قولًا صحيحًا... وآفته من الفهم السقيم

ونهاية؛ ينبغي العلم للباحث في القرءان أن القرءان له نظام خاص به في دراسته مثل نفي الترادف الشائع والمجاز والاعتباطية في مفاهيم أصوات الأحرف، وأن الكلمة لها مفهوم واحد ومعانٍ متعددة تفهم حسب السياق ومحل الخطاب، وينبغي معرفة نظام استخدام الضمائر وعائديتها في النص من مفرد أو جمع، ومعرفة أن القرءان منظومة واحدة يحتوي على منظومات، ومفاتيح ذلك النظام موجودة في القرءان ذاته.

أيها الشباب! أقول لكم بكل بساطة: إن هذا القرءان أمام احتمالين لا ثالث لهما:

أولهما: أن **يكون القرءان وحيًا من الله.**

والآخر: أن **يكون من تأليف الإنسان** أيًّا كان.

ومعرفة ذلك على درجة من السهولة، وهو أمر أدرجه الله تبارك وتعالى ضمن مدارك الناس، ووضع لهم عدة أمور كمعيار وميزان للحكم على القرءان بالكذب من أهمها:

الأول: الاختلاف الذي يؤدي للكذب والتناقض بين النص القرءاني ومحل الخطاب من الواقع كآفاق وأنفس أو التناقض في الكتاب ذاته بين نصوصه أو أحكامه.

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرءانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنِدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ [النساء:82]

الثاني: الدعوة إلى الفحشاء برهان على أن الكتاب ليس من عند الله

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:28]

الثالث: دعوة الناس لاتخاذ بعضهم أو الملائكة أو النبيين أربابًا من دون الله.

﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران80]

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران:64]

وغير ذلك من الأمور الموجودة في القرءان،وذلك لإقامة الحجة على الناس، وتحقيق الحكمة الإلهية، ويتأتى ذلك من خلال مجموعة أسئلة يناقشونها في أنفسهم ويفكرون بها، أهمها:

1. هل يدعو القرءان إلى العبودية والخضوع لإنسان مثلنا؟
2. أيأمر بالظلم والاستبداد ، أو بالعدل والمشاركة في الأمر؟
3. هل سمح لنا بإشباع غرائزنا وحاجاتنا النفسية والجسمية؟
4. هل دعوته عرقية، طائفية؟
5. هل يدعو إلى التوازن والصلاح على صعيد البيئة والمجتمع؟
6. هل يدعو إلى الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة؟
7. هل يفضي تطبيق شرعه إلى إحلال الأمن والسلام والسعادة؟
8. هل أوجد أجوبة للأسئلة الكبرى الثلاثة: (كيف، لماذا، أين) بصورة علمية وعقلية موافقة للفطرة؟

9. هل أخباره مطابقة للحقيقة بأبعاده الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؟
10. هل يوافق محتواه العلم مهما تطور مع الزمن؟
11. هل يحقق مصلحة المجتمع والفرد؟
12. هل ثبت تناقضه للعلم أو الواقع مرة واحدة خلال الفترة الزمنية الطويلة؟
13. هل استطاع أحد أن يأتي بمثله خلال الفترة الزمنية السابقة رغم وجود التحدي والدافع؟
14. هل أصاب النص القرءاني منذ بدايته إلى زمننا هذا أي تحريف أو تلاعب في مادته؟
15. هل يسمح بطاعة أحد خلاف الحق والعلم؟
16. هل هو منسجم ومتواصل مع الكتب الإلهية السابقة في خطوطها العريضة؟
17. السحر خداع أو إيقاع الأذى والشر بالناس، فهل القرءان سحر؟
18. الشعر نظام خاص لصياغة الكلام ملتزم بقافية ووزن ويقوم على الترادف والمجاز، فهل القرءان شعر؟
19. الهلوسة والهذيان مرض نفسي يصيب الإنسان، ويظهر من خلال اضطراب في سلوكه ومخالفته للواقع، وصدور ألفاظ لا معنى لها، فهل القرءان هلوسة و هذيان؟
20. من الطبيعي أن يعزو الإنسان العمل العظيم لنفسه. فهل عزا النبي محمد القرءان لنفسه؟
21. نزل القرءان مفرقًا خلال ثلاثة وعشرين عامًا وحافظ على مستوى قوة الأسلوب، وصدق أخباره، وتماسكه المنطقي والمعلوماتي، ومن المعلوم أن

الإنسان يتغير ويتطور أسلوبه كلما تقدَّم العمر به، فهل أصاب النص القرءاني أي تغير أو تعديل خلال مدة نزوله الطويلة؟

22. هل يسمح الشرع القرءاني بنكاح الأم والأخت والبنت، والمحارم عامة!؟
23. هل يسمح بالقتل وسفك الدماء وانتهاك أعراض الناس؟
24. هل يسمح بأكل حقوق الناس وسرقتهم والكذب عليهم؟
25. هل يطلب من الناس زهق حياتهم أو الإضرار بها؟

إن إيجاد الجواب على مضمون هذه الأسئلة يوصل الإنسان إلى الحكم والقرار القطعي على مصدرية القرءان، **وهذه مهمة مناطة بك أيها القارئ العزيز**.

أما صفة الإكمال للدين بواسطة القرءان، فقد تأتَّت بسبب وصول الإنسانية إلى سن الوعي وبداية الرشد، واكتمال اللسان العربي نظامًا، فاقتضى ذلك رفع الوصاية الإلهية المباشرة عن الناس، وتحميلهم مسؤولية قيادة أنفسهم وفق تعاليم القرءان العامة والكلية، مع إعطاء الإنسان حرية التحرك ضمن حدوده التشريعية، ومثل ذلك كمثل اكتمال أبجدية اللسان العربي، فهي من حيث عدد الأحرف قد اكتملت، ولا يمكن أن يزيد أحد عليها أي حرف، وذلك لاكتمالها بما يلبي حاجات ورغبات المجتمع الإنساني، ويملك الإنسان طيفًا واسعًا يتيح له استخدام الأحرف حسب ما يريد، معبرًا عن كل ما يريد، ومثل ذلك أيضًا كمثل النظام العشري للأعداد، فهو نظام ثابت مع قدرة الإنسان على استخدامه بصورة لا متناهية، صعودًا ونزولًا في شؤون حياته كلها.

والشرع القرءاني شرع حدودي كلي ثابت، ترك للإنسان إمكانية التحرك ضمن حدوده بصورة لا متناهية، ليختار الصورة التي تناسب واقعه الزمكاني، ولكل مجتمع تفاعله الخاص مع القرءان ضمن حدوده، (ثبات المبنى والمفهوم، وتحرك الصورة والاستخدام).

فصفة الإكمال للشرع الإلهي الذي نزل في القرءان ليست مسألة إيمانية فحسب، وإنما هي مسألة واقعية أيضًا، فمن يستطيع أن يملأ كأساً ممتلئاً بالماء أصلًا؟ وهكذا الشرع القرءاني، فهو شرع حدودي كامل قد تناول كل ما يتعلق بالإنسان والمجتمع خلال الزمان والمكان، **ومن يستطع أن يأتي بشرع أحسن للناس فليفعل!**.

أيها الشباب! هلمّوا إلى القرءان تفاعلًا وفاعلية، لا تدعوا أحدًا ينصِّب نفسه وسيطاً بينكم وبين القرءان، لا للآبائية، ولا للأكثرية، ولا للزعامات، ولا لرجال الدِّين!، ولا للترادف في الخطاب القرءاني، ولا للمجاز، ولا للاعتباطية في نشأة اللسان، ولا للمثناة التي استكتبها المسلمون مع كتاب الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

هل الموت نهاية لحياة الإنسان؟

عندما بلغ الإنسان سن الرشد، وتفاعل مع الواقع طبيعة واجتماعًا بواسطة الفطرة والعقل وصل إلى وجوب وجود الخالق للسموات والأرض ضرورة، فآمن به غيبًا، وانطلق في الحياة الدنيا تفاعلًا وفاعلية على صعيد النفس والمجتمع والواقع، واستنتج أن الموت ليس نهاية لحياة الإنسان، وإنما هناك حياة أخرى أبدية، لها قوانين خاصة بها، وبناء على هذا المفهوم كَيَّفَ الإنسان سلوكه في الحياة الدنيا ليستعد للحياة الآخرة، وعَدَّ أن الحياة الدنيا هي مزرعة للآخرة، فما تزرعه سوف تحصده، فانظر ماذا تزرع.

فما هي البراهين العقلية والعلمية التي تم الاعتماد عليها من قبل المجتمعات الإنسانية لإثبات وجود الحياة الآخرة بعد الموت؟

1. **غائية المخلوقات**: نظر الإنسان إلى المخلوقات حوله من أرض وبحر وسماء وحيوانات وحشرات وفيروسات وبكتريا ، واكتشف البروتون والإلكترون والفوتون ووصل إلى الكواركات...إلخ، وشاهد أنَّ لكل مخلوق منها وظيفة يقوم بها ضمن المنظومة التي ينتمي إليها فلا يوجد مخلوق دون غاية، وشاهد الإنسان أن وجوده منفرد دون غيره بعقله وإرادته فعلم أن **غاية وجوده موكولة إلى نفسه ليقوم بإرادة حرة في التحرك المتوازن ضمن منظومته الإنسانية المرتبطة بالمنظومة الكونية، وكونه يملك العقل والحرية فلابد ضرورة من المسؤولية، والمسؤولية تقتضي ضرورة وجود الحياة الآخرة دار الحساب.**

2. **سرمدية المادة**: درس الإنسان المادة فوصل إلى أنها لا تفنى من حيث الوجود، وإنما تتحول من صورة إلى أخرى، وتخضع لقوانين الصورة الجديدة، نحو تحول الماء

إذا تعرض للحرارة إلى بخار، فعلم أن الوجود خُلِقَ ليستمر ولم يخلق عبثًا، **فأدرك أن الموت ليس نهاية لحياة الإنسان، وإنما هو مرحلة تحول إلى حياة أخرى تخضع لقوانين جديدة.**

3. **قانون التناقض الجدلي للمادة**: اكتشف الإنسان أن المادة يحكمها قانون جدلي تناقضي ثنائي يؤدي إلى تطور المادة وهلاكها أخيرًا، وتحولها إلى مادة أخرى جديدة وذلك من خلال سير الكون كله باتجاه الموت، وعَبَّر العلماء عن ذلك بقولهم: **إن الكون بمثابة صاروخ ينطلق بسرعة شديدة يوشك أن ينتهي وقوده! ليحصل الانفجار الكوني العظيم الثاني تمهيدًا لقيام خلق آخر وعالم جديد على أنقاض الأول بقوانين جديدة.**

4. **النفس سرمدية، بينما الجسم فانٍ متحول** :عَلِمَ الإنسان من خلال تفاعله مع نفسه أن النفس لها وجود مختلف عن وجود الجسم رغم العلاقة الجدلية بينهما، فالإنسان هو نفسه بصورة جسمية متحولة هالكة، **فالوعي والإدراك والإرادة والعاطفة والعلم صفات لنفسه لا لجسمه، والشخصية هي تشكيل النفس على مفاهيم معينة يتم صدور السلوك منها مستخدمة الجسم في ذلك**، ومن هذا الوجه قال الشاعر:

انهض بنفسك واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

5. **قانون التناقض الجدلي الثنائي الفكري**(قانون أخلاقي وقيمي): يعيش الإنسان في مجتمع يحكمه قانون جدلي تناقضي مثل العدل والظلم، والحرية والاستعباد، والمشاركة والاستبداد...إلخ، فعلم أن ذلك الوضع غير دائم، وإنما هو مرحلة مؤقتة؛ **لأن الحياة الأبدية ينبغي أن تقوم على السلام والمحبة والعدل والخير**، ولا وجود للحرب أو الكره أو الظلم أو الشر فيها.

6. **مفهوم الحياة الدنيا برهان ثقافي على وجود الحياة الآخرة** :إذا درسنا ثقافة المجتمعات الإنسانية نجد أن مفهوم الحياة الدنيا موجود وموغل في الثقافة وقديم

قِدَم الإنسان نفسه، فالسؤال الذي يفرض ذاته هو من أين جاء وصف هذه الحياة بالدنيا إذا لم يكن مفهوم الحياة الآخرة كامنًا في ثقافة المجتمع، ومن المعلوم أن الأمور ثنائية في الوجود؟.

7. إخبار الأنبياء والرسل قومهم بوجود الحياة الآخرة بعد الموت:

بشَّر الأنبياء أقوامهم ـ بموجب الوحي الذي أنزله الله تبارك وتعالى على قلوبهم ـ أن الموت مجرد بوابة يعبرها الإنسان إلى حياة أبدية لا فناء فيها، حياة تُنصف المظلوم وتُنزل العقاب العادل بالظالم، ويسكن المؤمن الصالح في رحاب جنات الخلود، وقال الرسل لأتباعهم:

أيها الناس! لا خوف من الموت؛ لأنه ليس نهاية لحياة الإنسان، وإنما هو مرحلة انتظار وانتقال إلى حياة أخرى، فسارعوا إلى العمل الصالح وعمارة الأرض بالعدل والسلام والمحبة والخير، ليكون ذلك رصيدًا لكم في الآخرة، فأنتم الذين تكدسون في صوامع الآخرة ما تزرعونه في تراب الدنيا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: 5-7].

الإسلام دين كوني إنساني

يسأل أحدهم: لو ثبت لك فيما بعد أن القرءان فيه تحريف، هل يؤثر على دينك ومفاهيمك شيء؟

الجواب: لا يمكن أن يثبت ذلك ولا بأي شكل، والتحدي قائم ومستمر، ولو كان فيه تحريفٌ لظهر من زمن بعيد، ولم يصمد إلى الآن، خاصة مع التطور العلمي الهائل.

وعلى افتراض أنه ظهر تحريفٌ فيه، فلن يكون بالمفاهيم أو الأحكام أو الأخبار العلمية والتاريخ، وإنما ببعض صيغ الكلمات وحركاتها ليس أكثر.

اعلموا أيها الناس أن الدين الإسلامي كوني، وهو ثابت قبل نزول القرءان والإنجيل والتوراة.

هل مفهوم وحدانية الله ثبت بالقرءان فقط، وليس له برهان كوني منطقي؟

هل اليوم الآخر ثبت بالكتب الإلهية فقط، وليس له برهان علمي منطقي؟

هل الوصايا العشر ثبتت بالكتب الإلهية، وليست هي منظومة قيمية اجتماعية إنسانية كحد أدنى لبناء أي مجتمع؟

هل تحريم نكاح المحارم ثبت بالتشريع الإلهي فقط، أليس هو تطورًا في وعي العلاقات الإنسانية أيضًا؟

لا قيمة لأي تحريف في الكتب الإلهية يؤثر على هذا الدين الإسلامي الكوني العظيم الذي يقوم على البرهان والفطرة والإنسانية والعلم والتطور وفق محور الثابت والمتغير، ومن يأتنا بأهدى من دين الإسلام نتَّبعه دون حرج أو تلكُّؤ.

اعتزوا بدينكم الكوني القرءاني، وتحدَّوا به كل الملل.

﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْءانَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيرًا﴾ [الإسراء:9]

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:82].

براهين وحدانية الخالق المدبر

1. **النظام الكوني الواحد يدل على أن المنظم له واحد:**

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54].

2. **حالة الصلاح والاستمرار للكون تنفي تعدد الآلهة:**

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:22].

3. **حالة السلم والاستقرار ونفي الحرب والهلاك:**

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:91].

4. **الإخبار من الخالق نفسه وإرسال الرسل، ولو كان يوجد غيره لاتصل بخلقه:**

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158].

أما احتمال وجود أكثر من إله، ولكن متفقون مع بعضهم كفريق، ولا يوجد أي

اختلاف بينهم قط، فهذا يعني أنهم جميعًا انقهروا لإرادة واحد منهم فقط، الذي وضع النظام، وبالتالي انتفى عنهم مقام الألوهية.

واحتمال التعدد لوجود آلهة، ولكن لا يتدخلون في الكون أو ربما يوجد لهم كون آخر، فهذا يعني أنهم آلهة ذهنيون وهميون فقط عند من افترضهم، ونحن نتعامل مع خالق هذا الكون، ولا يوجد غيره.

الكينونة الأزلية لا تقبل التعدد، الله الخالق المدبر أحد، الله الصمد، وهو الحي القيوم القادر على كل شيء.

لاديني ينقض الجهاد، تطبيقاتٌ فقهيَّة

Hisham Adam

يُدين المُسلمون الجُدد ما تقوم به بعض الجماعات «الجهاديَّة»؛ بل ويصفونها بالإرهاب والتَّطرف، ويُصرون على أنَّ الجهاد في الإسلام هو للدفاع عن النَّفس، وفي هذا المنشور سوف أُناقش هذه القضيَّة.

مبدئيًّا الجهاد فريضةٌ قرءانية مثلها مثل أي فريضةٍ أُخرى، والفريضة لا تسقط بالتَّقادم؛ فالآية القرءانية شديدة الوضوح ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُم لا تَعْلَمُونَ﴾ فهو فريضةٌ مُلزمة، كفريضة الصيام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلْكُم تَتَّقُونَ﴾.

فالجهاد فريضةٌ إسلاميَّة دون أدنى شك، ومُنكر الفريضة عليه أن يُراجع إسلامه قبل أن يتورَّط، وهذا مُنسجمٌ تمامًا مع الأحاديث الصَّحيحة الواردة في فضل الجهاد، مثل: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصَّلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله». وكذلك حديث: «من مات ولم يغز ولم يُحدث نفسه به مات على شُعبةٍ من النفاق». (لاحظوا استخدام الحديث للفظة «غزو»).

وعلى أيَّة حالٍ فهذا يقودنا إلى إصرار المُسلمين الجُدد على أنَّ الجهاد الإسلامي هو «فقط» للدفاع عن النَّفس وليس للعدوان على الآخر. فهل هذا صحيح؟ الحقيقة أنَّه

صحيحٌ وغير صحيحٍ في الوقت ذاته، فالجهاد الإسلامي نوعان: جهاد دفعٍ وجهاد طلب.

جهاد الدَّفع هو القتال دفاعًا عن النَّفس، وهو – في الحقيقة – من باب لزوم ما لا يلزم، أو تحصيل الحاصل، فلا أعتقد أنَّ البشريَّة بحاجةٍ إلى قرارٍ إلهي حتَّى تمارس حقَّها في الدّفاع عن نفسها، ورد العدوان، فسواءٌ أكانت هنالك آيةٌ أم لم تكن؛ فسوف يُدافع الإنسان (بل والحيوان أيضًا) عن نفسه إن تم الاعتداء عليه.

لكن ماذا عن جهاد الطَّلب؟ ولماذا يتجاهله المُسلمون الجُدد؟

يقول عُلماء وفقهاء أهل السُّنة والجماعة في تعريف الجهاد: إنَّه قتال الكُفَّار وأهل البدع والضَّلال لإعلاء كلمة الله، ولا أرى أنَّ هذا التَّعريف يختلف كثيرًا عن آية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وهو كذلك ينسجم تمامًا مع الحديث الصَّحيح الذي يقول: «أُمرت أن أُقاتل النَّاس حتى يشهدوا ألَّا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزكاة فإن هم فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم».

فالغرض من القتال في الإسلام ليس هو «فقط» رد العدوان، فهو تحصيل حاصل كما قلنا؛ بل هو – أيضًا– قتالٌ من أجل نشر الدين، وإعلاء كلمة «الله» كما هو واضحٌ في الآية السَّابقة ﴿ويكون الدين كُله لله﴾، وكذلك الآية المشهورة ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فما هو سبب القتال هنا في هذه الآية؟ هل هو لدفع العدوان؟

لا، طبعًا، الآية واضحةٌ جدًّا سبب القتال مُوضحٌ في الآية، وهو كالآتي:

1. لا يُؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

2. لا يُحرّمون ما حرَّم الله ورسوله.

3. لا يدينون دين الحق (ودين الحق هو الإسلام طبعًا).

فليس من الأسباب الاعتداء، والجهاد حسب الآيتين (الأولى والثَّانية) لهما حدٌّ أو سقفٌ محدود، فهو في الآية الأولى: أن ﴿يكون الدين كُله لله﴾ أي: إسلام الكفَّار، والمُحدد أيضًا بقوله: ﴿فإن انتهوا﴾ فإن كنتَ تُقاتل شخصًا «كافرًا» فما هو معنى «الانتهاء» في هذه الحالة غير خضوعه للإسلام؟ وفي الآية الثَّانيَّة: ﴿حتَّى يُعطوا الجزية﴾ وهو الخيار الثَّاني إن لم يكن يُريد الدُّخول في الإسلام، وهو دفع الجزية.

ولهذا فإنَّ ما قيل في المرويات من تخيير المُسلمين لغير المسلمين بين ثلاث: إمَّا الإسلام، وإمَّا دفع الجزية، وإمَّا القتال، مُنسجمٌ تمامًا مع الآيات القرءانية والأحاديث الصَّحيحة، انسجامًا تامًا.

ثمَّ إنَّ أوَّل معركة في الإسلام لم تكن أصلًا لرد العدوان؛ بل على العكس كانت عدوانًا، ورغبة في سلب قافلةٍ آمنةٍ، بقطع طريقها، ونهب ما فيها من أموالٍ وخيرات ليست لهم، وقد يقول البعض: إنَّ المُسلمين أرادوا استرداد أموالهم التي نهبتها منهم قريشٌ في مكة، فهل هذا صحيح؟

حسنٌ؛ جميعنا يعلم أنَّ الذين آمنوا مع مُحمَّد في مكَّة كانوا أصلًا من العبيد والفقراء إلَّا قليلًا منهم كانوا من الأغنياء، فأمَّا الفقراء والعبيد فلم تكن لهم أموالٌ حتَّى تنهبها قريش، وأمَّا الأغنياء فمنهم من خرج بماله، ومنهم من افتدى نفسه بنفسه بماله، كما حدث مع صُهيب بن سنان (صُهيب الرُّومي)، الذي حاولت قريش تذكيره بأنَّه جاءهم من الرُّوم إلى مكَّة فقيرًا، وعاتبوه على (قلَّة أصله) عندما أصبح غنيًّا وذا مال بفضل تجارتهم، أراد أن يُهاجر، فتنازل - بنفسه- عن أمواله على أن يتركوه يُهاجر. ولا تذكر المصادر التَّاريخيَّة غير هذه الحادثة فقط فيمن خسر مالًا في الهجرة.

فهل هذا يُبرر الغزو والسَّطو على قافلة كاملة لقريش كُلها؟ إنَّها كذبةٌ أطلقها

المُسلمون وصدَّقوها. ثم إذا كان الجهاد في الإسلام هو لدفع العدوان، فمن أين جاء السَّبي؟ هل يأتي القوم بنسائهم وأطفالهم لقتال المُسلمين؟ السبي مُرتبطٌ بالغزو، والغزو هو الإغارة على قوم، وحتَّى إن كانت الإغارة بسبب الانتقام للذات، فما هو الفارق بين عصر الإسلام وعصر الجاهلية، إن كان المسلمون أيضًا يسبون النساء والأطفال كما كانت تفعل العرب في الجاهلية؟

وهذا يقودنا إلى موضوع الرق وموقف الإسلام من الرق، وهو ما سوف أتطرق له في منشورٍ آخر قريبًا.

أختم حديثي بالتَّأكيد على أنَّ الجهاد في الإسلام «فريضة» ومن يقوم بهذه الفريضة الآن إنما يفعلون ما يأمرهم به دينهم، فإن كانت رؤيتنا لهذا الأمر بأنَّه «إرهاب»، فهو حُكمٌ على الفريضة نفسها، وليس على الفئة التي تقوم بهذه الفريضة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُ حَرِّضِ المُؤمِنِيَنَ عَلَى القِتَالِ﴾ والتَّحريض على القتال أمرٌ ربَّاني شديد الوضوح، والحرب على الدين وعلى الهويَّة هي سُنَّة سنَّها الإسلام لدى العرب الذين كانوا يُقاتلون فقط على المال والموارد الشَّحيحة والنَّادرة في الجزيرة العربيَّة.

ولم تنقل إلينا أخبار العرب حربًا دينيَّةً بين قبيلتين عربيتين قبل الإسلام؛ بل على العكس، كانت مكَّة تعج بالتَّعدد الدِّيني قبل مجيء الإسلام، فالأصنام المُختلفة تملأ باحة الكعبة، وكان يعيش في مكَّة النَّصارى واليهود والصَّابئة المندائيَّة والأحناف والدَّهريون، ولم تشهد مكَّة أو الجزيرة العربيَّة أي خلافات طائفيَّة أو دينيَّة، قبل الإسلام. القتل على الدِّين هو سُنَّة إسلاميَّة بجدارة في الجزيرة العربيَّة.اهـ.

الرد على المنشور وتبيين ضلال صاحبه

كان الحري بالكاتب أن يفرِّق بين نقضه لتطبيق أو فهم المسلمين الجُدد الذين يتحركون باسم داعش أو حالش أو جاحش أو غيره من المسميات وبين نقده للفكرة

الدينية من مصدرها الذي هو محل اتفاق، الممثل بالقرءان، ولا يعرِّج إلى المصادر الوضعية الأخرى الملحقة بالقرءان؛ لأنها ليست محل اتفاق بين المسلمين فلا تسليم لها، وبالتالي ليست هي محل نقاش أو دراسة دينية؛ لأنها مصادر تاريخية وثقافية فقط.

غير أن من يريد أن ينقض القرءان ينبغي عليه معرفة منهجه ومفاتيح دراسته، وهذا للأسف غير متحقق بمعظم من تعرض لنقض القرءان من كل الملل، وسنرى ذلك خلال نقاش معظم نقاط المقال للأخ هشام.

سوف أضع كلام الكاتب أولًا مرقمًا، ثم أضع تحته نقدي بحرف (ج).

1. مبدئيًّا الجهاد فريضةٌ قرءانية مثلها مثل أي فريضةٍ أُخرى، والفريضة لا تسقط بالتَّقادم؛ فالآية القرءانية شديدة الوضوح ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُم لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:216].

ج . بداية كلامه خطأ من عدة أوجه:

أ. كلمة (الجهاد) من جهد وتدل على القوة المدفوعة بشدة، وهي أوسع من القتال ولا تعني القتال أينما وردت بالقرءان – أتت بمعنى الجهاد بالقرءان دعوة وجدالًا وتعليمًا ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:52].

• وأتت بمعنى الجهاد بالمال والنفس ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلًا وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:95].

• وأتت بمعنى الجهاد في البحث عن الحقيقة والعلم ﴿وَالَّذِينَ

جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُـمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَـعَ الْمُحْسِـنِينَ ﴾ [العنكبـوت:69].

والإنسان المسلم ينبغي أن يكون في حالة جهاد دائمة لنفسه عن الهوى واتباع الشهوات وأن يكون إنسانًا طالبًا للعلم عاملًا للخير فاعلًا في حياته يطلب التغيير والتطور، وفي حال تعدَّى على مجتمعه أحدٌ يكون مجاهدًا مدافعًا عن مجتمعه، والقتال صورة من صور الجهاد الظرفية الطارئة، وكل قتال في سبيل الله هو جهاد وليس كل جهاد هو قتال، ولذلك قال أحد العلماء: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وقصد رجعنا من القتال الذي هو حكم ظرفي طارئ إلى الجهاد الدائم في مجالات الحياة الذي هو ثابت وأصل.

لذلك لا نجد – من البداية – دقةً عند الكاتب في استخدام المصطلحات القرءانية، وهو يخلط بين الجهاد والقتال.

ب . استخدم كلمة (فريضة) واستشهد بنص لا يوجد فيه كلمة (فرض) وإنما كلمة (كتب)، ومن مفاتيح القرءان اللسانية الرئيسة مفتاح (إذا اختلف المبنى اختلف المعنى) وهذا يعني أن كلمة (فرض) غير كلمة (كَتب) ضرورة.

فرض: تدل على عطاء ملزم واجب.

كتب: تدل على ضغط ودفع خفيف منتهٍ بجمع الأمور بشكل مستقر.

ج . قوله: (مثل أي فريضة أخرى) بصرف النظر عن استخدام كلمة (فريضة) ولنقل أن الكاتب يقصد معنى الواجب، فهل الواجبات تكون مثل بعضها في أي نظام ؟ ألا يوجد واجب اجتماعي وواجب عيني ؟ ألا يوجد واجب ظرفي مثل القتال، وواجب دائم مثل الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس دعوة وتعليمًا وعملًا صالحًا؟

د . قوله: (الفريضة لا تسقط بالتقادم) هل الواجب الظرفي دائم أم يتوقف عند

انتهاء ظرفه مثل أحكام الطوارئ، ويعود لحيِّز التطبيق عند حصول ظرفه.

هـ . قوله:(فالآية القرءانية شديدة الوضوح) لاحظنا أنه لم ير من وضوح النص شيئًا!

و . ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة: 216]، كلمة (كُتب) فعل مبني للمجهول ولا تدل على أن الله هو الذي كَتب علينا القتال ابتداء، وأتى الفعل مبني للمجهول؛ لأن الدوافع والمعطيات للقتال متعددة وهي واقعية ظرفية، بمعنى أنه يوجد معطيات واقعية ظرفية دفعتكم لممارسة القتال والمشاركة به وأنتم كارهون له، ولا يوجد إنسان سويٌّ الفطرة يحب القتال والعنف والدم.

ز- كلمة (القتال) تدل على وجود طرفين يتقاتلان ضرورة؛ لأن الإنسان لا يقاتل نفسه، وكون الأمر (كُتب علينا القتال) يدل على أنه يوجد طرف آخر يطلب القتال معنا من خلال بدئه بالعدوان والظلم كما بينته نصوص أخرى مثل ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: 194]، وهذا القتال ليس هدفًا لذاته ولا مطلبًا دينيًّا، وإنما هو حكم واجب كتب علينا نتيجة الظروف والمعطيات وهو مكروه بثقافتنا ونفوسنا السلمية.

2. فهو (القتال) فريضةٌ مُلزمة، كفريضة الصيام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُون﴾ [البقرة:183].

ج . قوله: فهو (القتال) فريضةٌ مُلزمة، كفريضة الصيام. كلام غير محكم؛ لأنه يوجد فرق بين واجب القتال وهو حكم ظرفي اجتماعي طارئ، وحكم وجوب الصيام وهو أمر مطلوب القيام به عيناً بشكل تعبدي وتقرب لله. وكلمة (كُتب عليكم الصيام) بمعنى يوجد معطيات ودوافع معينة ساهمت في وجوب الصيام عليكم، مع

العلم بأن وجوب الصيام أتى من نص ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[البقرة:185]، وليس هذا محل البحث حاليًّا.

3. قوله: (فالجهاد فريضةٌ إسلاميَّة دون أدنى شك، ومُنكر الفريضة عليه أن يُراجع إسلامه قبل أن يتورَّط).

ج . أي جهاد يقصد ؟ لا شك يقصد القتال وليس الجهاد عمومًا، واستخدام كلمة (فريضة) خطأ بيناه سابقًا، ويقصد بها حكم الوجوب، وقلت سابقًا: إن القتال حكم ظرفي طارئ يتعلَّق بعدوان طرف آخر، وهو حكم اجتماعي وليس حكمًا عينيًّا، فمن الطبيعي أن يكون واجبًا على الأمة أن تقاتل وتدافع عن ذاتها وكيانها، ولا يوجد مسلم ولا أي إنسان في الأرض بصرف النظر عن انتمائه يرفض حكم وجوب القتال في هذه الحالة.

4. قوله: وهذا مُنسجمٌ تمامًا مع الأحاديث الصَّحيحة الواردة في فضل الجهاد.

ج . مصدر الدين هو القرءان فقط وهو محل اتفاق بين المسلمين، أما المصادر الأخرى فهي وضعية وليست محل اتفاق أو تسليم بها، لذا؛ لا يصح الاستدلال بها، ومع ذلك في حال أردنا أن نعالج أو ندرس الروايات التاريخية التي استشهد بها مثل حديث: «من مات ولم يغز ولم يُحدث نفسه به مات على شُعبةٍ من النفاق».

هذا الحديث ظرفي تاريخي مرتبط بمعطيات دولة حديثة عهد بنشأتها مهددة من الجوار ولم تحم حدودها بعد، ومن الطبيعي أن يتلفظ النبي كونه قائد الأمة حينئذ، ورئيس الدولة ذلك الحديث وأمثاله ليشجع على القتال وحماية الدولة والدفاع عنها وتكبير رقعتها وضم كل القبائل لها في دولة واحدة وتحرير البلاد من العدو

الخارجي الممثل بالروم والفرس وطردهم خارج شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين وإخراجهم من بلاد الشام، فهي حروب تاريخية ظرفية سياسية، وليست حروبًا دينية، وما قيل في تلك الفترة من أحاديث تشجع الأمة وتحضها على القتال هو أمر ظرفي وليس أحكامًا شرعية؛ لأن المصدر الدِّيني هو القرءان فقط.

5. (لاحظوا استخدام الحديث للفظة «غزو»).

ج . يشير الكاتب ضمنًا إلى أن دلالة كلمة (الغزو) هو الهجوم على الآخرين والاعتداء عليهم وبدئهم بالقتال!

لنرى دلالة كلمة غزا في لسان العرب، غزا الشيء غزوًا: أراده وطلبه.

واستخدمها القرءان بهذا المعنى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران:156]، فالغزو هو مجرد التوجه نحو الشيء وطلبه وهي كلمة حيادية لا تدل على معنى سلبي أو معنى مدح.

ومن هذا الوجه سمِّيت معارك النبي مع الكافرين غزوات؛ لأنه كان يخرج بنفسه ويتجه إلى أرض المعركة والقتال.

6. فالجهاد الإسلامي نوعان: جهاد دفعٍ وجهاد طلب. وجهاد الدَّفع هو القتال دفاعًا عن النَّفس، وهو - في الحقيقة - من باب لزوم ما لا يلزم، أو تحصيل الحاصل، فلا أعتقد أنَّ البشريَّة بحاجةٍ إلى قرارٍ إلهي حتَّى تمارس حقَّها في الدّفاع عن نفسها،..... إلى أن قال: ماذا عن جهاد الطَّلب؟ لماذا يتجاهله المُسلمون الجُدد؟

ج . اعتمد الكاتب في تقسيم الجهاد (القتال) على التراث، وهو غير حجة ولا برهان ولا ملزم لأحد، بصرف النظر عن تبنِّيه من قبل مؤسسات دينية أو أحزاب،

فنحن نناقش الفكرة من الناحية الدينية ومصدرها هو القرءان فقط، هل يوجد في القرءان أمر بالقتال لمجتمع معين دون مبرر ولا اعتداء علينا ؟

وقوله: إن القتال الدفاعي هو تحصيل حاصل ولا يحتاج لنص شرعي، كلام مردود عليه وذلك لأن القرءان نزل منسجمًا مع الفطرة والمنطق ولحماية الحقوق الإنسانية، فيمكن يظهر فلسفة انهزامية تقوم على الجبن والاستعباد ويخنع الناس لاستعبادهم، فنزل نص الأمر بالقتال ضد العدوان والذل والظلم؛ لتحرير العباد ويشجعهم على الحرية والكرامة، ويجعل هذا الأمر دينيًّا ليعطيه بُعدًا إيمانيًّا في نفوس المؤمنين، وذلك مثل تحريم الإجرام من قتل وسرقة فهي جرائم ينكرها الناس بالفطرة، ومع ذلك نزل نصوص لتحريمها، وهكذا قوانين الدول، تضع قوانينها رغم أن الشعب يعرفها، ولكن لا يكون لها قوة إلا إن تعلقت بسلطة تحميها وتحافظ عليها.

7. يقول عُلماء وفقهاء أهل السُّنة والجماعة في تعريف الجهاد أنَّه قتال الكُفَّار وأهل البدع والضَّلال لإعلاء كلمة الله. ولا أرى أنَّ هذا التَّعريف يختلف كثيرًا عن آية ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وهو كذلك ينسجم تمامًا مع الحديث الصَّحيح الذي يقول: «أُمرت أن أُقاتل النَّاس حتى يشهدوا ألَّا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزكاة فإن هم فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم».

ج . تعريف الفقهاء لا يلزم أحدًا وليس حجةً ولا برهانًا، أما قوله: ولا أرى أنَّ هذا التَّعريف يختلف كثيرًا عن آية

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ..). أولًا كلمة (قاتلوهم) لا تعني اقتلوهم، وإنما تعني وجود طرف مستعد لقتالك ومطلوب منك أن تقوم وتقاتله، وتتمة النص هو (فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) لاحظوا كلمة (فإن انتهوا) تدل على أنهم يقومون بعمل عدواني ضد المجتمع الإسلامي وعندما يتوقفون

عن عدوانهم توقفوا عن قتالهم، ولا تعتدوا على أحد إلا إن اعتدى عليكم، وهذا هو الظالم للآخرين بجرمه العدواني. فلا أدري لماذا لم ينتبه لمضمون النص أو لم يفهمه؟

8. فالغرض من القتال في الإسلام ليس هو «فقط» رد العدوان، فهو تحصيل حاصل كما قلنا؛ بل هو – أيضًا- قتالٌ من أجل نشر الدين، وإعلاء كلمة «الله» كما هو واضحٌ في الآية السَّابقة ﴿ويكون الدين كُله لله﴾، وكذلك الآية المشهورة ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ فما هو سبب القتال هنا في هذه الآية؟ هل هو لدفع العدوان؟ لا، طبعًا، الآية واضحةٌ جدًّا سبب القتال مُوضحٌ في الآية، وهو كالآتي:

1. لا يُؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.
2. لا يُحرّمون ما حرَّم الله ورسوله.
3. لا يدينون دين الحق (ودين الحق هو الإسلام طبعًا).

ج . لقد عرفنا أن الهدف من حكم وجوب القتال هو لرد العدوان فقط، وهو حكم ظرفي طارئ وليس أصلًا؛ لأن الأصل هو الحرية وعدم الإكراه ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256]، ودين الله هو سيادة الحرية الفردية والعدل القانوني والسلم الاجتماعي؛ لأن هذا هو أمر الله، والأمر بالقتال دائمًا مرتبط بحرب دائرة ومعركة قائمة، وطبيعي أن يكون الخطاب قاتلوا أو اقتلوا وهي كلها متعلِّقة بطرفٍ معتدٍ وظالم، وطبيعي أن نقاتله حتى يكفَّ عن عدوانه، وهذا النص تعلَّق بحدث تاريخي، وهو اعتداء اليهود (من الذين أوتوا الكتاب) على المسلمين، فواجب صد عدوانهم وردعهم عن ظلمهم والدفاع عن النفس حتى يدخلوا في دين الحق وهو أمر الله بالحرية والعدل القانوني والسلم

الاجتماعي والتعايش بين المجتمعات، وليس الدخول في دين الإسلام واتباع النبي محمد، فإن دخلوا في هذا النظام كف عنهم المسلمون وأوقفوا القتال فورًا وتركوهم أحرارًا في فكرهم، والجزية هي عقوبة لهم على عدوانهم وظلمهم وتعويض للأضرار التي أصابت المسلمين، والجزية أمر متعلِّق بالدول وليس بالأفراد.

9. أختم حديثي بالتَّأكيد على أنَّ الجهاد في الإسلام «فريضة»، ومن يقوم بهذه الفريضة الآن إنما يفعلون ما يأمرهم به دينهم، فإن كانت رؤيتنا لهذا الأمر بأنَّه «إرهاب»، فهو حُكمٌ على الفريضة نفسها، وليس على الفئة التي تقوم بهذه الفريضة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُ حَرِّضِ المُؤمِنِينَ عَلَى القِتَالِ﴾ والتَّحريض على القتال أمرٌ ربَّاني شديد الوضوح، والحرب على الدِّين وعلى الهويَّة، هي سُنَّة سنَّها الإسلام لدى العرب الذين كانوا يُقاتلون فقط على المال والموارد الشَّحيحة والنَّادرة في الجزيرة العربيَّة.

ج . بصرف النظر عن استخدام كلمة الجهاد والفريضة في آخر كلامه بشكل خطأ سوف نتجاوز ذلك، ونأخذ مقصده وهو القتال وحكم الوجوب، وقد بيَّنَّا أن القتال هو اشتراك طرفين بالقتال، ولا يصح أن يكون طرفًا واحدًا، وبيَّنَّا أن بدء القتال حتى نشارك به يكون نتيجة اعتداء من الطرف الآخر علينا وممارسة الظلم ؛ مما يدفعنا أن نختار القتال كُرهًا من باب آخر الطب الكي، ونحن ضد الإرهاب بمعناه العدواني والظلم صدر من أي كائن وتحت أي اسم أو مبرر، فالتكبير(الله أكبر) أثناء ممارسة الإرهاب لا يجعله شرعيًّا ومقبولًا، كما أن رفع شعارات إنسانية وذبح الناس وتدمير البلاد والأوطان باسمها لا ينفي عن هذا العمل الإرهاب والإجرام، فالحكم للمضمون وليس للشكل والألفاظ.

وفي كلامه الأخير انتقل من نقض الممارسة الإرهابية إلى نقض النص القرءاني ذاته، واتهمه أنه يرسخ الحرب والإرهاب والقتال، وأتى بنص ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُ حَرِّضِ المُؤمِنِينَ عَلَى القِتَالِ﴾ بعد أن عزله عن موقعه ومجاله وبنى منه مفهوم وحده مثل

من يأتي بجملة (فويل للمصلين) وهذا عمل غوغائي واعتباطي.

فالنص هذا يتبع منظومة القتال التي هي خطاب متعلِّق بحرب دائرة ومعركة قائمة، وليست خطابًا بحالة السلم الاجتماعي وحسن الجوار، غير أنه نص توجيهي وتعليمي كونه بدأ بكلمة (يا أيها النبي) يعني هذا ليس حكمًا شرعيًّا، ولا يصح اقتطاع أي نص يتعلق بالقتل والقتال من سياقه أو فهمه دون منظومة القتال التي ينتمي إليها، ودون المنظومة العامة التي هي منظومة الحرية والعدل والسلم الاجتماعي، فالقتال شُرِّع في الإسلام لرد عدوان ورفع ظلم وهو حكم واجب ظرفي طارئ، والأصل هو منظومة التعايش والتعارف التي تقوم على الحريات والعدل القانوني والسلم الاجتماعي.

فالقرءان منظومة واحدة يؤخذ كله ويدرس من خلال تقاطع المنظومات مع بعضها تصديقًا وانسجامًا، ولا يصح التجزيء والعضوضة لأي نص من سياقه أو من منظومته، ولا يصح فهم منظومة معينة وحدها بمعزل عن منظومة القرءان عمومًا ومحل الخطاب من الواقع والمقاصد التشريعية المتعلِّقة بالإنسان والمجتمع.

أهم مفاهيم الدِّين الإسلامي الإنسانية والاجتماعية

1. **حق الحرية ونفي الإكراه في الدين** وذلك على الصعيد الشخصي: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256].

2. **البر والإقساط للناس عمومًا بصرف النظر عن اختلاف الملل طالما أنهم مسالمون:** ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

3. **حق الدفاع عن النفس وصد العدوان** على صعيد المجتمع: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:190].

4. **التعارف والتعايش غاية للشعوب المختلفة:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13].

5. **السِّلم حلف عالمي:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:208].

قراءة نقدية لكتاب
(محنتي مع القرءان ومع اللّه في القرءان)
للدكتور عباس عبد النور[7].

إن الملاحظ من بداية الكتاب أن المؤلف مريض نفسيًا، ومصاب بالحزن والاكتئاب، والنظرة السوداوية، وهذا من خلال كلام المؤلف عن نفسه، من كونه قد أجرى عملية جراحية لعينيه، وعملية جراحية لقدمه سببت له عاهة دائمة (العرج)، مع تَرَقق في عظامه، وتعبه من السير، وإصابته بأزمات مادية شديدة إلى درجة أنه هَمَّ أن يبيع منزله، وما شابه ذلك من مصائب (كان الله في عونه)، التي لا يخلو منها إنسان في الوطن العربي على الغالب، وبدأ بعملية الدعاء والابتهال إلى الله، يذكِّره بعبادته لمدة أعوام طويلة دون أن يطلب منه شيئًا، والآن حان دورك يا الله!، لترد لي جزاء عبادتي، وتفي بوعدك، وتقف بجانبي، وتفرج عني كربي وهمي، وكرَّر الدعاء، وأقام الليالي بالصلاة والابتهال، فلم يتم حل مشكلته المادية، وتأزمت معه الأمور أكثر، فسارع إلى إنكار وجود الخالق؛ لأنه لم يستجب دعاءه، ويفرج عنه مصيبته.

وللانتقام من الخالق، قرَّر في نفسه الطعن في كتابه الذي سهر الليالي وهو يتلوه

7 الدكتور (عباس عبد النور) ولد في دمنهور (قرية في مصر) سنة 1927. التحق بكلية أصول الدِّين في الأزهر، وبقي فيها ثلاث سنوات، وعزم على إتمام الرابعة في جامعة فؤاد الأول كلية الآداب قسم الفلسفة، وسافر إلى باريس والتحق بجامعة السوربون ليحضر دكتوراه في فلسفة العلم، وعندما حصل عليها رجع إلى بلده، وصار إماماً وخطيباً، وواظب على التعليم الجامعي وتأليف الكتب الفلسفية العلمية، ثم تعرض لصدمات نفسية ومادية شديدة دفعته لمراجعة أفكاره حول معتقداته الدِّينية، والفلسفية في أواخر عمره (80 سنة)، وخرج بنتيجة مفادها أن مفهوم الله مفهوم من صنع الذهن الإنساني لا وجود له على أرض الواقع، وتبعًا لذلك نقض النص القرءاني، واتَّهمه بالقصور في البلاغة، ومخالفته للحقائق العلمية، وتناقض موضوعاته، واختلافها مع بعضها، وحصول التحريف لنصه، وغير ذلك مما قرره في كتابه المشؤوم!.

ويقرؤه، فدخل إلى النص القرءاني وقلبه مليء بالحقد عليه، فبدأ يُثير الإشكاليات من هنا؛ وهناك، مستغلًا التراث وضحالته، فيأتي بفهم الآباء للنص القرءاني، وكأنه وحي نزل مع النص ذاته، ويعده صوابًا، ويبدأ بنقده، وطعنه، والسخرية منه، ثم يسحب ذلك الفهم الساذج إلى النص القرءاني ذاته، فيحكم عليه بالبطلان والتحريف، وهكذا؛ **تابع رحلته من الإيمان إلى الشك!**، ينقل عدواه إلى أمثاله ممن في قلوبهم مرض.

وسوف أناقش مجمل دعواه بعقل منفتح، وبصورة مختصرة جدًا اعتمادًا على ثقافة القارئ.

مفهوم الإيمان

- **أول مقولة** تُظهر تَخبُّطَه وضلاله هي قوله: (**رحلتي من الإيمان إلى الشك**).

فهذه المقولة باطلة على أرض الواقع، وساذجة وسطحية، فهي معكوسة المراحل، وهي مثل مقولة: (**رحلتي من العلم إلى الجهل**)! فهل يمكن أن يصل الإنسان إلى حقائق الأمور أو صوابها بطريقة منهجية علمية، ثم يقوم بإنكار ذلك، ويعود إلى حالة الجهل[8] !؟ متى كان الجهل هو المرحلة العُليا للعلم ؟

أيها الإخوة

إن الإيمان ليس مجرد تصديق واتِّباع فقط، إنه تصديق قام عليه البرهان من الواقع ونتج عنه الاتِّباع، فإن انتفى الاتِّباع؛ انتفى الإيمان عن حالة الإنسان، وصار اسمه تصديقًا فقط، ويكون محله في الذهن معلومات ليس أكثر، ولسان حال الإنسان (العمل) هو الكفر الذي يدل على تغطية الحقيقة، سواء بإنكارها قولًا، أم ممارسة

8 نقصد بكلمة الجهل نفي المعرفة أو العلم، ولا نقصد دلالتها اللسانية القرءانية؛ التي تدل على السلوك المخالف للحق والصلاح.

عملية خلاف الحق في الواقع. **فمفهوم الإيمان قائم في أساسه على العلم أولًا، والاتِّباع ثانيًا، لا يفترقان،** فكيف يمكن لإنسان صادق مع نفسه يريد الحقيقة أن ينتقل من الإيمان إلى الشك!؟

فهو أمام أحد احتمالين:

أ- **لم يكن في مرحلة الإيمان أصلًا،** ولم يصل إليها علمًا ودراسة واتِّباعا، وإنما كان في مرحلة التقليد والحفظ للمتون، والضياع والضلال، يظن أن ذلك هو الإيمان!، وإنما هو التقليد والعمى والاعتقاد بأفكار دون برهان، وهذا دلالة مفهوم العقيدة، وليس مفهوم الإيمان، لذا؛ لم يتم استخدام كلمة (عقيدة) في النص القرءاني لانتفاء دلالة العلم والبرهان عنها. والفرق بينهما هو التالي:

- **الإيمان**: هو التصديق المطابق للواقع مع قيام البرهان على ذلك، حيث يصير مفاهيمَ يُكَيّف الإنسان سلوكه بحسبه اتِّباعا والتزامًا، وينتج عنه الأمن والسلام.

- **العقيدة**: هي التصديق بمجموعة من الأفكار دون البرهنة عليها، ولا يشترط مطابقتها للواقع، ولا يشترط أن ينتج عنها عمل واتِّباع. فهي ولاء فكري يقوم على العصبية والمصلحة، ودائمًا ينتج عنها الحروب والدماء.

ب – وصل عباس عبد النور إلى الإيمان مثله مثل أئمة الكفر والضلال في تاريخ الإنسانية، ونَكَص على عَقبيه، مثل نكوص إبليس، واختار العمى على الهدى، والكفر على الإيمان، والجهل على العلم.

وإن كان ذلك الاحتمال هو الصواب، فكان ينبغي أن يُسمِّي الأمور على حقيقتها ويقول: **(نكوصي من الإيمان إلى الكفر)، مثل مقولة (نكوصي من العلم إلى الجهل).**

لأن مقولته الأولى (رحلتي من الإيمان إلى الشك)، يوهم القارئ أنه انتقل من الأدنى إلى الأعلى، وارتقى بفكره!، وهذه مغالطة وتدليس في صياغة الكلام، وإخفاء

الحقيقة!، متى كان الكفر، أو الشك، أو الجهل حالة راقية بالنسبة للإيمان، واليقين والعلم!؟.

- **المسألة الثانية:** سؤال يفرض ذاته، ألا وهو: لماذا تناول النص القرءاني نقضًا وطعنًا يريد أن يُثبت للقارئ أنه ليس من كلام الخالق، وبالتالي ينتفي عنه الإعجاز والبلاغة والقداسة، إذا كان عباس منذ البداية قد أنكر وجود الخالق وتدبيره لخلقه!؟ فنفي وجود الخالق كافٍ لبطلان قداسة القرءان!.

ولكن نشاهده قد سَوَّد الصفحات يتتبع الآيات التي أشكل فهمها عليه (وهذا شيء طبيعي لمن هو في مرحلة التقليد والعمى)، وصار يضرب الآيات ببعضها، مثله مثل طفل صغير دخل إلى غرفة مُعدات تقنية ليلعب فيها، وصار يضرب المعدات ببعضها لا يعلم وظيفة كل واحدة منها على حدة؛ لأن الأدوات تتكامل في وظيفتها أثناء استخدامها على أرض الواقع.

- **المسألة الثالثة:** قوله: (إن أدلة إثبات وجود الله تتساوى مع أدلة نفيه، وكلما أتيتَ بدليل إثبات آتيك بدليل نفي له).

وهذا الكلام مغالطة كبيرة ما كان ينبغي لدكتور فلسفة أن يقع فيها!.

نفي النفي إثبات

أخي القارئ

انظر إلى هذه القواعد العقلية المنطقية التي هي محل تسليم من العقلاء بناء على ثبوتها في الواقع.

1. النفي لا يحتاج إلى برهان، وإنما الإثبات يحتاج إلى برهان، ومن ذلك صاغ الحقوقيون قاعدة: (البَيّنة على المدَّعي) أو (إن كنت مدَّعيًا فالبينة).

2. إن إثبات أمر ببرهان هو في حد ذاته يتضمن نفي النفي ضرورة، وبالتالي لا يصح أن يأتي إنسان؛ ويقول: أنا سوف آتيك ببرهان على نفي ما تم إثباته ببرهان. فهذا كلام هراء، وهرطقة، وسفسطة، لا يَعتد به الفلاسفة أو العقلاء، ولا يُقيمون له وزنًا.

انظر مثلًا لجملة: الشمس ساطعة. فهي جملة خبرية، تُثبت سطوع الشمس من خلال الحس بالواقع المشاهد، أو المحسوس، وبذلك الإثبات المرافق للبرهان الحسي؛ تم عملية نفي النفي لعملية سطوع الشمس، فكيف يمكن أن يأتي عباس ببرهان على نفي سطوع الشمس؟

3. الأمور البديهية لا يصح نقاشها، أو ضياع الوقت على البرهنة عليها نحو، نصف الأربعة اثنين، أو يملك الإنسان وعيًا وإدراكًا لما حوله. وقصدت بذلك مسألة نقاش وجود الفاعل (الخالق)، هل يقبل أحدكم (وهو فعل) أن يُناقش مسألة وجود فاعل له!؟ انظر على سبيل المثال: جملة (قرأ زيد الدرس)، وتصور أن فِعل (قرأ) صار عنده وعيًا وإدراكًا، وذهب إلى فعل (كتب) مثلًا، وقال له: أنا أشك بوجود زيد وأنه فاعل!؟ ماذا يمكن أن يرد عليه فعل (كتب)؟ وهذا مفهوم قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم:10]، **أفي الفاعل تَشُك أيها الفعل القاصر!؟ إن وجود الفاعل أَثْبَت وأشَد وضوحًا من وجود الفعل، لا سيما أن الفاعل سابق في وجوده عن الفعل ضرورة!**.

ومع ذلك، شَكّ الفعلُ عباس بوجود فاعل له! إن هذا لشيء عجاب!.

• **المسألة الرابعة**: إن الموقف الذي اتخذه عباس كان نتيجة ظروفه النفسية والمادية السيئة، والسؤال الذي يفرض ذاته هو: هل كان من الممكن أن يبقى عباس على ما هو عليه من أفكار لو تم تغيير ظروفه السيئة ؟

فأنا أظن أن هناك جهة ما، استغلت ظروف عباس السيئة، وساومته على مبدئه،

وعرضت حلًّا ماديًّا لكل مشكلاته، بشرط أن يقوم بكتابة كتاب يدفع ضعاف الناس إلى الإلحاد، والتشكيك بدين الإسلام، وهذا ليس بتأثير نظرية المؤامرة، فمن الخطأ أن نرفض تحليل الأمور، ومن يقف خلفها بحجة نظرية المؤامرة، وإن لم يكن هذا الموقف من عباس فقد حكم على نفسه، وشهادته بالتفاهة والهراء، وأثبت للعالم كله **أن الشهادة لا تدل على العقل أو العلم**، وإن كان عالمًا وأخفى علمه وكتب خلافه، يكون أضل من الأنعام! فمن أين ما نظرت لموقف عباس تجده محصورًا بين العمالة المأجورة، وبين أضل من الأنعام!.

ومن هذا الوجه يتم تسويق كتابه على أنه أخطر، أو أعظم كتاب إلحاد في تاريخ الإلحاد العفن الميت وبعد الاطلاع عليه، وقراءته بوعي تَبَيّن زيف هذا الادعاء، فهو لم يصل في بطلانه وافترائه إلى مستوى الباطل! إلى درجة أني عرضت شبهاته المتعلقة بإثبات وجود الله؛ على ابنتي، التي لم تتجاوز أربعة عشر عامًا، فلم تتمالك نفسها من الضحك على هذا المستوى من الانحطاط في تحليل واستنتاج الأفكار، وقالت: هذا رجل عنده عقدة الفقر والنقص، **وينطبق عليه مقولة الأغنية الخليجية (اللي ما يطول العنب حامض عنه يقول)!**.

- أما مسألة قصور فهمه للآيات، فسوف أستعرض بعض منها لأبين للقارئ كيف أن عباس لم يُعمل عقله أبدًا، وإنما اكتفى بتلاوة التراث، وبناء عليه حكم على النص القرءاني، وكان الأجدر به أن يدرس القرءان ذاته، ولكن أنّى له أن يفهمه إذا دخل إليه ابتداء وهو يعتقد بكذبه وبطلانه.

مفهوم الظن

1. قوله: (إن دلالة كلمة (الظن) تأتي في القرءان بصورة متناقضة ومختلفة فتارة بمعنى الشك، وتارة بمعنى اليقين). وكذلك قال بالنسبة لدلالة كلمة (المحصنات).

أقول له، ولأمثاله: إنّ جهلكم باللسان العربي هو الذي أوصلكم إلى هذه الإشكاليات.

فالكلمة في اللسان العربي لها دلالة أو مفهومًا تجريديًّا واحدًا فقط، ولكن حين استخدامها على أرض الواقع تلبس صورة الاستخدام وترتبط به، ويتم فهمهما بناء على ذلك دون إلغاء لمفهومها اللساني.

أ. **كلمة (ظن) تدل على ميل وشعور في داخل الإنسان، فإن كان هذا الشعور ضعيفًا، فيظهر بصورة الشك، وإن زاد ورجح، فيظهر بصورة الظن الغالب، وإن تم البرهنة عليه صار يقينًا.**

وقد تم استخدام كلمة (الظن) في القرءان بالصور الثلاثة.

1. **ظن شك ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾** [الأنعام:116].

2. **ظن غالب ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾** [ص: 24].

3. **ظن يقين ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُواْ اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [البقرة: 249].

مفهوم الإحصان

ب. كلمة (حصن) تدل على المنعة والحماية والستر، ومن ذلك الوجه تم إطلاق كلمة (الحصن) على البناء الذي يتم بناؤه لحماية المدينة.

وظهرت كلمة (مُحصنة) في القرءان متعلقة بالمرأة على عدة صور:

1. **إحصان المرأة من خلال انتمائها إلى أسرة ومجتمع** تكون لها بمثابة الحصن. ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: 25].

2. **إحصان المرأة من خلال انتمائها إلى زوج** يكون لها بمثابة الحصن ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ...، وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:23-24].

3. **إحصان المرأة من خلال التزامها بالقيم والأخلاق والعفة** حيث تكون لها بمثابة الحصن ﴿وَالَّتِيَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:91].

ت. قال عباس الملحد: إن القرءان يهبط في صياغته البلاغية أحيانًا إلى مستوى ما ينبغي أن يصل إليه عامة الناس. وضرب مثلًا على ذلك قوله تعالى:

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾ [الزمر:71].

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الّجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ [الزمر: 73].

وقال: إن دلالة كلمة (سيق) كما ذكر المفسرون في كتبهم أنها تدل على السوق بعنف وشدة لإذلال الكفار، فهي عملية سوق إجبارية وقهرية وإذلالية، فكيف يصف الله المؤمنين بعملية السوق هذه، ويُشَبههم بسوق الكفار أو سوق الأنعام ؟. ألا يدل ذلك على هبوط بلاغة النص القرءاني، وأنه ليس من عند الله (إن كان يوجد إله).

ونقول لعباس الملحد: إن كلمة (سوق) تدل على إتيان شيء بصورة غير محددة ممتدة بانضمام منتهية بوقف أو قطع شديد. ومن هذا الوجه سُمِّي المكان الذي تُجْلَب إليه البضائع من كل حدب وصوب؛ سوقًا.

فدلالة كلمة (سوق) لا علاقة لها بذم أو مدح، وإنما تُستخدم على كل ما يتم سوقه دون إرادة منه أو معرفة. ومن ذلك الوجه نستخدم كلمة (السَّوق) لبدء عملية طلب الشباب إلى الجيش بصورة إجبارية، ونستخدمها على سوق السيارة والبهائم.

فعملية سوق الكفار إلى جهنم؛ تحقق فيها صفة عدم الإرادة، ونفي الرضا عنهم، لأنهم عرفوا أنهم يساقون إلى العذاب والألم والشقاء، فتم قهرهم وإذلالهم، أما المؤمنون فيُساقون إلى الجنة بتكريم وتعظيم مع ظهور الرضا والسرور في أنفسهم، لمعرفتهم بما ينتظرهم من نعيم وسعادة، **ونفي الإرادة لا يعني بالضرورة القهر والإجبار، فهذا متعلق بالشيء الذي يُساق إليه الإنسان، فإن كان يُساق إلى ما يَكره، وفيه هلاكه، يترتب على ذلك السوق قهر الإرادة والإذلال له، وإن كان يُساق إلى ما يحب ويرضى، فلا يترتب على ذلك قهر إرادته، بل الرضا والسرور بعملية السوق.**

وعدم استخدام هذه الكلمة (السوق) في ثقافة المجتمع إلا مرتبطة بقهر الإرادة والإذلال عامة، نحو سوق البهائم، فهذا ليس بحجة على اللسان العربي؛ لأن القرءان نزل باللسان العربي، ولم ينزل بما تعارف عليه الناس من مصطلحات أو استخدامات.

وبذلك يظهر لنا صواب استخدام كلمة (سيق) للكفار إلى جهنم، وللمؤمنين إلى الجنة، فهي تصَوّر الحدث على حقيقته تمامًا من حيث عدم صدور القرار منهم، وعدم معرفتهم بكيفية الذهاب إلى مصيرهم، وترتب على سَوق عملية الكفار؛ القهر والإذلال لهم؛ لأنهم يساقون إلى ما يكرهون، بينما المؤمنون يُساقون إلى ما يحبون، فيسيرون وهم مسرورون مُكَرَّمون ظاهر عليهم الرضا والانشراح.

مفهوم القسط في اليتامى

ث. وتناول عباس هذا؛ قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ ﴾ [النساء:3]، وسأل سؤالًا وَجَّهَه إلى السادة المفسرين: ما هي العلاقة المنطقية بين فعل الشرط

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى ﴾، مع جواب الشرط ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ﴾؟ وظن أنه ألقم المفسرين حجرًا، وبنى نتيجته الوهمية نتيجة وهمه الأول، فقال: لا بُدَّ من وجود جملة بين فعل الشرط وجوابه تُبين هذه العلاقة، وهذه الجملة قد تم نسيانها أو نسخها أو تحريفها، مما يؤكد تحريف النص القرءاني، وهو ليس من عند الله.(إن كان يوجد إله أصلًا).

ولقد تناولت تفسير هذا النص في مقالات سابقة، وسأختصره هنا:

إن كلمة (قسط) لا تدل على عدل أو ظلم، وإنما تدل على عملية القسمة والتجزئة.

وكلمة (يتامى) تُطلق على الأطفال (ذكورًا أو إناثًا) الذين فقدوا والدهم وهم دون سن البلوغ، وليسوا هم محل النكاح لقصورهم، وكلمة (اليتامى) هي صفة حال لازمة ممتدة، بخلاف دلالة كلمة (أيتام) فإنها لا تفيد اللزوم والامتداد، ولم يتم استخدامها في النص القرءاني.

والنص يتكلم عن العناية باليتامى وأموالهم حسب سياق النص، وما قبله وما بعده من نصوص.

ويكون مفهوم النص هو: إن شعرتم بأنفسكم أنكم لن تقعوا في عملية القسمة والتجزئة لليتامى عن أمهم، ولن تأكلوا أموالهم (نفي لفعل حصول القسط) فانكحوا ما طاب لكم من أمهات اليتامى، وتم استخدام كلمة (نساء) لأن أمهات اليتامى

هن جزء من مفهوم النساء، وبذلك الاستخدام أتى المشرع بفهم زائد على نكاح أم اليتامى، وهو إباحة نكاح النساء عمومًا إضافة للحكم الخاص لأمهات اليتامى، ولو تم استخدام أمهات اليتامى عوضًا عن كلمة (النساء) لتم حصر التعددية بهن فقط. وبذلك يظهر العلاقة المنطقية بين فعل الشرط، وجواب الشرط في النص دون لبس أو إشكال.

ج. أما قوله فيما يتعلق بقوله تعالى:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:1-2]، وأمثال هذه النصوص الخبرية، إنها كلام فارغ لا قيمة له، ولا معنى.

فهذا عجيب وغريب من أن يصدر من دكتور فلسفة! ألا يعلم هذا الفعل الناقص (عباس) **أن الفعل يستحيل أن يُدرك أبعاد ومعاني أفعال الفاعل كلها! ناهيك عن استحالة إدراك مقاصد الفاعل!** لذا، سؤاله وإشكاله لا قيمة له البتَّة على أرض الواقع، **فالنص القرءاني(المصحف) هو كتاب أوسع من الدين، وهو يحتوي في داخله كتاب دين كمفاهيم وأحكام ربما لايتجاوز عدد نصوصه بضع مئات، ومابقي منه وهو الغالب (بضع آلاف من النصوص) تعلق بمواضيع كونية وتاريخية وفلسفية...، ولم ينزل إلى عباس فقط ليدرك معانيه ومقاصده، وإنما نزل إلى الناس جميعًا عبر الزمان والمكان، وكل مجتمع يأخذ نصيبه العلمي والمعرفي منه من خلال استخدام أرقى أدواته المعرفية التي وصل إليها، ويتم الحكم على أحقية القرءان ومصدريته بصورة كُلية وعامة.**

فإن تم ذلك ثبتت مصدريته الربانية، ويتعامل الإنسان معه بصورة نسبية بقيادة العقل، والعلم، ومنظومة القرءان، ويترك الجزئيات إلى غيره من المجتمعات اللاحقة لتقوم بمتابعة الدراسة والتراكم العلمي، وهكذا يستمر عطاء النص القرءاني وصلاحيته لكل زمان ومكان، مثله مثل أي علم من العلوم، وما يهم الفرد من الدين

أتى بنصوص ذات صياغة محكمة تحت متناول إدراك كل الناس.

لذا؛ ما قام به الفعل الناقص (عباس) هو موقف غير علمي؛ لأن انتفاء علم الإنسان عن شيء لا ينفي وجود الشيء أو صوابه؛ لأن الإنسان قاصر ومحدود العلم والمعرفة.

ح . لقد خلط بين دلالة فعل (قرأ)، ودلالة فعل (تلا)، وعدَّ أن القراءة مصدر لفعل التلاوة.

خ . فسر آية ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مّنْ أَثَرِ السّجُودِ﴾ [الفتح:29]، بالكتلة الدهنية التي تظهر على جبين الإنسان من أثر احتكاكه في السجود.

وهذا تفسير مضحك وهزلي، فالنص يشير إلى سمة الإنسان المسلم سلوكيًا من أثر خضوعه لأوامر الله في المجتمع، فيظهر بصفة الإنسان الصالح، ويظهر ذلك على وجهه سرورًا وبهجة ورضا وثقة بالنفس، لا علاقة لذلك بالكتلة الدهنية التي تظهر على الجبين!.

د . ادَّعى أن الفلسفات أنكرت وجود الله.

والصواب، أنها اختلفت في ماهية الله، وأحديته، وليس في وجوده.

ذ . وصف مسألة إنكار وجود الله بأنها الحق المبين.

ولا أدري كيف يكون نفي الفاعل حق مبين مع إثبات وجود الفعل الذي يمثله عباس نفسه!.

ر . فَهم أن الدُّعاء في القرءان هو سبب حتمي لحصول الأشياء، فقام بالدعاء فلم يَتم الاستجابة له، فأنكر وجود الفاعل؛ لأنه لم يرد عليه!.

وكأن الفاعل يَستمد وجوده من فعله، أو اعتراف الفعل به!.

ز . كذبه وافتراؤه بوجود آيات كثيرة معارضة للحقائق العلمية في القرءان.

س . عدَّ أن النص القرءاني فوضوي ومُقطَّع الأوصال، والمواضيع لعجزه عن التعامل معه.

وفاته أن القرءان له نظام خاص به، ومفاتيح داخلية، وخارجية لدراسته كامنة في ذات النص.

هذا ما تيسَّر لي على عُجالة في الرد على عباس (الفعل الناقص) وتبيين جهله وعواره، وأن كتابه لا يصلح للقراءة قط، ولا يضر أحدًا ولا خوف منه، ولا من غيره على الحق أبدًا، ولم يصل إلى مستوى أن يُطلق عليه أخطر كتاب إلحاد في تاريخ البشرية!، وليس من عادتي أن أرد على أمثاله، ولكن استفزني هذا الوصف له من بعض الإخوة والمنتديات الذين يُرَوّجون له، فكتبت نقدي هذا لتعريفهم بمستوى الكتاب، وهبوطه الفكري، وضحالته.

﴿وَقُلْ جَآءَ الحَقّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقا﴾ [الإسراء:81].

﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:111].

قراءة نقدية لبعض مقالات

د. وفاء سلطان

أرسل أحد الأصدقاء بضع مقالات للدكتورة «وفاء سلطان « وطلب مني أن أرد عليها، وقبل أن أقرأ المقالات بحثت عن سيرة الدكتورة وفاء لمعرفتها وأخذ فكرة عن منهجها في التفكير، فرأيت أنها إنسانة تعرضت لصدمات فكرية نتيجة البيئة التي تعيّشها، وبحثت عن الحقيقة بحرية عسى أن تصل إليها فاصطدمت بفكر إسلامي منغلق إلى أقصى الحدود يقدّس الآباء والتراث، ويدَّعي أن هذا مقصد الله من كتابه القرءان، فكفرت بهم وبفكرهم، وهي مُحقَّة بهذا؛ لأن الفقه غير القرءان، والمسلمين غير الإسلام، ولكنها سحبت ذلك إلى الإسلام والقرءان فكفرت به أيضًا، ورفضت أن يكون من عند الله الذي هو أيضًا غير محل للإثبات أو النفي عندها، وبذلك وقعت في خطأ ما كان لها أن تقع به، ألا وهو التعامل مع الإسلام التاريخي وترك الإسلام الرباني المتمثل بالقرءان والعلم.

وبدأت تكتب مقالات وأبحاثًا من وجهة نظر متحاملة وضيقة الأفق، فكانت أشبه بالدكتور المعروف باسم «عباس عبد النور» في كتابه «محنتي مع القرءان ومع الله في القرءان» الذي تعرض لصدمات وأزمات مالية وصحية على كبر سنه، فكفر بالله خالقًا وكفر بكتبه والقرءان منها، وادَّعى أن الحياة الدنيا هي عبث ولعب ولهو ليس إلا، ولسان حاله يقول: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:24].

وانطلاقًا من الظن بنوا عقيدتهم وأنكروا الحقيقة، وتناولوا القرءان نقضًا، ولكن من طريق التراث والتفاسير وأقوال الرجال، وما نسب إلى النبي كأحاديث وأخبار تاريخية.

وأثناء قراءتي لمقالات الدكتورة «وفاء» وردّها على بعض الكتَّاب والباحثين رأيت أنها تطالبهم بالمنهج العلمي والتفكير الموضوعي، فقلت في نفسي: إِذَنْ يمكن أن أناقشها وألزمها بما طلبت من الآخرين الالتزام به.

دكتورة وفاء المحترمة

تحية طيبة وبعد

أحيِّي فيك البحث والحرية والتفكير والثقة بنفسك وإنسانيتك، وأضم صوتي إلى صوتك في محاربة التقليد الأعمى، ووجوب إعمال الفكر والعلم، وأعيب عليك كمتعلمة تدّعي المنهج العلمي أن تجري وراء التراث وتخلطين ما هو رباني بما هو بشري، وتحاولين أن تفهمي القرءان بما عدَّه الرجال قواعد وأصول ألزموا أنفسهم بها، وهي ليست كذلك ولا مبرهن عليها.

دكتورة وفاء المحترمة

قبل النقاش والنقد أريد أن أطلعك على مجموعة من القواعد العلمية والأصولية واللسانية التي اعتمدت عليها في نقدي لبعض أفكارك، أو ما عرضتِهِ من شبهات وإشكاليات على القرءان.

1. الخطاب القرءاني حجة بذاته لا يحتاج لمن يصدقه من الأحاديث النبوية أو أقوال الرجال.

2. الخطاب القرءاني مستغن عن الحديث النبوي.

3. الخطاب القرءاني منظومة واحدة يحتوي منظومات في داخله، فلا يمكن أن يُدرس نصٌّ منه بمعزل عن منظومته، وذلك مثل دراسة أي عضو في جسم الإنسان لا يمكن أن يدرس إلا ضمن منظومته.

4. ينبغي أن تفرقي بين الخطاب القرءاني وتاريخية التعامل مع القرءان لدى المسلمين كلهم.

5. الخطاب القرءاني هو كلام الله، والواقع هو كلمات الله، ولا بُدَّ لدراسة كلام الله من إسقاطه على كلمات الله.

6. الخطاب القرءاني حجة على اللغة العربية وقواميسها.

7. كل كلمة في القرءان مستخدمة بحكمة وعلم.

8. الخطاب القرءاني محكم ولا يوجد في بنيته الداخلية أي تناقض علمي أو منطقي.

9. إذا اختلف المبنى على صعيد الكلمة أو الجملة اختلف المعنى ضرورة حسب اختلاف المبنى.

10. الخطاب القرءاني كله حق ولا يوجد فيه مجاز.

11. الترادف في القرءان بين المفردات ليس تطابقًا في المعنى، وإنما التقاء نسبي أو جزئي بالدلالات.

12. الأصل في استخدام دلالة المفردة القرءانية هو المفهوم اللساني وليس ثقافة المجتمع الأول كون الخطاب القرءاني نزل بلسان عربي مبين.

13. ليس من أسلوب القرءان ذكر ما هو معروف عند السامع بداهة أو تحصيل حاصل.

14. تنزيه القرءان عن العبث والحشو.

15. الخطاب القرءاني يحكم ويعلو على الحديث النبوي أو التفاسير.

16. أصول الخطاب القرءاني غير أصول خطاب الناس لبعضهم بعضًا.

17. الخطاب القرءاني موجه إلى كائن حي عاقل واعٍ فهو يشاركه في الوصول إلى المعنى وتحديده.

فيوجد متكلم، وخطاب، ومتلقي للخطاب، ومحل الخطاب، فتحديد العناصر الأربعة لا بُدَّ منها لدراسة الخطاب القرءاني؛ لأن الخطاب يفهم حسب مستوى المتكلم الذي صدر منه الخطاب، ويمكن أن نعلم ذلك من دراسة الخطاب ذاته، ومستوى المتلقي للخطاب يحدد المقصد منه بشكل نسبي.

18. الخطاب القرءاني عالمي وإنساني.

19. عدم معرفة الحقيقة لا يعني نفي وجودها.

20. عدم القول بالفكرة سابقًا لا ينفي القول بها لاحقًا.

21. اشتهار فهم أو قول لا يعني أن ذلك هو الصواب.

22. يعرف الحق من برهانه وليس من رجاله، والحق أحق أن يتبع.

23. الإجماع ليس برهانًا فكريًا أو علميًا وإنما هو وسيلة انتخابية أو قرارية.

24. التاريخ ليس مصدرًا تشريعيًّا.

هذه أهم القواعد التي استحضرتها حاليًّا تصلح لاستخدامها في نقاش بعض أفكار الدكتورة «وفاء» وتفنيدها.

وسأضع مقطع من كلام الدكتورة كما هو، وبعد ذلك أناقشه بشكل مختصر.

***

د. وفاء سلطان

الحوار المتمدن – العدد: 1972 – 2007 / 7 / 10

المحور: حقوق الإنسان

1 . في القرءان لم ترد كلمة شفقة على الإطلاق. وردت كلمة «رأفة» مرتين.

لنتجاوز الأمر ونعتبر المعنى واحدًا، ثمّ نطلع على الآيتين اللتين وردت فيهما كلمة «رأفة».

- الآية الأولى تقول: « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة».

إذا كانت الشفقة، أو الرأفة تجاوزًا، هي الصفة الإنسانية التي حافظت على استمرار الجنس البشري وجودته، هل بإمكاننا أن نتصور وضع مجتمع بشري يكون فيه الإنسان قادرًا على أن يجرّد نفسه من أي أثر للشفقة؟

تحت تأثير أي ظرف، هل يجوز أن يتجرد الإنسان من قدرته على أن يرأف؟

هل يستطيع إنسان مازال يحتفظ ببعض إنسانيته أن لا يرأف بحال امرأة تُجلد مئة جلدة، بغض النظر عن نوع الجريمة التي اقترفتها تلك المرأة؟

ما الذي يدفع ذلك الإنسان لأن يتوحّش؟ وما نوع الإله الذي ينزع من قلبه رأفته ويزرع فيه تلك الوحشيّة؟

يقول الفيلسوف الألماني Arnold Schopenhauer: الشفقة هي أساس الأخلاق.

إِذَنْ، ماذا يبقى لدى الإنسان عندما يهدم أساسه الأخلاقي؟

- بينما تقول الآية الأخرى التي وردت بها كلمة «رأفة»:

«وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة». لن أعلق على تلك الآية،

لكنني أمتلك الحق أن أتساءل:

طالما زرع الله في قلوب أتباع عيسى الرأفة، لماذا غيَّر رأيه وآتى محمدًا القرءان؟ ألينزع تلك الرأفة؟

ألم يقسم أتباعه، بما فيهم الأطباء:

أقسم بقرءاني......... سأقتل وأصلب وأقطع الأيدي والأرجل من خلاف.... وسأضرب الرقاب حتى أثخنها وأشد الوثاق...وسأجلد الزانية والزاني مئة جلدة لا تأخذني بهما رأفة.... أقسم بقرءاني سأكون محمّديًّا حتى العظم منذ الآن وحتى يوم الحساب؟

ج 1 . نقاش الدكتورة «وفاء»

تخلط الدكتورة عن قصد أو غفلة بين دلالة مفردة شفقة، ومفردة رأفة، وادعت أن مفردة شفقة لم تأت في القرءان قط، والصواب أنها أتت، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جهولًا﴾ [الأحزاب:72]، ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:18] ولم تأت مضافة لله، وكذلك مفردة رأف فقد أضيفت لله بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج:65]، فالله رؤوف رحيم، والإنسان شفوق ورؤوف ورحيم، إِذَنْ الشفقة صفة للإنسان وليس لله، فما هي دلالة كل من مفردة شفق ورأف.

شفق: كلمة تدل على انتشار شيء وانفتاحه وتوقفه بشدة. وظهر ذلك بالشفق

المعروف الذي يظهر عند نهاية غروب الشمس، وظهر ذلك بالعاطفة التي تنتشر في نفس الإنسان وتنفتح على الخارج كسلوك لين ولطيف مع توقف السلوك الشديد السابق.

رأف: كلمة تدل على تكرار ظهور شيء منتهٍ بفتح خفيف. وظهر هذا المفهوم بمعنى ظهور العاطفة والاهتمام اتجاه الآخر.

فنفي الرأفة لا يعني نفي الرحمة، فيمكن أن تعاقب الزاني مثلًا دون أن تأخذك به رأفة، بمعنى أن لا تظهر الاهتمام به وبما يصيبه، ولكن يمكن أن ترحمه، وذلك بتخفيف شدة العقوبة، إما بخفض عدد الجلدات أو بتخفيف شدة وقع الجلدة عليه مع المحافظة على عدد المئة، أو اختيار عقوبة تناسب فعله المشين مع إظهار عقوبة الزاني أو الزانية للناس إعلامًا.

والزنى غير الفاحشة، وقد أتى النص بصيغة اسم فاعل(الزانية والزاني..) لتدل على امتهان هذا العمل بأجر أو حبًّا في نشر الفاحشة بين الناس، فالزنى هي فاحشة مأجورة علنية، والمعروفة باسم الدعارة، فهل الزاني أو الزانية محترمان في المجتمع الإنساني؟ ألا يستحقان أن لا يرأف بهما أحد بمعنى أن لا يظهر أحد لهما الاحترام أو الاهتمام أو التأثر بهما، ويستحقان العقوبة من قبل المجتمع لاتخاذهما الفاحشة مهنة لهما ينشرانها بين الناس.

والنهي عن الرأفة دليل على وجودها في الإنسان واستمرارها، وليس نزعها، وإنما توقفها في هذه الحالة المعنية!

وقول الفيلسوف: إن الشفقة هي أساس الأخلاق، ليس فكرة علمية مبرهن عليها، فيمكن أن أقول: الرحمة هي أساس الأخلاق، ولا يخلو إنسان سوي من رحمة! والرسالة الإلهية أرسلت رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107].

ألا يوجد في كل تشريعات الناس الوضعية عقوبات رادعة وزاجرة، وفيها شيء من القسوة التي لا بُدَّ منها؟ وكذلك التشريع القرءاني فيه العقوبة الرادعة والزاجرة مع وجود الرحمة للإنسان وعدم نفيها، والتشريع في القرءان حدودي، بمعنى أن العقوبات تأتي على الحد الأعلى، وتسمح للمجتمع أن ينزل عنها تخفيفًا بما يراه مناسبًا للعقوبة. فأين الوحشية بالتشريع؟ وأين نزع الرحمة من قلوب الناس ؟ وأين نفي صفة الرأفة عن الناس عمومًا؟

فكلام الدكتورة «وفاء» غير منضبط ولا يصلح للنقاش لتخبُّطه وتناقضه.

د. وفاء سلطان

الحوار المتمدن – العدد: 1851 – 2007 / 3 / 11

المحور: حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات

2 . **تساءلت: من هي أفضل امرأة في سجلّ الإسلام وتاريخه؟** رأيت أن باستطاعتي، إلى حدّ ما، أن أعتبر مريم أمّ المسيح ضالتي المنشودة. وعندما عثرت على تلك الضالة رحت أتساءل: وكيف اختار الإسلام السيدة مريم لتكون خير نسائه، وعلى أيّ مقياس أعتمد؟

تقول الآية:

«والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا....»

مريم، وحسب ما جاء في الإسلام، هي المرأة الوحيدة التي نفخ الله بها، ولقد نفخ فيها؛ لأنها أحصنت فرجها!

يبدو أنها المرأة الوحيدة أيضًا التي أحصنت فرجها، وإلا لكانت عدالة السماء واحدة ولنفخ الله في كلّ النساء اللاتي أحصنّ هذا الكنز الثمين!

لقد تعامل إله الإسلام مع المرأة كفرج، ولم يستطع أن يراها أكبر من حدود ذلك الثقب الصغير!

لم يقل: أحصنت جسدها (ناهيك عن عقلها)، وإنّما أحصنت فرجها....!

ج 2 . نقاش الدكتورة «وفاء»

تفسير النص كله خطأ وتحامل، فالنص لم يقل: إن سبب تفضيل مريم هو إحصان فرجها! فهي امرأة فاضلة بإيمانها وسلوكها وتفكيرها، ﴿وَإِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء العَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:42]، ونفخ فيها وليس بها كما قالت الدكتورة، وأتى النص المعني يغطي حالة من حالات مريم وهي إحصان الفرج، وكلمة فرج ليست حصرًا هي الفتحة التناسلية للمرأة أو الرجل، فهي كلمة عامة تشمل كل شق أو فتحة يكون في الشيء، انظري إلى قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:6].

بمعنى لا يوجد في السماء شقوق أو فتحات تؤدي إلى ضعفها فهي متماسكة قوية البنيان، وكلمة فروج عندما تضاف للإنسان يقصد بها كل فروجه المادية والمعنوية، وسياق النص يحدد أحدها، وفي نص السيدة مريم أتت كلمة فرجها يقصد به الشق التناسلي، والإحصان له متعلق بالسلوك وليس به، بمعنى أن السيدة مريم كانت امرأة فاضلة لا تمارس الفاحشة قط، ولا تمارس حركات أو أفعال تخاطب بها غريزة الجنس عند الذكور، فالموضوع غير متعلق بثقب كما تقولين! وإنما متعلق بخلق وسلوك اجتماعي، وغياب هذا المفهوم وتجسيده بالفرج ذاته تاريخيًا لا ينفي المفهوم، وما ينبغي أن تأخذي هذا المفهوم التاريخي الشعبي وتنسبينه للقرءان!

ولو قرأت القرءان لعرفت كيف ينظر إلى المرأة على أنها كائن إنساني وعلاقتها مع

الرجل علاقة تكاملية وليست تفاضلية، وهي أم وأخت وبنت وخالة وعمة.... فهن شقائق الرجال لهن ما للرجال، وعليهن ما على الرجال.

د. وفاء سلطان

الحوار المتمدن – العدد: 1281 – 2005 / 8 / 9

المحور: العلمانية، الدِّين السياسي ونقد الفكر الدِّيني

3 . تركتُ سمر تجادل الطفلين وأسرعتُ إلى أقرب موقف باص لقناعتي المطلقة بأنني لا أستطيع أن أحوّل الغول طفلًا!

لا أعرف الآن مصير ذانك الطفلين، لكني لن أستغرب إذا سمعت بأن أحدهما اقتحم بطائرة مدنية بناية تغص بالناس، والآخر ينط من كهف إلى كهفٍ في أفغانستان!

لا، لن أستغرب ذلك، ولكني سأستغرب إن قيل لي بأنهما إنسانان طبيعيان يعيشان حياة أسروية متوازنة نفسيًا وعقليًا وفكريًا.

ج 3 . نقاش الدكتورة «وفاء»

الإنسان يولد على الفطرة سويًا، والبيئة الاجتماعية والجغرافية والغذائية هي التي تصيغ شخصيته صغيرًا،وعندما يكبر يمكن أن يغيِّر شخصيته حسب ما يريد، لذا؛ يُقال: الإنسان ابن بيئته صغيرًا، وابن ثقافته كبيرًا.

فالإنسان إن تشوهت فطرته في بيئة معينة لا يعني ختمها على ذلك، فهي قابلة للإصلاح، وإلا لماذا دعوة النبيين والرسل والمصلحين والمفكرين للسلام والخير والرشاد إن كان الإنسان غير قابل للصلاح!

د. وفاء سلطان

الحوار المتمدن – العدد: 1769 – 2006 / 12 / 19

المحور: العلمانية، الدِّين السياسي ونقد الفكر الدِّيني

4 . يبدو أن السيّد عبد اللطيف الجبوري قد تشرّب المستنقع بكامله، إذ لم يستطع أن يفرز في ردّه على مقالتي «هل يصلح الدهر ما أفسده الإسلام» ؟

سوى مائه الآسن ووحله!

• العلم لا يؤمن بالحقائق المقدسة، فما يعجبه اليوم قد يضحكه غدًا! يترك العلم الباب مفتوحًا للشكّ والسؤال، ويبحث عن الحقيقة ثمّ يعتمدها عن طريق النتيجة والبرهان. أمّا الدِّين فيقوم على مبدأ التسليم والإيمان، ويعتبر كل شيء يأتي به حقيقة «مقدسة» لا تحتمل الشكّ ولا تقبل السؤال. العلم متغيِّر وفي حركة دائمة والدِّين ثابت، وعندما يلتقي المتحرك بالثابت تتوقف النتيجة على قوة كلّ منهما.

الأقوى فيهما سيثبت نفسه، فإذا كان المتحرك أقوى أدَّى إلى تحريك الثابت عندما يصطدم به، وإذا كان الثابت أقوى أدَّى إلى إيقاف المتحرك عندما يصطدم به. تلك حقيقة فيزيائية يبدو أن السيد الجبوري «المختص في علم الفيزياء» يجهلها أو يتجاهلها.

لم يستطع الدِّين أن يصمد أمام حركة العلم وظلّت «حقائقه المقدسة».

تتقهقر أمامه الواحدة بعد الأخرى. لم تعد الأرض منبسطة ولم تعد نطفة الرجل وحدها مصدر الحياة. لم يعد بول الإبل يشفي من كلّ العلل بعد أن فضحت المخابر الطبيّة «النظرية المحمديّة» وحلَّلت مواده السامة وخطورته، والأمثلة هنا تطول ولا تنتهي.

• لقد تناول السيّد الجبوري كل فكرة في مقالتي ظنّ نفسه يستطيع أن يتسلَّل منها. لكنّه عندما وصل إلى المقطع الذي أقول به:

كيف يستطيع الرجل المسلم أن يتصوّر طفلة في التاسعة من عمرها تجلس في حضن رجل بعمر جدّها ولا يتقزز؟

كيف يقرأ امرئ مسلم الآية التي تقول: «فلمّا قضى زيد منها وطرًا زوجناكها»، ولا يتساءل: ما هو ذلك الوطر؟

كيف تقرأ المرأة المسلمة الآية التي تقول: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم»، ولا تصرخ بأعلى صوتها: وأين مشيئتي؟

لفّ ودار.. لفّ ودار وبحث طويلًا عن وكر يتسلل منه، ولما لم يعثر قرر أن يتجاوزها وكأنه لم يقرأها!

ج 4 . نقاش الدكتورة «وفاء»

كلام الدكتورة فيه مغالطات جمة، فعن أي دين تتكلمين ؟ فما ينطبق على دين لا ينطبق على آخر! هل الدِّين الإسلامي مثل الدِّين الكهنوتي النصراني مثلًا؟ لا يستويان!

وعلى كل نحن نتكلم عن الدِّين الإسلامي فقط، هل العلم شيء مناقض للإسلام؟ هل الإسلام يقوم على التسليم؟

دكتورة «وفاء» اعلمي أن كلمة (إسلام) أصلها من الفعل الرباعي أسلم وهي:

أسلم يُسلم إسلامًا، واسم الفاعل مسلم.

أما الفعل الثلاثي سلم فيصير يَسلم سلمًا وسلامًا.

والفعل السداسي استسلم يَستسلم استسلامًا.

ويوجد فرق بين دلالة أسلم الرباعي، واستسلم السداسي، فأسلم يدل على الإرادة والوعي والحرية للفعل، أما استسلم فيدل على الإكراه والإذلال، فنقول عن

أسرى الحرب عندما يخسرون ويلقون سلاحهم: استسلموا وهم كارهون لذلك.

والله عز وجل طلب من الناس الإسلام وليس الاستسلام، والإنسان اسمه مسلم وليس مستسلمًا.

وهذا يدل على أن الإسلام ابتداء يقوم على الحرية والوعي.

أما مفهوم الإيمان فهو من الأمن التي تدل على حالة شعور قلبي بالاطمئنان نتيجة قناعات عقلية يحملها الإنسان.

لذلك الإيمان هو تصديق ينتج عنه اتِّباع، فإن انتفى الاتِّباع انتفى الإيمان وصار مجرد تصديق وتصورات للإنسان لا تدفعه للعمل، فعندما نريد أن نناقش موضوع الإيمان عند شخص ينبغي أن نبدأ من موضوع التصديق ونعرف ما مدى وضوح الأفكار عنده ونقيم البراهين عليها، فإن كانت واضحة عنده ومصدق بها، ننتقل إلى مرحلة معالجة الاتِّباع ونحاول أن نعرف لماذا لا يتبعها وما هي الموانع النفسية التي تحول بينه وبين اتِّباعها.

وبالنتيجة نحن نملك إمكانية إظهار الحقيقة له وتعريفه بالأفكار ونجعله يصل إلى مرحلة التصديق بها؛ لأن العقل لا يستطيع أن يدفع البراهين؛ لأنه مفطور على قبولها، ولكن لا نملك أن نجعل الإنسان أن يتبعها، لأن ذلك سلوك شخصي ينتج عن حرية الإنسان، لذا؛ يقال: التصديق بوجود الخالق فطرة لا يمكن للإنسان أن يدفع هذه الحقيقة عن نفسه، والإيمان به (الاتِّباع لأوامره) حرية لأنه سلوك شخصي، ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:256]، ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف:29].

لذلك فالدِّين الإسلامي لا يقوم على التسليم، وإنما يقوم على الإسلام، وطلب من الناس أن يؤمنوا به، وهذا لا يمكن إلا بعد مرحلة التصديق التي هي مرحلة عقلية دراسية علمية ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:19].

أما قول الدكتورة: (العلم متغيِّر...) ليس صوابًا على إطلاقه؛ لأن العلم يقوم على الثابت والمتغيِّر، والعلاقة بينهما جدلية، ولولا الثابت لما وصلنا إلى المتغيِّر، ولولا المتغيِّر لما تطورنا، انظري إلى حركة الكون والشمس مثلًا، أليست هي متحركة ومتغيِّرة وفق ثابت يحكمها؟

أليس العلم هو انعكاس لحقيقة الوجود وطبيعته؟ فالوجود قائم على الثابت والمتغيِّر، والعلم قائم على الثابت والمتغيِّر، ونزل القرءان من خالق الوجود لينسجم مع الوجود كآفاق وأنفس فأخذ صفة الثابت والمتغيِّر، فما وصل إليه العلم أنه ثابت فلا شك أن هذا نتيجة ثبوته في الوجود، وحتمًا إن تناوله القرءان سوف يعطيه صفة الثبات لينسجم مع الواقع والعلم ضرورة، وإلا كان القرءان ليس من عند الله، وينبغي الكفر به وتركه دون أسف عليه.

وهذا ما اعتمد عليه القرءان في مصداقيته، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرءان وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفا كَثِيرًا﴾ [النساء:82]، اختلاف بين خطاب القرءان ومحله من الواقع والعلم.

انظري مثلًا إلى هذه الثوابت الكونية والعلمية والقرءانية:

1. يقوم الوجود على الحركة، ولا يوجد سكون في الكون. ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ القَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:40].
2. يقوم الوجود الكوني بعلاقاته على الثنائية والزوجية، ولا يوجد فيه صفة الأحدية قط. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:49].

3. تقوم الحياة على الماء بصرف النظر عن حالاته. ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:30].

4. لا يوجد في الكون فراغ. ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الحُبُكِ﴾ [الذاريات:7].

5. لا تذهب المادة إلى لا شيء، ولا تأتي من لا شيء. المادة تفنى لتظهر بصورة جديدة، وهكذا تتوالد ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن:26]، والفناء في اللسان العربي هو هلاك الشيء وتحوله إلى أصله، مثل فناء الإنسان إلى التراب.

هذه نماذج للدراسة والتدبر وليست للحصر، وهي بحاجة لنقاش عميق، ولكن أعتمد على فهمك كعالمة وباحثة في متابعة ذلك وحدك.

إِذَنْ ؛ الثابت والمتغيِّر هما نظام الوجود، والعلم دراسة لهذا الوجود، والقرءان خبر عن النظام الكوني، وتطابق القرءان معهم ضرورة إيمانية علمية، ولا يوجد تصادم بين الثابت والمتغيِّر قط، لأن المتغيِّر منضبط بقانون الثابت، والثابت يؤدِّي إلى الاستقرار والتواصل، والمتغيِّر يؤدِّي إلى التطور، وغياب أحدهما يؤدِّي إلى الهلاك ضرورة.

لذا؛ لا قيمة لقولك: (لم تعد الأرض منبسطة) أي معنى علمي أو قرءاني، فهذه الصفة لم تأت في القرءان للأرض قط، وقول بعض المسلمين بها لا يعني أن القرءان قال بها، وبالتالي نقاشك لها هو تدليس وافتراء على القرءان، وليس موقفًا علميًّا ولا موقفًا بريئًا! لقد أتى في القرءان صفة المد للأرض ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر:19]، والشكل الوحيد من الأشكال الهندسية التي ينطبق عليها صفة المد المستمرة دون توقف هو الشكل الكروي، فأينما وقفت على الكرة تقرئين (والأرض مددناها) فتجدين فعلًا أنها ممتدة من جميع الجهات دون توقف، وهذا بخلاف الشكل المسطح إذا وقفت على حافته

لا تجدين أنه ممتد من كل الجهات! صدق الله وكذب بعض المفسرين للقرءان عندما قالوا: إن الأرض مسطحة!

مع العلم أن القرءان أخبر حقيقة أن الأرض كروية ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر:5].

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]، ودلالة كلمة فلك هي التكوير والاستدارة.

أما شبهاتك الأخرى فهي ليست من القرءان، ولا يصح أخذ الروايات والتاريخ أو التفاسير ونقاشهم على أساس أنهم قرءان! فهذا عمل غوغائي وليس علميًّا.

ونقاشك لموضوع زواج النبي من عائشة وهي صغيرة السن لم تتجاوز التاسعة من عمرها غير صواب؛ لأن الروايات ذاتها مضطربة في تحديد عمرها ما بين التاسعة إلى سن الخامسة عشرة والسابعة عشرة، والذي يهمنا هو القرءان، وقطعًا لم يتزوجها النبي حتى بلغت سن المحيض؛ لأن هذا حكم شرعي، والنبي يلتزم به، وبصرف النظر عن عمرها، فهذا يرجع إلى عرف المجتمع حينئذ، ولم ينقل التاريخ لنا أي موقف من الكفار المعاصرين للنبي أنهم اعترضوا على فعله أو ذموه، وهذا يدل على أن الفرق الزمني بين الزوجين هو أمر يرجع للعرف السائد، والمهم أن تكون الأنثى بلغت سن المحيض كحد أدنى، مع العلم ان المرجح من الروايات هو أن عمر السيدة عائشة كان 17 عام، والنبي رجل تجاوز الخمسين من عمره وعنده زوجات غيرها، وكان الدافع وراء التعدد معظمه هو مصاهرة لأصحابه لتقوية العلاقة معهم حسب العرف القبلي، وجبران خاطر لبعض النساء الكبيرات في السن ، ولذلك نجد كل نسائه كن أرامل أو مطلقات سوى السيدة عائشة، ومن الخطأ تقويم عرف مجتمع في زمن معيَّن على عرف مجتمع آخر في زمن مختلف عنه.

أما قولك: كيف يقرأ امرئ مسلم الآية التي تقول: «فلمّا قضى زيد منها وطرًا زوجناكها»، ولا يتساءل: ما هو ذلك الوطر؟

من قال لك أننا لم نتساءل ما هو الوطر! ولماذا انطلقت من تفسير المفسرين أن دلالة كلمة وطر هي الحاجة!

كلمة وطر تدل على المعاناة والضغط والشدة، ويصير معنى النص: فلما قضى زيد منها معاناة وضغطًا إلى حد لم يعد يحتملها لسوء معاملتها له، وهذا مثل القول الشائع عندنا في الشام (قضَّى منها المقاضي)، فأين الحاجة والجنس في النص؟

وقولك: (كيف تقرأ المرأة المسلمة الآية التي تقول: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم»، ولا تصرخ بأعلى صوتها: وأين مشيئتي؟

أقول للمرأة المسلمة: إن إرادتك ومشيئتك موجودتان وتمارسين ذلك بحرية، ولا علاقة للنص هذا بموضوع المرأة من أصله، والمشكلة في المفسرين عندما فهموا أن كلمة نساء في النص هي جمع امرأة، والصواب هي جمع نسيء التي تدل على التأخر، والنص يتكلم عن موضوع آخر غير العلاقة الجنسية الذي تكلم عنه بالنصوص السابقة عنه ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222].

والنص واضح في النهي عن إتيان المرأة في الدبر أو في حالة المحيض، وحصر العلاقة بحالة الطهر ومن القُبل فقط، أما سوى ذلك من أوضاع الإتيان فهي من الأمور الخاصة المسكوت عنها التي يرجع اختيارها لحرية الإنسان ورضى الطرفين، وانتهى الموضوع بها.

وانتقل إلى موضوع آخر، والنص هو ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى

شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: 223]، والحرث هو مكان للعمل الصالح للإنسان، والنص خطاب للمرأة والرجل على حد سواء (نساؤكم حرث لكم...) ويقصد بكلمة النساء في النص مكان العمل الصالح المتمثل بالمتأخِّرين في المجتمع على صعيد العلم أو المال أو الصحة أو أي شيء آخر، وهذا واضح من خلال الأوامر الثلاثة التي أتت في سياق النص (وقدموا، واتقوا، واعلموا)، فأين الجنس في النص؟

د. وفاء سلطان

الحوار المتمدن – العدد: 1769 – 2006 / 12 / 19

المحور: العلمانية، الدِّين السياسي ونقد الفكر الدِّيني

5 . لقد احتوى القرءان على أكثر من ألف خطأ لغوي، معظمها لا تحتاج إلى سيبويه كي يكتشفها، بل بإمكان تلميذ في المرحلة الابتدائية أن يتبيَّن.

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...)

لو كتب طفلك في موضوع الإنشاء «وإن طائفتان اقتتلوا» ألا تصحح له قوله هذا بقولك: «وإن طائفتان اقتتلتا».؟

(هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ...)

هل المفروض أن نقول: اختصموا أم اختصما؟ أم ستقول كعادة المسلم في الحوار: عنزة ولو طارت! ذلك غيض من فيض، وليس لديّ مجالٌ لأستفيض!

• لنقرأ معًا تلك الآية:(قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين...) هل أفهم من ذلك بأن إبليس والإنسان خلقا من ماء؟

وهل هذا يعني أن الطين والنار من أصل واحد؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا لم

يقل الله لإبليس عندما تحداه، مصححًا له معلوماته: خسئت يا إبليس! فلقد خلقتكما من مصدر واحد ألا وهو الماء!

لو التزم إلهكم بالقليل من الديمقراطية، وأجاب على سؤال إبليس بطريقة أقل جبروتًا لوفَّر علينا كلّ العمليات الانتحارية في العراق، ولوفَّر عليَّ الخوض في جدل كجدلك هذا.

ج 5 . نقاش الدكتورة «وفاء»

إن هذا الافتراء على القرءان بأنه مليء بالأخطاء اللغوية فرية باطلة، ولا يقول بها إلا جاهل أو متحامل، ألم ينزل القرءان على العرب وهم من أفصح الناس حينئذ، هل سمعنا عن أبي جهل أو أمية بن خلف أو الشعراء المعروفين أو الخطباء الفصحاء اعترضوا على صياغة الخطاب القرءاني أو طعنوا بصياغته وفصاحته رغم حاجتهم الحربية والعدوانية لذلك؟

ومع ذلك انظري يا دكتورة وفاء إلى النص الذي ذكرتِهِ ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:9]، الطائفة هي اسم لمجموعة من الناس أي: تشمل أفراد، والنص يتكلم عن طائفتين تضمان مجموعتين من الناس، والقتال نشب بين المجموعتين، فمن الطبيعي أن يأتي الخطاب بكلمة الجمع (اقتتلوا)، وهذا يدل على حيوية الخطاب القرءاني وبلاغته ودقة إحكامه في توصيف الواقع كما هو عليه تمامًا.

اعتراضك الثاني: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج:19]، وهذا النص مثل الذي سبقه، الكلام عن خصمين، الأول يمثله مجموعة من الكفار، والخصم الآخر مجموعة

من المؤمنين، فمن الطبيعي أن يأتي الوصف لخصامهم بالجمع (اختصموا).

وكم من عائب قولًا صحيحًا.... وآفته من الفهم السقيم

أما حوار الرب مع إبليس، فقد كان في منتهى الحكمة والحرية، أمره بالسجود فرفض، أليس هذه قمة الحرية! سأله عن سبب رفضه وترك له فرصة ليُجيب وسمعه إلى الآخر، أليس هذا حرية وحكمة! فكان جواب إبليس جواب متكبر وغبي وبرَّر ذلك بقوله: ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف:12]، فكانت النتيجة أن غضب الله عليه وطرده من الجنة ولم يستمر بحواره، والسؤال هو: لماذا توقف الحوار عند هذه النقطة؟

المدقق بالحوار من أوله يجد أن الرب حريص على مصلحة مخلوقه وسأله وحاوره، ولكن عندما وصل الحوار إلى طريق مسدود من طرف إبليس مكابرة وعنادًا وجهلًا، فمن الطبيعي أن ينتهي الحوار ويتوقف عند هذا الحد لعدم جدواه.

والسؤال: ما هو مضمون قول إبليس:﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:12] حتى توقف الحوار بسببه؟

وهذا لا بُدَّ له من دراسة عميقة لمجموع النصوص التي تناولت خلق الإنسان وقصة آدم وإبليس، وسوف ألخص ذلك لك على أن تراجعي الموضوع في القرءان بهدوء ورويَّة وبموضوعية وحدك.

صحيح أن أصل الحياة هو الماء، ولا يستثنى منها إبليس فهو خاضع للقانون ذاته، وفعلًا أصل النار هو من الطين انظري إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:80]، من أين أتى الشجر الأخضر يا دكتورة وفاء؟

وتوقف الحوار؛ لأن الطين والنار هو أصل خلق الاثنين معًا (آدم وإبليس) وأصل الحياة عندهما قائمة على الماء، وإبليس قام بتجاهل وجود الطين في خلقه وذكر النار،

وتجاهل وجود النار في خلق آدم وذكر الطين فقط، وصار مثل إنسان يفتخر على آخر ويقول: إن دمي فيه كريات بيضاء بينما دمك فيه كريات حمراء، وهذا القول لا يصدر إلا من جاهل أو متكبر، ومن الطبيعي أن لا يكون له جواب أو يستمر معه الحوار، والحل لمثل هكذا شخص هو توقيف الحوار وطرده.

أما النص الذي يقول: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: 14- 15]، فالنص الأول يتحدث عن خلق الإنسان كجسم، والنص الثاني يتحدث عن خلق النفس التي هي كائن جني مختفٍ في الجسم خُلقت من مارج من نار، وللتوسع راجعي كتابي «دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير».

فالأمر ليس عنزة ولو طارت!

د. وفاء سلطان

الحوار المتمدن – العدد: 1769 – 2006 / 12 / 19

المحور: العلمانية، الدِّين السياسي ونقد الفكر الدِّيني

6 . لا يوجد في التعاليم الإسلامية مكان للدماغ، ولا للجهاز العصبي المسؤول عن تصرفات الإنسان. أصرت تلك التعاليم على أن القلب هو مصدر الفكر وهو الذي يتحكّم بقرارات الإنسان.

يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ...

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ...

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...

وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ...

من يسبر أغوار الإنترنت يستطيع وبسهولة أن يتّطلع على كلّ العلوم. ويستطيع أن يتأكد من أن مركز الخوف والوجل والريب هو الدماغ وليس القلب الذي لا علاقة له، من قريب أو من بعيد، بتصرفات الإنسان!

ومتى فرطت حبّة من مسبحة الإسلام خرّت كلّ حباته!

فأين تلك الآيات من الحقائق العلميّة التي أثبتها وأقرّها العلم؟

ج 6 . نقاش الدكتورة «وفاء»

لقد ذكرت سابقًا مقولة:

وكم من عائب قولًا صحيحًا.... وآفته من الفهم السقيم

وهذا ما يحصل مع الدكتورة وفاء، فهي تظن أن استخدام كلمة قلب في القرءان هي ذات استخدام كلمة قلب بين الناس بمعنى العضلة التي تضخُّ الدم، وهذا غير صواب، فالقلب في القرءان هو محل لفعل التعقل والتفكير، انظري إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:46]، وكلمة الصدر في القرءان ليس ذاته الصدر المستخدم بين الناس المعروف بالقفص الصدري، فالصدر هو المكان الأعلى والمهم والمركز للشيء وعند الإنسان هو الجمجمة، والقلب هو الدماغ النازل فيه الفؤاد (القوة الإدراكية الواعية) المشهورة باسم العقل﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾ [الإسراء:36]، ليصير دماغ + فؤاد = قلب.

وما ذكرتِهِ من أفعال نفسية من الخوف والوجل والريب وغير ذلك ليس محلها الدماغ، وإنما تمر من الدماغ إلى الفؤاد الذي هو جهاز الإدراك والوعي عند الإنسان النازل في الدماغ، وما الدماغ إلا عضو نهايته للفناء إلى التراب بخلاف ما اكتسبه

الإنسان فيبقى في فؤاده محتفظًا به، فالفؤاد هو جهاز نفسي، والدماغ جهاز جسمي، وكلاهما مع بعضهما يمثلان القلب الذي يتم بواسطته التعقل والفهم والتفكير والخوف والريب والحب والكره...

هل رأيت كيف تخبطين خبط عشواء بسبب اعتمادك على ما هو شائع على ألسنة الناس في فهم القرءان!

د. وفاء سلطان

الحوار المتمدن – العدد: 2949 – 2010 / 3 / 19

المحور: التربية والتعليم والبحث العلمي

7 . [وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ (وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) وَأُولَاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا].

فما تعريف حضرة السيد التميمي « للاتي لم يحضن» من وجهة نظره كطبيب؟

في كل كتب التفسير جاء التعريف على أنهن لم يحضن (لصغرهن)، فلماذا لا يستخدم «طبيبنا» عقله ويلتزم بأمانته العلمية عندما يقرأ هذه الآية من «منظور علمي» بناء على طلبه؟

يندرج تحت التعريف الطبي لعبارة «لم يحضن» كل الفتيات اللواتي لم يبلغن سن الحيض بعد بما فيهن حديثي الولادة!

ج 7 . نقاش الدكتورة «وفاء»

كما ذكرت سابقًا: إن كلمة النساء التي مفردها نسيء، تأتي جمع لكلمة امرأة كونها غالبًا يتحقق بها صفة النسيء في المجتمع وظيفيًّا ويحددها سياق النص ومحل الخطاب، والمرأة هي الأنثى البالغة وليست الطفلة، وجملة (واللائي لم يحضن) معطوفة على الجملة الأولى في بداية النص (واللاتي يئسن من المحيض..) وأتت كلمة (من نسائكم) لتحدد أن كليهما من النساء أي: إناث بالغات، والمعنى هو المرأة التي وصلت إلى سن انقطاع الطمث عنها، والمرأة التي لم تحض أصلًا في حياتها لسبب ما في حال طلقها زوجها فعدتها ثلاثة أشهر، أين ذكر الزواج من الأطفال في النص؟ وكتب التفاسير ليست حجة وغير ملزمة لنا، فالقرءان حجة بذاته!

وكم من عائب قولًا صحيحًا... وآفته من الفهم السقيم

جواب عن أسئلة

يعرضها الملحدون متعلِّقة بالطعن بصياغة القرءان

الكلمات كمبنى هي رهن إرادة المتكلم، وليس العكس، فالمتكلم هو الذي يحكم صياغة الخطاب ولا يحكمه الخطاب، ونعرف قصد المتكلم من طريقة صياغته للكلمات تقديمًا وتأخيرًا، ورفعًا ونصبًا، ولا يوجد شيء يلزم المتكلم بطريقة معينة سوى القواعد العامة بطريقة الاستخدام.

والخطأ الذي يرتكبه الباحث في القرءان هو تأثره بالصياغة الشائعة بين الناس، فيظن أنها الأصل ولا يوجد غيرها، وكذلك شرحه لمفهوم كلمات القرءان يأخذ أول معنى يخطر في ذهنه مما هو شائع ومنتشر بين الناس، ويجعله معنى الكلمة القرءانية، والأمر ليس كذلك، فلا بُدَّ من دراسة مفهوم الكلمة من القرءان ذاته حسب استخدامه لها وفق سياقها ومفهومها اللساني الثابت.

مثلًا:

نقول: جاء زيد على الفرس. إن كان زيد هو محل الكلام.

ونقول: جاء على الفرس زيد. إن كان الفرس هو محل الكلام.

فالتقديم والتأخير له علاقة بقصد المتكلم وذلك ليعطي أهمية أو يلفت النظر إلى شيء.

نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28]، فقد قدم المتكلم في

النص كلمة (الله) لأهمية المقام، وهي منصوبة وليس هو فاعل الخشية، وإنما هو محل الخشية، وأتى بعدها الفاعل وهو (العلماءُ).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـها وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:133]، قدم المتكلم كلمة(يعقوبَ) وهي منصوبة على الفاعل (الموتُ) وذلك لأن محور الكلام هو يعقوب وليس الموت.

إِذَنْ؛ الفهم أولًا للخطاب وبعد ذلك يأتي الإعراب، وقد قال علماء النحو والمنطق: افهم ثم اعرب.

لذلك يُؤتى الملحد من جهله كما قال الشاعر:

وكم من عائب قولاً صحيحًا ... وآفته من الفهم السقيم

يقول الملحد: القرءان كتاب متناقض ومليء بالأخطاء النحوية وضرب على ذلك عدة أمثلة، منها:

1 . أتى الضمير في كلمة (بطونه) مذكر رغم أن السياق يتكلم عن الإناث فهي التي يخرج منها اللبن، ومرة مؤنث في نص آخر (بطونها):

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنا خَالِصا سَآئِغا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:66].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون:21].

- الجواب:

كلمة أنعام جمع لكلمة نَعَم، وهي ليست اسم جنس لحيوان وإنما صفة لمجموعة

من البهائم متحقق بها صفة الانتفاع من لحمها ولبنها وصوفها و﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا البَائِسَ الفَقِيرَ﴾ [الحج:28].

وهذا يعني أن النص الأول الذي استخدم ضمير المذكر مع كلمة (بطونه) يشمل أنواع النعم كلها ولا يحدد نوع معين منها، أي: يشمل الذكور والإناث للعبرة، وأتت كلمة (مما في) وهي أصلها (من ما) ،أدمجت مع بعضها، ودلالة (من) في النص هذا هي تبعيضية، وليست تفسيرية بيانية، وكلمة (ما) اسم موصول بمعنى الذي، ليصير المعنى: نسقيكم من بعض الذي في بطون الأنعام من بين فرث ودم لبنًا..، وذكر السقيا للبن دل على أن التبعيض متعلق بالإناث من الأنعام وليس كل الأنعام، فالعبرة متعلقة بالأنعام كلها، والسقيا متعلقة بالإناث منها.

النص الثاني أتت كلمة (بطونها) منتهية بضمير مؤنث(ها)، ليصير المعنى من بداية النص كالتالي:

العبرة في كل الأنعام على مختلف أنواعها، والسقيا من الأنعام الإناث فقط، والمنفعة في الأنعام جميعًا وأضاف فوائد أخرى وهي (منافع كثيرة) مثل الركوب وغيره، وأكل لحومها أو ما تنتج من نِعم.

فلا يوجد أي تعارض أو خطأ في صياغة النصين، وكل نص يسلط الضوء على زاوية غير الأولى.

2 . يقول الملحد: أتت كلمة الصابئين منصوبة في سياق الرفع، وكان ينبغي أن ترفع مثلهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[البقرة:62]، وذلك على غرار النص الآخر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ والصابئون وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة:69].

- **الجواب**

لا يوجد شيء يلزم المتكلم سوى مقصده من الكلام وحركة الكلمة ترجع للمقصد وليس للصيغة الظاهرة، وهذا يقتضي معرفة مقصد المتكلم أولًا، ثم نعرب الكلمة ثانيًا بناء على مقصده وظهورها بالكلام.

فكلمة (الصابئين) في النص الأول أتت منصوبة (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ..) ولا يوجد هنا أي إشكال، فالأمر واضح بأن كلمة (الصابئين) اسم إن منصوب وهي مؤكدة مثل الكلمات التي سبقتها؛ لأن النص أتى بداية لتقرير مفهوم النجاة يوم القيامة دون مفاضلة بين الناس ومللهم.

بينما في النص الآخر أتت مرفوعة (الصابئون) وقدمت على كلمة (النصارى) لتكون جملة اعتراضية للفت نظر المتلقي للخطاب وإدخال مقصد في الجملة، وذلك مثل عندما يتكلم أحدنا فيقول: إن الطائرةَ والسيارةَ والدرَّاجةُ (بالرفع) والقطارَ وسائل نقل سريعة. فدخول كلمة (الدراجةُ) بالرفع بين الكلام هو بمعنى (كذلك الدراجة) وهي وسيلة متواضعة بالنسبة لما سبق من الوسائل تدخل تحت حكم وسائل نقل سريعة، وأتت بالرفع لينتفي عنها التوكيد المتعلق بما سبقها من أشياء كونها أدنى منهم.

وكلمة (الصابئون) في النص أتت مرفوعة لتخرج عن التوكيد وتلحق بهم في الحكم فقط، ليصير النص كالتالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ (وكذلك الصابئون) وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لأن النص أتى بعد الكلام على أهل الكتاب، وهو ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ

لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة:68]، والصابئون ليس لهم كتاب سماوي فهم أدنى من أهل الكتاب، لذلك أتت كلمة (الصابئون) مرفوعة بين منصوبات مؤكدة بإن.

والآية فيها تقديم وتأخير، وعلى ذلك يكون سياق المعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى، من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم، ولاهم يحزنون، والصابئون كذلك، فتعرب مبتدأً مرفوعًا،وعلامة رفعه الواو، لأنه جمع مذكر سالم.

3. يقول الملحد: أتت كلمة ساحرين بالرفع، وكان ينبغي أن تأتي بالنصب لأنها اسم إن، أو بالجر لوجود حرف اللام في نص ﴿قَالُوا إِنْ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ [طه:63].

- **الجواب**

كلمة (إنْ) هي حرف نفي وليس هي (إنَّ وأنَّ) التي تدخل على الجملة الاسمية فتنصب الاسم ويسمَّى اسمها وترفع الخبر ويسمَّى خبرها، فالخطأ بدأ من جهل الملحد بمعنى كلمة (إنْ) الساكنة.

إنْ: حرف مخفف وتفيد النفي، وهي غير إنَّ وغير إنْ الشرطية.

هذان: مبتدأ مرفوع بالألف لأنه مثنى.

لساحران: اللام فارقة وهي بمعنى إلا لإثبات ما بعدها، الساحران خبر مرفوع بالألف لأنه مثنى.

سؤال نَحَوي عربي للملحد

سألني شاب صغير السن في مرحلة دراسية متوسطة عن برهان على وجود الله ليناقش به صاحبه الملحد، فأجبته على الشكل التالي:

اضرب له مثلًا من اللسان العربي، وعلى سبيل المثال:

كتبَ زيدٌ الدرسَ. واطلب منه إعراب الجملة:

كتبَ: فعل ماض مبني على الفتح الظاهر في آخره.

زيدٌ: فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة على آخره.

الدرسَ: مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره.

وبعدها اجعل الجملة مبنية للمجهول، كُتبَ الدرسُ، واطلب إعرابها أيضًا:

كُتِبَ: فعل ماض مبني للمجهول وعلامة بنائه الفتحة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا تقديره هو.

الدرسُ: نائب فاعل مرفوع بالضمة، وهو في محل مفعول به منصوب.

واسأله لماذا قدَّرت الفاعل في الجملة المبنيَّة للمجهول؟

واسأله من هو محور الجملة وأساس تعلق العناصر الأخرى به: الفعل، والمفعول به؟

واسأله هل يصح للفعل (كتب) أن يسأل أو يفترض نفي وجود الفاعل (زيد) في الجملة؟

واسأله هل نفي معرفة فعل(كتب) لفاعله مبرر لنفي وجود الفاعل؟

واسأله: من أسبق في الوجود هل هو الفعل(كتب) أم الفاعل (زيد)؟

واسأله: من يتعلق وجوده بمن؟ بمعنى هل يتعلق وجود الفاعل (زيد) بوجود فعل (كتب) أم بالعكس؟

واسأله: هل يمكن تعقل إمكانية وجود جملة فعلية دون فاعل مذكور في الجملة ظاهرًا أو ضميرًا يدل عليه أو مستترًا ويقدر تقديرًا ؟ مثل: كتبَ الدرسَ، أو كُتِبَ الدرسُ؟

فأخذ هذا الكلام وعرضه على صاحبه الملحد، ورجع بعد أيام واتصل بي وقال: إن صاحبه الملحد رفض هذه الطريقة من النقاش مبررًا رفضه بأن هذا كلام نَحَويٌّ اصطلاحي لا حقيقة له على أرض الواقع، وطلب منه كلامًا فلسفيًّا واقعيًّا.

فقلت له: هذا كلام فلسفي منطقي واقعي، وهو توصيف لواقع وليس خيالًا ذهنيًّا تجريديًّا، وإن لم يفهمه فلن يفهم شيئًا غيره، وإن رفضه فلن يقبل منك أي برهان ولو جئت بملء الأرض براهين.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَـمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم:10].

الرد على شبهة

إن في الإسلام مدة الحمل أربع سنوات

مصدر دين الإسلام هو القرءان فقط، فهل مدة الحمل في القرءان أربع سنوات يا أهل العلم والجامعات والتفكير المدَّعى؟

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:15].

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:14].

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ **حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:233].

وجملة (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) مع جملة(وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) يقرر

القرءان أن أقصر مدة للحمل هي تمام الستة أشهر، وهذا مستفاد من الفرق الزمني بين ثلاثين شهرًا التي هي فترة الحمل والفصال معًا، وفترة العامين (أربعة وعشرون شهرًا) فترة الفصال كحد أقصى للرضاعة التي يترتب عليها أحكام شرعية وهي المهمة في بنية جسم الرضيع، 30–24=6

ولكن الملاحدة يأبون إلا الصيد بالماء العكر وإظهار تخبطهم وضيق أفقهم وضلالهم واتباعهم للتراث أكثر من السلفيين ذاتهم!

وينبشون بالتراث أو يتبعون عثرات رجال الدِّين الجهلاء.

شبهة حول كسونا العظام لحمًا

«عندما يسقط الجنين في بدئه لا نرى عظامًا»؟

كتاب الله ليس هو في الأصل كتاب تشريح أو أجنة أو غير ذلك، وإنما هو كتاب هداية وقيم وأخلاق ونهضة إنسانية وهذه مهمته الأساسية، ولكن لا يعني أنه لم يتناول قضايا علمية على صعيد النفس والآفاق كآيات للتدبر والدراسة، وليس للإعجاز والتعجيز فهذا المفهوم خطأ استخدامه من قبل بعض الباحثين ومن يقول به.

والصواب هو القول: إن القرءان كتاب مُحكم نزل من لدن عليم حكيم خبير ليدرس الناس آياته ويتدبروها فيزداد المؤمن إيمانًا به، ويعلم الكافر أنه الحق من الله ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:53].

والصياغة القرءانية نزلت بلسان عربي مبين، بمعنى أن الخطاب الصوتي العربي موافق للحدث كمبنى ومعنى ومغطي له من كل الجوانب منذ البداية إلى النهاية، وهذا يعني أن الدراسة ينبغي أن تنطلق من فروقات الكلمات ومفاهيمها ومعناها وَفق القاعدة الكونية اللسانية (إذا اختلف المبنى اختلف المفهوم والمعنى) وملاحظة تصويرها الصوتي وإسقاطها على محلها من الخطاب من الواقع، وإجراء تطابق بين الصورة الصوتية اللسانية ومفهومها ومعناها مع الوجود الموضوعي الذي يُجسد ذلك المعنى، والانتباه لاستخدام الأدوات من العطف والضمائر وغيرها؛ لأن كل

أداة تدل على معنى يختلف عن معنى الأداة الأخرى، مثل (ثم) حرف عطف يفيد الترتيب مع الفاصل الزمني قصر أم طال، وحرف (الفاء) حرف عطف يفيد الترتيب التعاقبي المتصل.

وينبغي العلم أن كتاب الله لم ينزل لمجتمع معين حتى يحيطوا به علمًا، وإنما نزل لكل الناس على مختلف الزمان والمكان، وكل مجتمع يتفاعل معه وفق أدواته العلمية والمعرفية، وهذا يعني خطأ استخدام عدم فهم أو تدبر نص معين من القرءان لنقضه والتشكيك به، فالمشكلة في فهم الناس وقصورهم العلمي والأدواتي وليس في النص القرءاني، هذه نقطة مهمة ينبغي الانتباه لها وملاحظتها أثناء الدراسة للقرءان، ومن باب أولى أن يقصر الباحث الواحد عن الإحاطة بمواضيع القرءان كما يقصر عن العلم بكل الوجود الكوني، وعدم العلم بالشيء لا ينفي وجوده ولا ينفي صوابه.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:20].

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:14].

انتبهوا لاختلاف دلالة أحرف العطف (ثم، ف) فهي تدل على مراحل مرتبة زمنيًا منفصلة أو متصلة حسب محلها في الواقع كما تحصل حقيقة.

- النطفة: هي المحصلة والنتيجة لاندماج ماء الذكر (الحيوان المنوي) مع بيضة الأنثى وتلقيحها تسمى النطفة.
- العلقة: تدل على شيء يحصل وفق علاقات سواء في بنيته الذاتية أو مع غيره أو كلاهما معًا، وفي النص شمل المعنيين معًا.
- المضغة: تدل على الشيء الذي خضع لدفع شديد وقوة في تشكُّله وغياب ذلك

في بينته الداخلية مثل مضغة الطعام التي تخضع لدفع وهرس وضغط في ذاتها لتتشكل داخليًا وخارجيًا بشكل معين.

- كسونا: من كسا وهي كلمة تدل على ضغط أو جهد خفيف حر منته بامتداد وإثارة زمكانية، وتحقق ذلك المفهوم بإضافة شيء لشيء آخر يلزمه لتحقيق وظائف جمالية أو عملية، ومنه كسوة الإنسان بالملابس.

- عظام: كلمة تدل على بُعد وظهور بارز منتهٍ بتجمع متصل، وتحقق ذلك بالعظام المعروفة في الكائن من حيث ظهورها خلقًا بعد أن لم تكن ظاهرة، وهذا يدل على تيبسها وأخذ شكلها الحالي.

- لحم: كلمة تطلق على كل ما يجتمع ويتصل ببعضه بقوة، ومنه اللُّحمة الوطنية، ولحم خزان المياه المعدني بالأنبوب، وكل جسم الكائن الحي هو لحم وفيه تفصيل بعد ذلك لحم دهني، ولحم شحمي، ولحم جلدي... إلخ، ولا قيمة للاصطلاح الشائع بين الناس على أن اللحم هو المادة الحمراء فقط من الكائن الحي.

ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ: وبعد انتهاء المراحل السابقة المتعلقة بالخلق ومُضي زمن عليها معين يأت دور الإنشاء لهذا الكائن وجعله كائنًا إنسانيًا عاقلًا.

فالنص صريح بخلق النطفة والعلقة والمضغة قبل تشكل العظام كمراحل متصلة، والمضغة هي من مادة اللحم، وكلمة (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) تدل على مرحلة نشوء وظهور العظام في المضغة، وكلمة (فكسونا العظام لحمًا) لا تنفي وجود اللحم قبل العظام، ولا تثبت أن العظام خُلقت قبل اللحم عمومًا، وإنما يدل النص على أن في هذه المرحلة تم إكساء اللحم (إضافة ملازمة) للعظام وهي العضلات كلها والرابطة للمفاصل والتي تقوم بها.

هذا تدبر النص بالمختصر المفيد، ولمن شاء التوسع من أهل الاختصاص فليتابع القراءة ويشاهد مقطع الفيديو على الرابط أدناه.

«حقيقة علمية»

اكتساء العظام بالعضلات

حتى وقت قريب كان يعتقد أن العظام والعضلات تظهران وتنموان معًا، غير أن البحوث الأخيرة أظهرت حقيقة مختلفة تمامًا لم يكن أحدٌ ينتبه إليها، وهي أن نسيج الغضاريف في الجنين يتحول إلى عظام أولًا، ثم يتم اختيار خلايا العضلات من الأنسجة الموجودة حول العظام لتتجمع هذه الخلايا وتلف العظام غير أن هذه الحقيقة التي كشفها العلم حديثًا قد أخبرنا ربنا عز وجل بها في القرءان قبل 1400 عام، هذه الحقيقة العلمية التي وردت في هذه الآية قبل قرون يتم شرحها في كتاب علمي حديث اسمه «نشوء الإنسان».

كما يأتي: «في الأسبوع السادس وكاستمرار للتغضرف (أي: التحول إلى غضاريف) تتم أول عملية تحول إلى عظام في عظم الترقوة، وفي نهاية الأسبوع السابع يبدأ التعظُّم (أي: التحول إلى عظم) في العظام الطويلة.

وبينما تستمر العظام بالتكون يتم اختيار خلايا العضلات من النسيج المحيط بالعظم حيث تبدأ العضلات بالتكون، ويبدأ نسيج العضلات بالانقسام حول العظم إلى مجموعة أمامية ومجموعة خلفية.

الميكروسكوبية أثبتت أن تطور الجنين داخل رحم الأم يتم كما وصفته آيات القرءان، فأولًا تتكون الأنسجة الغضروفية التي تتحول إلى عظام الجنين، ثم تكون بعدها خلايا العضلات، ثم تتجمع مع بعضها وتتكون لتلتف حول العظام.

والموضوع كله تشرحه نشرة علمية تحت عنوان تكوُّن الإنسان كما يلي:

خلال الأسبوع السابع يبدأ الهيكل العظمي بالانتشار في الجسم وتأخذ العظام شكلها المألوف، وفي نهاية الأسبوع السابع وخلال الأسبوع الثامن تأخذ العضلات وضعيتها حول أشكال العظام.

http://www.youtube.com/watch?v=PTLN3-xy5PQ

نموذج عن تدبر كروية الأرض من القرءان

من المسائل التي أخبر عنها القرءان ضمنًا خلال خطابه هو كروية الأرض، وفهم ذلك يحتاج لمستوى لساني ومنطقي، والتعامل مع القرءان كخطاب إلهي نزل باللسان العربي المبين للناس جميعًا غير مقيد بفهم أحد سابق أو لاحق كائنًا من كان، والحجة في القرءان ذاته وليس بالتفاسير أو المعاجم، والمصداقية للخطاب القرءاني هو إسقاطه على محل الخطاب.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر: 19].

كلمة (مددناها) تدل على أمرين معًا:

الأول: الامتداد في كل الاتجاهات دون توقف، وينبغي على الإنسان أن يتلو النص القرءاني في أي نقطة على الأرض ويشاهد الامتداد في كل الاتجاهات، وهذا لا يمكن أن يتحقق في الواقع إلا بالشكل الكروي فقط، فهو الشكل الوحيد الذي تسير عليه في كل الاتجاهات دون توقف مع تحقق الامتداد للأرض أينما نظرت لأن الشكل المستوي المسطح لا بُدَّ له من نهاية عند أطرافه، وبالتالي لم يصدق خبر(والأرض مددناها..) في حال وصل الإنسان لنهاية السطح المستوي ويتوقف الامتداد، بينما في الشكل الكروي مستمر بالامتداد أينما تحرك على سطح الأرض .

الثاني: كلمة (مددناها) تدل على شيء مجتمع متصل مندفع بقوة، وظهر ذلك بامتداد سطح الأرض وتسويته ليصلح للعمران والعيش عليه.

فكلمة (مددناها) أفادت عمليًا الصورتين معًا، الشكل الكروي للأرض عامة، والشكل المسطح الممتد خاصة.

والنص القرءاني الآخر الذي دل على كروية الأرض هو:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: 5].

وفعل تكوير شيء على شيء لا يمكن في واقع الحال إلا أن يكون محل التكوير كروي الشكل، مثل تكوير العمامة على الرأس، فلو لم يكن الرأس كرويًا لما صح تكوير العمامة عليه، فتكوير ظاهرة الليل على النهار، والنهار على الليل، برهان على حركة كروية متعاقبة على جسم كروي ضرورة.

مفهوم الرواسي في القرءان

﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾

رد على رشيد مذيع قناة الحياة

يقول مذيع قناة الحياة رشيد: إن القرءان مليء بالأخطاء العلمية، ومنها أن الرواسي الملقاة في الأرض هي الجبال وهذا خطأ علمي بيِّن، فالجبال تشكلت تشكيلًا وليس إلقاء.

لنرى خطأ قوله وفهمه للقرءان وتحميله للنص ما ليس فيه.

كلمة رسا: تدل على تكرار حركة حرة ممتدة بإثارة زمانية ومكانية

وكلمة (رسا) لا علاقة لها بكلمة (ثبت) التي تدل على دفع خفيف ملتصق متجمع باستقرار منته بدفع خفيف وظهرت ثقافيًا بمعنى ملازمة الشيء لوضع معين وتوقيفه عليه بقوة، وهذا معنى التثبيت الذي يتصوره الإنسان في ذهنه.

لنقرأ:

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:7].
- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة:250].
- ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ [الأنفال:12].

- ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:27].

هل يصح القول:

يُرسي أقدامكم؟

فارسوا الذين آمنوا؟

يُرسي الله الذين آمنوا بالقول الراسي؟

لنقرأ:

- ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت:10].
- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [لقمان:10].
- ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ [النازعات:32].

هل يصح القول:

وجعل فيها ثوابت من فوقها؟

وألقى في الأرض ثوابتَ؟

والجبال ثبَّتها؟

لنتابع التدبر معًا.

كلمة (وتد) تدل على امتداد منضم مكانيًا بدفع خفيف منتهٍ بدفع شديد، وظهر ثقافيًا بمعنى الشيء الذي يمتد بشيء آخر مندفع بشكل قوي ليثبت عليه شيئًا آخر.

وأوتاد الخيمة معروفة، وهي تندفع غَرزًا وعُمقًا بالأرض بقوة لتثبيت الخيمة وليس لتثبيت الأرض.

وهذا يعني أن الجبال أوتاد مندفعة بالأرض عُمقًا بقوة لتثبيت شيء عليها وليس تثبيت الأرض، فعندما نريد تثبيت شيء لا نضع الوتد فيه، وإنما ندفع الوتد بشيء آخر قوي وثابت حتى نستخدمه في تثبيت الشيء المعني، وهذا يوصلنا إلى خطأ من يقول:إن الجبال أوتاد لتثبيت الأرض من أن تَميد بنا، والصواب هو أن الجبال أوتاد لتثبيت شيء على الأرض منفصل عنها، وبصرف النظر ما هو، فهذا متروك للعلم ليكتشف ماهيته.

لذا؛ الجبال ليس مهمتها تثبيت الأرض، وليست هي الرواسي التي تحفظ الأرض في النص ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ولم يذكر النص القرءاني أن الجبال ألقاها في الأرض، وإنما ذكر الرواسي، والمذيع فهم أن الرواسي الملقاة في الأرض هي الجبال.

وعود على بدء

كلمة (رسا) تدل على تكرار حركة حرة ممتدة بإثارة زمانية ومكانية.

رسا يرسو فهو راسٍ، وكلمة (راسٍ) اسم فاعل وجمعها(راسون) مثل نما ينمو فهو نامٍ وجمعها نامون، وكلمة (رواسٍ) هي صفة مشبهة باسم فاعل وتفيد اللزوم وليس التعدي، وهذا يدل على أن الرواسي محل الفعل، وليست فاعلة أصلًا مثل مرساة السفينة التي تلقى في قاع البحر لإرساء السفينة وليس لتثبيت الأرض، والسفينة لا تثبت وتجمد في مكانها، وإنما ترسو لتصير راسية مع احتفاظها بالحركة المحدودة.

وهذا مفهوم النص ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات:32] وغمر جزء كبير من أسفلها في الماء ليحقق لها التوازن وهو مثل الوتد لتثبيت السفينة، وليس البحر، وهذا

مفهوم النص﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ:7]؛ لأن الجبال تمر مر السحاب، فهي ليست جامدة كما نظنها، وهذا مفهوم النص ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل:88].

والجبال هي الرواسي المجعولة في النصوص هذه.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت:10].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتًا﴾ [المرسلات:27].

﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يعْلَمُونَ﴾ [النمل:61].

ويؤكد العلماء وجود مراحل لنشوء الجبال حيث تبدأ بتمدد الألواح، ثم اصطدامها، ثم تشكل الجبال، ثم تفسح المجال أمام الأنهار لتتشكل، إِذَنْ نحن أمام ثلاثة مراحل: امتداد الألواح، أي: تمددها، ثم نشوء الجبال الرواسي، ثم تشكل الأنهار، وهذا ما لخصه لنا القرآن بكلمات قليلة في قول الحق تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: 3].

ويقول البروفسور Pysklywec: إن هذه الأمطار وما تختزنه الجبال من مياه تغيِّر سلوك الجبال من حيث الحركة، وتؤثر على حركة الألواح التي تحمل هذه الجبال، وبالتالي يمتد التأثير ليصل إلى جذور الجبال. ويستغرب هذا العالم من وجود هذه الحركة الغريبة والمعقدة للجبال، ويقول: «إننا لم نكن نتوقع أن التغيرات على سطح الجبل يمكن أن تؤثر على جذر هذا الجبل وعلى حركته، إنها المرة الأولى التي ندرك فيها أن الألواح الأرضية تتحرك بفعل التأثيرات الخارجية على سطح الأرض».

يقوم البروفسور Pysklywec بتجاربه على الحاسوب، طبعًا الكمبيوتر العادي لا يمكن أن يقوم بمثل هذه التجارب المعقدة، لذلك يلجأ إلى الكمبيوتر العملاق المُسمَّى «سوبر كمبيوتر» حيث يضع برامج خاصة لمحاكاة ما يحدث على عمق عدة مئات من الكيلومترات تحت سطح الأرض حيث تبلغ درجة الحرارة أكثر من1500 درجة مئوية، وكل تجربة يستغرق هذا الكمبيوتر، وعلى الرغم من سرعته الفائقة يستغرق عدة أيام لإنجازها.

إن هذه الظروف قد تغيِّر حركة الألواح لتعكس اتجاهها. إِذَنْ الحقيقة التي يقررها العلماء اليوم هي أن الجبال تمر وتتحرك وأحيانًا تعكس اتجاه حركتها، وسبب هذه الحركة أنها تُدفع بواسطة التأثيرات الحرارية الباطنية للأرض، تمامًا كما تدفع الرياح الغيوم! ولكن حركة الجبال لا يمكن إدراكها مباشرة، ولكن تأثيراتها تظهر خلال ملايين السنين.

وحركة الجبال ليست حركة ذاتية بنفسها، بل هي حركة اندفاعية بسبب تيارات حرارية تسببها الطبقة التي تليها من الأرض، وكذلك حركة الغيوم أيضًا ليست حركة ذاتية إنما حركة اندفاعية بسبب التيارات الهوائية والرياح.

وصلنا إلى تدبر الرواسي التي ألقيت في الأرض، ولم تُجعل فيها جعلًا مثل الجبال، لنقرأ:

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان:10].

فهذه الرواسي الملقاة في الأرض ليست هي الجبال؛ لأن الجبال لا تحفظ الأرض من الميدان التي تدل على المد والتجاوز في الحركة والانفلات من الضوابط، وإنما هي رواسي ألقيت إلقاء مثل إلقاء المرساة ووظيفتها حفظ الشيء الذي ألقيت منه، وعندما أتى النص بذكر أن الرواسي تحفظ أيضًا الأرض من المَيَدان دل على أن وظيفة

الرواسي جدلية متبادلة تحفظ الشيء الذي ألقيت منه، وبالوقت ذاته تحفظ الشيء الذي ألقيت فيه، وكون الرواسي جمع مما يدل على تعدد الرواسي التي تحفظ الأرض من الميدان وتحفظ الشيء الذي ألقيت منه أيضًا من الميدان، وليست هي إلا الجاذبية في كل كوكب أو قمر، وينتج عنها الجذب والطرد بين الكواكب والأقمار والشمس؛ مما يؤدِّي إلى تحقيق التوازن بينها وحفظها جميعًا من المَيدان.

ونهاية الكلام المنشور يدل على أن المذيع رشيد رجل مغرض يصطاد بالماء العكر ويهرف بما لا يعلم ويستخدم جهله ليطعن بالنص القرءاني.

السقف المحفوظ

كلمة السقف من سقف وتدل على الحركة الحرة المتوقفة بشدة المنتهية بفتح منضم، وظهرت ثقافيًا بمعنى منتهى الشيء بصرف النظر عن جهته في الأعلى أو غير ذلك أو بدلالة مادية أو معنوية، لنقرأ: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:26] جملة (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ) لو كان السقف لا يكون إلا فوق الشيء على الوجه المادي لكانت كلمة (من فوقهم) بعد كلمة (فخر عليهم السقف) عبث وحشو، والخطاب القرءاني منزه عن الحشو والعبث.

وهذا يعني كلمة (من فوقهم) تضيف معنى زائدًا لا تؤدِّيه كلمة (السقف) وحدها وتفيد أن كلمة (السقف) لا تدل على جهة الفوق دائمًا، فيمكن أن تأتي بدلالة معنوية، كما في النص السابق.

وهذا يعني أن السقف لا يشترط له أن يكون صمًّا مغلقًا غير قابل لاختراقه خروجًا أو دخولًا، ولا يصح استحضار سقف الإسمنت المسلح لفهم كلمات القرءان!

لنقرأ:

﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾

[الأنبياء: 31- 32].

النصان يتكلمان عن الأرض، وكلمة (السماء) في القرءان ليس بمعنى واحد أينما

أتت، فالسياق هو الذي يحدد المقصد منها، وفي النص هذا هي البُعد الحركي المتجمع باتصال وامتداد كسقف للأرض وهو جزء منها، وليس هو إلا الغلاف الجوي وهو سقف محفوظ لا يتلاشى أو يذهب عن الأرض، ومن مهامه حفظ الحياة على الأرض، وحفظها من كل شيطان مارد من الشهب والنيازك التي تتمرد على نظامها سننيًا، وتنفصل عن أمها أو تنفجر وتهوي باتجاه الأرض، ولا يوجد في هذه النصوص أي دلالة على مفهوم الجن الشبحي أو الشيطان الذي يطير ويخترق السموات وما شابه ذلك من المفاهيم الهزلية، ولا يوجد في النص دلالة على منع الإنسان أو عجزه أن يخرج من الغلاف الجوي بالعلم والسنن والقوة التي يكتشفها ويمتلكها التي عبر عنها النص القرءاني بكلمة (سلطان) في قوله:

﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن:33].

غروب الشمس في عين حمئة

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، فَأَتْبَعَ سَبَبًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف:83-86].

قرأ نافع وابن كثير وابن عمرو وحفص ويعقوب (حمئة)، وقرأ الباقون (حامية).

وكلا التلاوتين متتابعتين في الأمة والاختلاف هو اختلاف تنوع وليس اختلاف التضاد أو التناقض الذي ينفي عن القرءان مصدريته الربانية[9].

كلمة حامية من الحمو وتدل على اضطراب وارتفاع درجة الحرارة بشكل شديد.

كلمة حمئة من حمأ وتدل على الاضطراب الشديد والتغير الذي يعم الشيء كله، ويتجمع متصلًا مع بعضه، وينتهي بظهور الحالة، ولذلك قالوا: هو الماء الآسن أو الطين الأسود، وهذه احتمالات ومعاني استخدام الكلمة وليس مفهومها اللساني.

ولذلك كلمة (حامية) وكلمة (حمأ) ليستا متناقضتين وكلاهما تتعلقان بشيء واحد، خاصة أنهما تشتركان بحرفين (حم) في الجذر.

كلمة عين تدل على البعد والعمق في الشيء الممتد مكانيًا بجهد منتهٍ بستر واختفاء.

ومن خلال هذا المفهوم ظهرت المعاني حين الاستخدام بصور مختلفة وتفاوتت

9 راجع كتابي: ظاهرة النص القرءاني».

فيما بينها من العين بمعنى أداة الإبصار إلى الجاسوس إلى نقطة نبع الماء...إلخ، وكلها محكومة بالمفهوم اللساني.

والقرءان استخدم كلمة (عين) بعدة معانٍ منها بمعنى نقطة نبع الماء:

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:6].

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ﴾ [يس:34].

﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى المَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:12].

وبعد هذا الشرح نأتي لنص ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا..**﴾

كان ذو القرنين يسير مع حركة الشمس باتجاه الغروب واستغرق مسيره طوال النهار، ووصل في وقت غروب الشمس إلى مكان فيه عين حمئة أو حامية بمعنى نبع مياه كبريتي حار ذو رائحة كريهة نتيجة الأحماض التي تخرج منه، ويستوطن هذه المنطقة قوم جاهلون.

ولدراسة تفاصيل الحدث أكثر لابُدَّ من الاستعانة بمصادر أخرى مختلفة تدرس على موجب النص القرءاني وبأطره ودلالاته ونوره. ولا يصح الاعتماد على روايات تنسب للنبي فيما يتعلق بفهم هذا النص وأن غروب الشمس يكون بمعنى كذا وكذا مما هو مذكور في التراث، فالقرءان هو الأصل بالدراسة ونستدل به ولا نستدل عليه، ولا يصح أن يحكم عليه قول أو فهم بشر كائنًا من كان فهو الحكم على أفهام الناس.

لذا؛ لا قيمة لأي شبهة من اللادينيين حول ذلك النص؛ لأنهم يعتمدون في فهمه على الروايات التراثية وهي غير حجة ولا ملزمة لأحد، غير أن فهمهم للنص ذاته خطأ كعادتهم في قصور الفهم والإدراك والنفي للشيء قبل الدراسة والعلم، فهل

إن قال أحدهم: بلغتُ مغرب الشمس فوجدتها تغرب في البحر، يُفهم من قوله أنه يقصد أن الشمس ذاتها غطست في البحر؟ هل يوجد عاقل يفهم اللسان العربي والواقع يقول بذلك؟ ولكن اللادينيين يقولون بذلك! فهذا شيء عُجاب! لا يفهمون النص اللساني ولا نظام دراسة القرءان ولا يملكون مفاتيحه، ويثرثرون ويصرخون: يوجد في القرءان عشرات الأخطاء العلمية والنحوية، ولا أدري كيف حكموا على ذلك وهم جهلة لا يفقهون مثل القوم الذي وجدهم ذو القرنين بين السدين!.

مفهوم الحوت

كلمة حَوَت تدل على الأرجحة الشديدة والممتدة بانضمام مكانيًا منتهية بضغط خفيف، وظهر ذلك بحركة الروغان والمناورة والحومان مع الامتداد مكانيًا.

وكل ما يتحقق به هذا المفهوم يطلق عليه اسم (حوت)، وكتب المعاجم أتت باستخدام الكلمة وليس بمفهومها اللساني، وهذا الاستخدام ليس للحصر ولا سقف معاني كلمة حوت.

فنقول عن السمك: إنه حوت سواء أكان صغيرًا أو كبيرًا لتحقق به مفهوم كلمة (حوت) في حركته بالماء.

ونقول عن التاجر القوي في السوق بحركته وخبرته ومناورته وحومانه إنه حوت.

وجمع كلمة حوت حيتان.

حوت (الصحاح في اللغة)

الحوت السمكة، والجمع الحيتان

والحوت برج في السماء. وحات الطائر على الشيء يحوت، أي: حام حوله.

وحاوتني فلان، إذا راوغك.

إِذَنْ، ليس كل كلمة (حوت) تعني سمكًا، ولا بُدَّ من قراءة الكلمة وفق السياق ومحل الخطاب لتحديد معنى كلمة (حوت) في هذا السياق.

لنقرأ:

﴿واَسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:163].

كلمة (حيتانهم) ترجع للقوم كملكية لهم ولا يكون السمك في البحر ملكية لأحد، ووفق السياق ومحل الخطاب هي قوارب الصيد فهي ملكيتهم وهي تأتيهم مشرعة ومحملة بالصيد الوفير، أما في غير السبت فلا تأت مشرعة ولا يوجد صيد فيها وهذا ابتلاء لهم وعقوبة لفسقهم.

وأطلق على قارب الصيد اسم الحوت؛ لأنه يتحرك بأرجحة شديدة للأعلى والأسفل ويمنة ويسرة ويناور ويراوغ، ويمتد منضمًا على ذاته مكانيًا وإلى الأمام.

لنتابع:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف:63].

لا يوجد في النص ذكر أن الحوت هو السمك، والمسافر لا يترك طعامه خلفه في العراء، والنص يتكلم عن رحلة بحرية وهذا يدل على أن الحوت هو قارب صيد يحمل النبي موسى وفتاه وغداءهم.

وعندما وصل النبي موسى وفتاه إلى اليابسة أويا إلى الصخرة ونسي الفتى أن يربط القارب الذي أتيا به كعادة صاحب القارب، وهذا يدل على أن الفتى لا يوجد عنده خبرة في قيادة القوارب مسبقًا، وعندما نزلا منه ترك القارب حيث هو فسحب التيار المائي القارب واتخذ سبيله في البحر سربًا، وتابع النبي موسى وفتاه طريقهما وابتعدا عن مكان ترك القارب.

وبعد فترة قال النبي موسى لفتاه: آتنا غداءنا؟ فتذكر الفتى فورًا أنه نسي أن يربط القارب والطعام كان فيه فذكر ذلك للنبي موسى، فقال النبي موسى: هذا ما كنا نبغ ورجعا للمكان ذاته فوجدا العبد الصالح بانتظارهما، وتتمة القصة معروفة، وبصرف النظر عن أن القصة رؤية منامية أو حقيقة.

ووصلنا الآن لنص حوت النبي يونس.

ينبغي أن نعلم أن الإنسان لا يمكن أن يعيش في بطن الحوت بمعنى السمك الكبير لانقطاع الهواء في داخله وقيام الحوت بهضمه، ولا يمكن أن يبقى النبي يونس أو السمك الكبير إلى يوم يبعثون بمعنى يوم القيامة، فهذا فهم سطحي طفولي شائع، ولم يأت نص أن الحوت (السمك الكبير) بلعه أو أكله، فهذا تصور سطحي وإقحام معنى لم يأت في النص وسببه تبديل كلمة (التقم) بكلمة (بلع أو أكل) نتيجة انتشار ظاهرة الترادف بين معظم الباحثين، وهي إمكانية تبديل أي كلمة بأي كلمة أخرى دون أن يتغير المعنى، وهذا عمل غوغائي عبثي ينقض حكمة الصياغة القرءانية.

فماذا تعني كلمة التقمه الحوت؟ ﴿فَالْتَقَمَهُ الحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:142].

لقم: تدل على حركة لازمة ثقيلة متوقفة بشدة منتهية بجمع متصل.

وظهرت ثقافيًا بتلقيم السلاح بالذخيرة وهي وضع القذيفة في داخل السلاح بقوة واستقرارها فيه.

وظهرت بوضع جزء من الطعام في الفم وإطباقه عليها فتسمى لقمة، وتسمَّى العملية التلقيم، وإن قام بها الشخص بنفسه قلنا: التقم لقمة.

وسُمِّي لقمانُ لقمانَ؛ لأنه كان يلتقم الحكمة ويلقمها لقمًا للناس في عقولهم والمعنى معنوي

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:12].

وهذا يعني أن فعل (التقم) يدل على التزام شيء بقوة وإضافته لشيء آخر ومسكه فيه.

فالتقام الحوت للنبي يونس هو التزامه والتمسك به بقوة، وذلك حينما ألقوه في القارب فهو معنى الحوت بالقصة، وبطن الحوت هو بطن القارب؛ لأن كلمة بطن لا تعني بالضرورة العضو المنتفخ في الكائن الحي فجوف كل شيء يسمَّى بطنه ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح:24].

وهذا يوصلنا إلى أن القرءان لم يستخدم كلمة (الحوت) بمعنى السمك قط مع صحة استخدامها لسانيًا.

وبعد هذا التدبر لكلمات محورية في قصة النبي يونس نأتي لتشكيل رؤية أقرب للصواب من خلال النصوص

دعا النبي يونس قومه فلم يستجيبوا له، فظن أنه قد أقام الحجة عليهم وانتهى دوره فغادرهم مسرعًا دون إذنٍ من الله أو أمر، وظن أن الله بعلمه للحدث قد عذره ولا مانع من ترك قومه لكفرهم وعدم إيمانهم، وسرعان ما أبق للفلك المشحون.

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات:140].

كلمة (أبق) تعني المغادرة بسرعة شديدة للمكان سواء عن هروب أو دونه.

كلمة (الفلك) تعني السفينة سواء أكانت بشكل بدائي أو متطور.

كلمة (المشحون) اسم مفعول وتدل على الشيء المتجمع به ناس أو بضاعة كثيرة

معدة للسفر أو الانتقال أو كلاهما.

﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس:41].

وساهم مع القوم فدحض سهمه بمعنى بطل وزال ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات:141]، وبصرف النظر عن الشيء الذي ساهم فيه، المهم خسر سهمه وفقد ثقة أصحاب الفلك وقرروا التخلص منه، ولم يأت في النص أنهم حملوه وألقوه في البحر، وإنما أتى ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:142].

وقد عرفنا دلالة كلمة (اللقم) وأنها تدل على الالتزام للشيء بقوة، وعرفنا كلمة (الحوت) أنها تدل على قارب صيد، ليصير المعنى المنطقي أن أصحاب السفينة أرغموه على مغادرة السفينة وتركهم وجعلوا له قارب صيد صغير، ويبدو أنه قاوم أو رفض ذلك فقاموا بإلقائه في القارب رغمًا عنه وربما قيدوه أيضًا وألقوه في القارب فالتقمه القارب ببطنه.

وكان النبي يونس ممتعضًا من فعلهم ومليم لهم على هذه المعاملة له، وابتعدوا عنه وتركوه في عرض البحر دون هدى ولا علامات يستدل بها وهو لا يعرف البحر أو الإبحار به وحده، ومضى عليه أيام يتعرض بها لحرارة الشمس وليالي يتعرض لبرد الليل، ونفذ منه الماء والطعام وضاع وضل في ظلمات البحر لا يعرف أين يتحرك به موج البحر.

وصار سقيمًا وضعف جسمه مما يتعرض له، فالتجأ إلى الله ونادى تائبًا نادمًا ﴿...فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:87]، فاستجاب له الله وأنجاه مما فيه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:88].

أما قوله تعالى: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: 144]، فلا تعني أن النبي يونس كان في بطن الحوت السمك الكبير لما ذكرناه سابقًا أن ذلك فهم طفولي سطحي مستبعد، ولا تدل كلمة (يبعثون) يعني يوم القيامة؛ لأن النبي يونس أو الحوت بمعنى السمك لن يبقيا طول هذه الفترة وسوف يموتان كلاهما ضمن الزمن الموجودين فيه، وهذا يدل على أن النص له مفهوم آخر، ووفق ما ذكرنا من أحداث القصة يكون مفهوم النص هذا الأقرب للصواب هو: أن النبي يونس سوف يبقى في ظلمات البحر ضائعًا وضالًا حتى ييسر الله له قوم يبعثهم له ويجدوه وينقذوه.

وهذا قد يطول كثيرًا، ولكن كونه تاب وندم واعترف بذنبه ونادى الله عز وجل فقد أنجاه بطريقة نبذ قاربه إلى اليابسة، ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات:145]، ووجده قوم يوجد بينهم علاقات قاطنين في المكان هذا فاعتنوا به وعالجوه حتى قوي واسترد عافيته ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ [الصافات:146]، ودلالة الشجرة تعني العلاقات المتشاجرة والمتداخلة مع بعض، وكلمة أنبتنا تعني النمو البطيء والمتجمع باستقرار، ليصير النص أن القوم الذين وجدوه التفوا حوله وتجمعوا وتعلموا منه ريثما تعافى وصار قادرًا على السير والسفر، وبعد ذلك رجع إلى قومه يدعوهم إلى الله فاستجابوا له وآمنوا بالله. ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات:147-148].

لذا؛ ينبغي عدم نشر القصة الطفولية والمخالفة للمنطق عن ابتلاع الحوت (السمك الكبير) للنبي يونس وتوقيف هذه المهزلة، وعدم إعطاء مبرر للملاحدة وغيرهم من السخرية من القرءان وقصصه التي يعرضها معظم المفسرين مثل أفلام الكرتون والسندباد البحري.!

وبناء على هذا العرض يمكن أن ندرس ونتدبر باقي النصوص مثل هذه:

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ

أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [الزمر:6].

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد:24].

كلمة الرق للإنسان
ليست استخدامًا قرءانيًا

يصر كثير من اللادينيين ومعظم عباد المثناة[10] وبعض من يدعون أنهم باحثين أحرار أن الرق لم يحرمه الإسلام ؛ بل أقره وتعامل معه.

بداية كلمة (الرق) لم تأت في الخطاب القرءاني متعلقة بسياق نفي حرية الإنسان أو استعباده.

وأتت مرة واحدة في نص﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور:2-3]، ولا علاقة للكلمة بحرية الإنسان أو نفيها، فهي اصطلاح تراثي لا قيمة له وغير ملزم.

ومع ذلك تعالوا لندرس مدى صواب قولهم: إن الإسلام لم يحرم الرق ؟

أولًا ماذا يعنون بمفهوم الرق؟

الرق عندهم هو استعباد الإنسان ومصادرة قراره وتقييد حريته وامتلاك حق التصرف به بيعًا وشراء وانتفاعًا.

والسؤال:

هل استعباد الإنسان عمل مشروع في الإسلام ؟ أم هو ظلم وتعدٍّ على حقوقه ؟

هل مصادرة قرار الإنسان وتقييد حريته مشروع في الإسلام؟ أم هو تعدٍّ وظلم واستعباد له؛ لأن الله خلق الإنسان حرًا كريمًا والمجتمعات بعرفها الفاسد استعبدته؟

---

10 كلمة المثناة من التثنية ، وتعني ثني كتب الناس على كتاب الله ومزاحمته بالمصدرية الدينية مثل كتب الحديث والتفسير والفقه وغيرها التي جعلها المسلمون مصدرًا دينيًا مع القرءان.

هل يتعلق حق التصرف بيعًا وشراء بالإنسان نفسه كالمتاع في الإسلام ؟

فمعروف أن الإنسان كائن محترم عاقل يملك نفسه ولا يملكه أحد إلا الخالق، ومع ذلك جعله الله حرًا كريمًا وخليفة في الأرض وليس سلعة تباع وتشترى!

هل الظلم والاستعباد والعدوان ومصادرة قرار الإنسان وتقييد حريته تعسفًا... إلخ يحتاج إلى نص حرفي يُحرمها أم هي معروفة فطرة عند الناس وهي أشد قوة وحقًا من أي أمر آخر؟

ومع ذلك أتت نصوص تحرم الظلم والعدوان وتثبت أن الإنسان حر بنفسه وفكره وحياته، والقرءان كله خطاب لكائن عاقل حر، ولولا ذلك لما نزل القرءان يخاطب الإنسان؛ لأنه لا يصح خطاب الكائن العبد المملوك فاقد الحرية، وهذا يعني أن القرءان كله برهان على إثبات الحرية وتحريم الظلم والعدوان والاستعباد وما سمَّوه بالرق.

وموضوع حق التصرف بالإنسان بيعًا وشراء وحق التصرف به انتفاعًا بجهده موجود قبل نزول القرءان، وعندما نزل تعامل مع تلك الأمور بحكمة لمعالجتها واستخدم صياغة قرءانية عربية مبينة محكمة شملت هذا المفهوم دون أن تقره وهو كلمة (ملك اليمين) وهي عامة تشمل حق التصرف بالشيء على وجهين:

حق تصرف ملكية بيعًا وشراء وعطاء...، وحق التصرف انتفاعًا بالجهد مقابل أجر أو عوض.

وحق التصرف بالإنسان ملكية وبيعًا وشراء أمر حرام فطرة ومعروف؛ مما يعني أن الأصل بمفهوم ملك اليمين هو حق الانتفاع بالشيء جهدًا، وهذا أمر لابُدَّ منه لتسخير الناس لبعضهم والتكامل في أمور المعيشة.

لذلك لا قيمة لقول بعضهم: إن القرءان أقر الاستعباد بمفهوم (ملك اليمين)

الذي حرفوه إلى كلمة (الرق)، فالقرءان أقر حق التصرف بالجهد الإنساني والمنفعة دون حق التصرف به ملكية وبيعًا وشراء، واستخدم نصوصًا عامة محكمة للحض على تحرير الناس من كل ما يُقيد رقابهم من ذمم مالية وما شابه ذلك، وهذا يشمل من باب أولى تحرير الإنسان من ظلم الكائن الوحشي الذي استعبده.

والتطبيق التاريخي لهذا المفهوم ليس مصدرًا دينيًا، ولا يصح الاستدلال به على حكم شرعي أو مفهوم إيماني، فالمصدر الدِّيني هو القرءان فقط.

لذا؛ ينبغي أن يكف أنصاف المتعلمين عن الافتراء على القرءان أنه أقر استعباد الناس وامتلاكهم، وبالتالي يكفُّ اللادينيون عن فريتهم تلك؛ لأن اللادينيين تبع لعباد المثناة في نقضهم للدِّين والطعن به.

وليكف أيضًا من يحاول أن يعرض القرءان كخطاب تاريخي انتهى زمانه ليهرب من قصور فهمه لهذه النصوص لغياب المنهج القرءاني عنده، فأقر مفهوم الاستعباد للإنسان في القرءان، ولكن قام بتجميده في ثلاجة التاريخ ووصف هذه النصوص بأنها بدائية ورجعية، وربما وحشية همجية نزلت لعصر أبي جهل وبلال وعمار... وانتهى مفعولها، ولا يصح دراستها وفق الثقافة الحالية والتطور المدني الاجتماعي، هكذا زعم وافترى!

وأخيرًا؛ هل يصح أن يطالب أحدهم بدليل على وجوب التنفس وشرب الماء وتحريم منع ذلك عن الناس؟

أم أن الأمر فطري ولا يجادل أحد به ولا يطلب على ذلك برهانًا لثبوته فطرة وواقعًا؟

الحرية مثل الهواء والماء للإنسان هي تحصيل حاصل، ولو نزل نص حرفي يوجب حرية الإنسان لكان عبثًا وسخرية ومهزلة، فمجرد الخطاب مع الإنسان وأمره ونهيه وتحميله المسؤولية هو برهان على حريته!

ومن يطلب نصًا على حريته كمن يطلب نصًا على وجوده!

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَىَ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:256].

﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:29].

مقولات عن الإلحاد ونفسية الملحد

1. الملحد لا يصدق أن لوحة موناليزا الجامدة صنعت وحدها، ولكن يصدق بصنع أكبر لوحة حية في الوجود وحدها، إن هذا لشيء عجيب!
2. الملحد يرسم دائرة وبعد أن يغلقها يدَّعي أنها دون بداية ولا نهاية ووجدت وحدها، ويصير يجادل كأنه اكتشف شيئًا عجيبًا!
3. الملحد له لسان يسأل، ولكن لا يملك أذنين للسمع.
4. سؤال الملحد عن الخالق مَن خَلقه مثل من يطلب برهانًا على أن ضلعي المثلث متوازيان!
5. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأن ابن جاره وُلد أعمى!
6. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأنه لا يستجيب له ويلعب معه النرد!
7. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأنه لم يفهم كيف يكون الخالق ليس مخلوقًا، فهو يرى كل مخلوق لا بُدَّ له من خالق.
8. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأنه لا يرد عليه عندما يناديه!
9. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأنه يوجد مخلوقون عصاة ومنافقون ومجرمون، ولا يقوم الله بذبحهم وإبادتهم!
10. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأنه لم يقتنع بسبب وجود الخلق والخالق غني عنه!
11. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأنه لم يفهم كثيرًا من نصوص القرءان!

12. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأن أباه فشل في الحياة وبعلاقته مع أمه!
13. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأنه رسب في دراسته وفشل في حياته!
14. ينكر الملحد وجود الخالق؛ لأن يوجد في الصومال مجاعة ومجازر!
15. ينكر الملحد وجود الخالق ؛ لأن برهان ثبوته لم يخضع لعلم الكيمياء في المخبر.
16. عقل الملحد سؤول فقط ويقوم بالنفي والتشكيك في كل شيء.
17. لو أجبت الملحد ألف جواب لبقي يقول لك: ولماذا هكذا وليس هكذا!
18. يعتمد الملحد في حياته على النفي ولا يصل إلى الإثبات قط!
19. يشك الملحد في حقيقة كل شيء حتى في وجوده معك وهو يتكلم!
20. الملحد ينكر وجود الخالق الأزلي واليوم الآخر والأديان، ويتعامل مع الحياة وفق مقولة: لا إله والحياة مادة ومتعة، ولا مانع من نكاح المحارم إن صار هذا عُرفًا.
21. ينكر الملحد وجود الله والدين لوجود مجموعة إرهابية تستخدم الدين للإجرام ضد الإنسانية ويذبحون الناس باسم الله.
22. ينكر الملحد وجود الخالق والدين لأن الخالق لا يظهر نفسه لأعين الناس
23. ينكر الملحد وجود الخالق لأن الملحد تحداه ولم يرد عليه ويقبل تحديه.
24. يتعامل الملحد دائمًا مع الافتراض والنفي و يهمل الحقيقة والإثبات
25. يهمل الملحد أي برهان إثبات ويتبع الشك والظن والخرص
26. سأل ملحد ساخرًا كيف تقولون إن البغل مخلوق وهو مهجن من فرس وحمار؟
27. يحاول الملحد أن يُعَقِّد الفكرة ويُكبرها علميًا ليخدع الآخر بها، وفاته أن البرهان هو برهان مهما كبرت الفكرة أو صغرت

28. كنت أناقش ملحدًا مرة وقلت في سياق كلامي: إنه يوجد ثوابت ليست هي محل نقاش.

فاعترض وقال: لا يوجد شيء ثابت كل شيء محلًا للشك وهو نسبي في وجوده.

قلت له: هل مثلًا واحد زائد واحد يساوي اثنين محل شك وحكم نسبي ؟

فقال: أستطيع أن أثبت لك أن جواب الجمع هو نسبي ويمكن أن يكون ليس اثنين.

فقلت له: تفضل.

قال: لو أتينا بنقطة ماء وأضفناها لنقطة ماء أخرى ماذا يكون النتيجة ؟

قلت: نقطتين ماء مع بعض يشكلان نقطة كبيرة

قال: لا؛ خطأ، النتيجة نقطة ماء كبيرة وليس نقطتين.وتابع قوله أرأيت كيف إن واحد زائد واحد لايساوي اثنين بالضرورة

29. قال ملحد لصديقه الملحد إن زيدًا الملحد توفي، فرد عليه صديقه من توفاه؟

فسارع الملحد وقال: قصدت مات زيد.

30. تعرض ملحدٌ للسرقة من قبل قاطع طريق.

فقال الملحد كيف تأخذ حقي؟

قاطع الطريق: ومن قال إن ذلك حق لك؟

الملحد: ألم تأخذها مني فهي حقي.

قاطع الطريق: وما الذي يثبت لي أن ذلك حقك؟

الملحد: معي أوراق ووثائق تثبت ذلك.

قاطع الطريق: هذه مادة لاقيمة لها فهي لاتثبت شيئًا

الملحد: كيف ذلك؟

قاطع الطريق: مفهوم حقي وحقك وأوراق وثائقية كلها اصطلاحات بشرية

غير موضوعية ولاقيمة لها علميًا في التفكير المادي الموضوعي، وهذه الأمور موجودة من قبل ولادتك وسوف تستمر بعد وفاتك فكيف تطلب مني أن أصدق بوجود اصطلاحات ذهنية وهمية

31. وُلد لملحد ولدٌ فأتاه أصدقاؤه يباركون له:

فقال أحدهم: بإذن الطبيعة يُربى بإلحادك

وقال آخر:باركه ماركس ولينين

وقال آخر: حفظته لك روسيا و الصين

وقال آخر:إن شاءت الطبيعة أن تجعله إنسانًا سويًا أو مسخًا مشوهًا

وقال آخر: الشكر للطبيعة لمنحك ولدًا وأرجو أن تحفظه لك

وقال آخر: علِّمْه إن الأخلاق أتت من حجر أصم فهي لاقيمة لها ولكن الناس ملتزمون بها.

وقال آخر:حذره من أن الأديان والفضيلة من صنع البشر وأوهامهم

وقال آخر: قل له إن ولادتك عبث ومالها قيمة أصلًا ومافي داعي أن تلد

وقال آخر:أذِّن في أذنه اليسرى: المتعة أكبر، المتعة أكبر، ولامتعة إلا المادة.

وقال آخر: أفهمه إن والدته هي مجرد وعاء وحاضن له فقط ليس إلا

وقال آخر: أخبره أن الحب والشعور والضمير.. كله وهم ليس حقيقة لأننا لانراهم وقال آخر: قل له مايخرج من فضلات هي من أصل مادته فهما سواء

32. الإلحاد موقف نفسي لواحد ضائع منهجيًا متمردًا على الفقر والظلم والتخلف.... ولم يعد يتحمل هذا الوضع المزري

33. يقول الملحد بعد التفكير والنقاش المطول لساعات والهروب والمناورة والقفز من فكرة إلى أخرى: بصراحة ماعندي جواب على شيء والبحث مازال جاريًا

34. الملحد يحب جسم زوجته فقط، فإن قامت بقص جلد زائد منها نتيجة الصحة

والسمنة الزائدة يأخذه ويعانقه ويقبله !ولا يحب نفسها لأنه لا يعترف بوجود النفس الإنسانية أصلًا ككائن مغاير لوجود الجسم البشري

فهو يؤمن بالطب البشري، ولا يؤمن بالطب النفسي أو علم النفس

35. الملحد لا يؤمن بوفاة الإنسان، وإنما يؤمن بموت البشر مثل موت أي كائن بهيمي

36. توفي والد لأحد الملحدين: فأتى أصدقاؤه الملاحدة يعزونه بقولهم:

للطبيعة ماأعطت، وللطبيعة ماأخذت، ولاقيمة لصبرك أو جزعك، ولاتنتظر من أحد شيئًا، ولاقيمة لميت أو حي، وكلنا كائنات وجدنا لنهلك، ونهلك ليوجد غيرنا

والبقاء للأقوى والأصلح، ولو لم يكن أبوك ضعيفًا وفاسدًا لما مات

37. من أكل الكعكة التي لم أصنعها بعد؟

38. من وصل قبل الواصل الأول؟

39. يقول الملحد عندما يأت لزيارة صديقه: هل وصلت أنا أم لم أحضر بعد؟

40. يقول الملحد: هل أنا هو أنا أم أنا ليس أنا.

41. مرة قال لي ملحد أثناء نقاشنا مع بعض: ما يدريك أن لنا وجودًا حقيقيًّا موضوعيًّا الآن ولماذا لا يكون ذلك حلمًا؟ ما هو البرهان على وجودنا حقيقة وليس حلمًا؟

قلت: أنت تظن أننا في أفلام كرتون الآن مثل توم وجيري؟

42. الملحد إن استيقظ من نومه صباحًا يشك بنفسه هل هو ذاته

43. يرسم الملحد حول نفسه دائرة وبعد أن يغلقها يقول أنا في داخل الدائرة منذ الأزل لأنه ليس لها فتحة أدخل منها

44. أغرب ماسمعت من شبهة إلحادية قول أحدهم لي وهو يناقشني:قاعدة «كل فعل لابد لها من فاعل» منطقية صواب في عالمنا،وتحت حواسنا لأننا علمنا ذلك من التكرار لذلك، وبمجرد أن نرى فعلًا نبحث عن فاعله ونُقَدِّره في حال لانعرفه ونحكم على وجوده منطقيًا ضرورة لازمة، أما إن تجاوزنا الوجود إلى ماقبل وجودنا وإلى بدء الوجود فنحن لانعرف مدى أو جدوى صحة هذه المقولة والقاعدة فربما لايحتاج الفعل إلى فاعل ويكون الوضع مختلف!، وبالتالي سقط الاستدلال بهذه القاعدة السببية على وجود الفاعل الأول الأزلي الذي تطلقون عليه اسم الله .

قلت: يوجد في طريقة تفكيرك مغالطة ومرض منطقي، ولايصح النقاش معك وأنت بحاجة لفرمتة كاملة وتحديث برامج وأنظمة تفكيرك ومعارفك! قال: لماذا تعد رأيك حقًّا بداية وتتعصب له؟ قلت: الموضوع ليس رأي ورأيك ورأي فلان وعلتان، الأمر حق وباطل وصواب وخطأ، ويوجد أمور لايصح نقاشها لثبوتها عند العقلاء منطقيًا وواقعيًا، وليس من المعقول عند كل نقاش نعود ونثبت ما هو ثابت ونعيد اختراع العجلة. وكالعادة انتهى النقاش دون فهم ولا لقاء ولاتقارب، واتهامات لي بأني متعصب ومتكبر ومغرور

يثبت الربوبي وجود خالق أزلي للكون، لكن يعدُّه خالقًا هاربًا من تدبير أمور خلقه، وبالتالي لا مسؤولية ولا حساب بعد الموت،

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:24]، وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ومتعة.

فالملحد، والربوبي، واللاأدري: دهريون، والنتيجة لهم واحدة!



لمحة عن المؤلف:

سامر بن محمَّد نزار إسلامبولي

- **تولُّد: دمشق، سورية 1963 م.**
- **باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.**
- **عُضو في اتِّحاد الكُتَّاب العرب.**

نُشر له مقالات في مجلة العالم، ومجلة إسلام 21، ومجلة شباب لك، والأسبوع الأدبي، والوقت البحرينية، والمثقف.

صدر للمؤلف

1. **علْمية اللسان العربي وعالميّته،** تقديم الأستاذ: د. مازن الوعر، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.
2. **تحرير العقل من النقل-** قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019م.
3. **اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي،** مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.
4. **مفهوم السُّنَّة غيرُ الحديث ويليه غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري، وليس قرءانياً،** مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.
5. **دراسة نَقْدية لمفاهيم أصولية** (الآحاد - الإجماع - النسخ)، ، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.
6. **ظاهرة النَّصِّ القرءاني تاريخ ومعاصرة** (ردّ على كتاب: النصّ القرءاني أمام إشكالية البنية والقراءة للطيب تيزيني)، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

7. **القرءان بين اللُّغة والواقع**، دار الأوائل، دمشق، ط2005/1 م.

تقديم الأستاذ: د. سمير إبراهيم حسن، عميد كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية في دمشق، والأستاذ: د. محمَّد الحبش،مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

8. **ميلاد امرأة** (رواية نَفْسية واجتماعية)، تقديم الأستاذ: ندرة اليازجي، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

9. **فتاوى أزهرية وأفكار فلسفيَّة** (قَصَص قصيرة)، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

10. **مفاهيم ثقافية** (الله، الحرية، الشيء، العدم، الموت، الثالوث، التقمص)، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

11. **نبي الإسلام غير نبي المسلمين**، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

12. **دراسة إنسانية في الرُّوح والنَّفْس والتفكير**، تقديم الأستاذ: جودت سعيد، والأستاذ: ندرة اليازجي، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

13. **القرءان من الهجر إلى التفعيل**، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

14. **حوارات ثقافية**، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

15. **علْم الله وحرية الإنسان**، دمشق، دار الأهالي، ط1 /1994م.

16. **المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحَّح**، دار الأوائل، دمشق، ط1999/1 وط2/ 2002 م.

17. **المشروع الثقافي الراشدي، ويليه الإرهاب إيدز العصر**

18. **الألوهية والحاكمية**، دراسة علمية من خلال القرءان الكريم، دار الأوائل، دمشق، ط2000/1.

19. **الانتحار الفكري**، مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر، الإسكندرية، 2019 م.

عنوان الباحث

السويد: 0046734233031
البريد الإلكتروني: s.islambouli@gmail.com

هذه مجموعة من النقاشات والمقالات، وأجوبة على بعض السائلين متعلقة بنقاش الموقف الإلحادي كتبتها بأزمان مختلفة ومتباعدة على النت أحببت أن أجمعها في كتاب واحد لتعم الفائدة للقراء، وليسهل الرجوع إليها لمن يهتم بتلك القضايا الحوارية، وهي لا تخلو من فائدة وطرفة وابتسامة هنا، أو هناك، مع تحفيز التفكير والعقل على الارتقاء والتدبر، غير المعلومات المبثوثة في ثنايا المقالات يدركها القارئ الحصيف النحرير وحده ويقف عندها متأملًا ومتدبرًا...

والمقالات أو النقاشات هذه تأخذ القارئ برحلة فكرية وعصف عقلي كبير عنده ممكن يُكَوِّن من خلالها بعد الانتهاء من الكتاب منهج حواري، ويضع يده على كثير من نقاط تدبر القرءان التي تمكنه من استخدامها في تدبر نقاط أخرى ونقاشها وحده على نمط نقاش النقاط هذه.



سامر بن محمد نزار إسلامبولي

ولادة دمشق 1963، سوري الجنسية، مقيم في السويد

باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي

عضو في اتحاد الكُتَّاب العرب في سورية منذ عام 2008

بلغت مؤلفاته حوالي عشرين كتاباً من أهمها:

• دراسة إنسانية في الروح والنفس والتفكير • علمية اللسان العربي وعالميته. تقديم الدكتور مازن الوعر.

• تحرير العقل من النقل • القرآن من الهجر إلى التفعيل • اليهودية إنغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.

القصص

• ميلاد امرأة (قصة نفسية واجتماعية) • أفكار فلسفية وفتاوى أزهرية. مجموعة قصص قصيرة

المؤتمرات التي شارك فيها

• مؤتمر حقوق الإنسان الذي أقامته جمعية التجديد الثقافية البحرينية في عام 2010 في البحرين عنوانها: الحريات وحقوق الإنسان • ندوة الملتقى الثاني لكُتَّاب التنوير في مركز الدراسات الإسلامية في دمشق عام 2006

• ألقى محاضرات في المراكز الثقافية.

مقالاته المنشورة في الدوريات والصحف

• مجلة العالم تصدر في لندن، مجلة إسلام 21 تصدر في لند • مجلة شباب لك تصدر في دمشق، جريدة الوقت البحرينية • جريدة المثقف البحرينية • جريدة الأسبوع الأدبي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق.

منتدى الباحث سامر اسلامبولي: https://www.facebook.com/groups/170302883083402

الصفحة الرسمية: http://cutt.us/TroyV الإميل: s.islambouli@gmail.com موبايل: 0046734233031



مركز ليفانت للدراسات الثقافية والنشر

الإسكندرية - مصر

www.levantcenter.net

